أصول الشعر العربى

ديفيد صمويل مرجليوث

ترجمة وتعليق ودراسة

د. إبراهيم عوض

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م

دار الفردوس

أصول الشعر العربى

ديڤيد صمويل مرجليوث

ترجمة وتعليق ودراسة

د. إبراهيم عوض

مع مقارنات تفصيلية بالترجمات السابقة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

المقدمة

فى الصفحات التالية يطالع القارئ ترجمة بحث المستشرق البريطانى مرجليوث " The Origins of Arabic Poetry " ، الذى نشره عام ١٩٢٥م فى " مجلة الجمعية الآسيوية الملكية " الإنجليزية حين كان يرأس تحريرها ، والذى ينكر فيه وجود أى شعر عربى قبل العصر الأموى ، وكذلك الردّ المفصل على هذه النظرية الغريبة ، مع تعليقات متناثرة فى الهوامش خاصةٍ ببعض الملاحظات الجزئية[١] .

وقد قمت أثناء عملية الترجمة بمقارنات مسهبة فى الهامش أيضا [٢] بين ترجمتى والترجمات الثلاث التى سبقتها ، وهى ترجمة د. يحيى الجبورى (مؤسسة الرسالة/ بيروت /ط١/١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ، وترجمة د. عبد الرحمن بدوى (وهى موجودة فى كتابه " دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى" / دار العلم للملايين / بيروت / ط٢/ ١٩٨٦م)[٣] ، وترجمة د.عبد الله أحمد المهنا (بمجلة " الشعر" القاهرية / يناير ١٩٨١م / عدد ٢١، وإبريل ١٩٨١م / عدد٢٢) [٤] . والله الهادى إلى سواء السبيل .

١- استخدمت فيها وفى الإحالات إليها العلامة التالية : (*)

٢- مستخدما فيها وفى الإحالات إليها الأرقام العربية (وهى التى يستخدمها الأوربيون) ، أما الأرقام الهندية (وهى التى تستخدمها فى مصر والمشرق العربى) فهى خاصة بإحالات مرجليوث وهوامشه .

٣- ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٧٩ م .

٤- عند الإشارة إلى ترجمة د. المهنا كنت أرمز إلى عدد يناير بالرقم ١ ، وإلى عدد إبريل بالرقم ٢ ، ثم يلى ذلك رقم الصفحة .

ترجمة دراسة مرجليوث

أصول الشعر العربى[١]

إن وجود شعراء فى شبه الجزيرة العربية قبل نشوء الإسلام أمر يشهد به القرآن ، الذى يتضمن سورة باسمهم ، والذى يشير إليهم أحيانا فى غيرها من السّور . ومن بين الأوصاف التى خلعها أعداء النبى عليه قولهم : " شاعرٌ مجنون " (الصافّات / ٣٥) ، الذى كان ردّه عليه أنه " جاء بالحقّ " . وفى نصّ

١ - سبق أن تناول موضوعَ هذه الدراسة آلفرتٌ فى بحث له بعنوان " Bemerkungen über die Aechtheit der alten arabischen Gedichte " فى جرايفسفلد فى ١٨٧٢ م ، وكذلك السير تشارلز لايال فى مقدمة المجلد الثانى من " المفضليات " التى حققها . والأول فى بحثه غير واثق كثيرا . وهو يلفت الانتباه إلى بعض الأمور التى عولجت معالجة أوفى هنا . أما السير تشارلز لايال فإنه يتناول بالدرجة الأولى شخصيات الرواة ، التى يثق بها أكثر مما يثق كاتب هذه السطور(1).

1 - لى على ترجمة هذا الهامش عند د. الجبورى (ص/٥٣ بالهامش) ود. المهنا (١ / ٢٣ / حاشية رقم ١) عدة ملاحظات :

أ - فى ترجمة كل من د. الجبورى ود. المهنا أهملت الإشارة إلى أن كتاب " المفضّليات " المذكور فى هذا الهامش هو من تحقيق لايال كما يُفْهَم من قول مرجليوث عن ذلك المستشرق " his Mufaddaliyyat " ، وترجمتها الحرفية " مفضلياته " ، أى المفضليات التى حققها .

ب - كما ترجم د. المهنا عبارة " the former is not very confident " بقوله : " أما الأول (أى آلفرت) فلا يُعْتَدّ به كثيرا ". ولا علاقة بين هذا وذاك . أما د. الجبورى فقد قال : "لم يكن الأول جريئا " ، وهى ترجمة غير دقيقة .

ج - وقد فهم د. المهنا من الجملة الأخيرة من كلام مرجليوث فى هذا الهامش أن آلفرت قد " حقق فى هذا تفوقا عاليا أكثر من كاتب هذه الدراسة " ، وهى ترجمة خاطئة تماما . والصواب هو أن رأى لايال فى أخلاق رواة الشعر القديم أفضل من رأى مرجليوث ، الذى يؤكد أنهم كذابون ولايحسنون فهم الأمور أو تقديرها ، ومن ثم فينبغى ألا يعوّل عليهم .

د - وأخيرا يخطئ د. الجبورى فى ترجمة عبارة " the present writer " قائلا : " المؤلف الحديث » ، بينما معناها ببساطة : " كاتب هذه السطور " أو ما فى معناها . وكلمة "present" بالمناسبة ليس معناها " الحديث " بل تعنى " الحالى / الحاضر " . و " المؤلف الحالى" هو، بطبيعة الحال ، صاحب البحث الذى نكون بصدد قراءته ، وهو هنا مرجليوث .

آخر (الطور / ٢٩) تتتالى الاتهامات بأنه " كاهن " أو " مجنون " أو "شاعر " [2] . وما دام أولئك الذين وصفوه بأنه شاعر قد قالوا إنهم سينتظرون ليروا ما الذى سيقع له، فمن الممكن أن نستنتج من ذلك أن الشعراء كان من عادتهم التنبؤ بالمستقبل [3] . وفى موضعين آخرين نراه يؤكد أن كلامه ليس قول شاعر بل قول رسول كريم (الحاقة / ٤١) [4] ، وأن الله لم يعلمه الشعر، لأنه غير ذى نفع له (يس / ٦٩) [5] . أما كلامه " فذِكْر وقرآن مبين "، وهو

---

2 - ترجم د. المهنا " as alternatives " إلى " ألفاظ بمعنى واحد " وهو ما خطّأه فى حواشى المعرَّب (١ / ٢٤) ، ثم وضّح الأمر بأنه مجرد تخبط من المشركين. والحقيقة أن مرجليوث لم يقل إنها بمعنى واحد ، بل المترجم هو الذى أخطأ ، لأن معنى العبارة هو " كبدائل ". أما أنا فقد قلت : "وتتتالى الاتهامات بـ ... أو ... أو ... " ، وهو مالا يخرج عن المعنى الذى أراده المستشرق .

3- لم يترجم د. بدوى (ص / ٨٨) ود. الجبورى (ص / ٥٣) كلام مرجليوث بل ساقا نص الآية القرآنية . وكان ينبغى أن يحافظا على كلام الكاتب حتى يتبين القارئ مدى خطئه أو تضليله . أمّا د. المهنا (ص ١ / ١١) فقد فعل ما فعلت أنا. وعلى أية حال فلست أستطيع أن أفهم كيف يمكن استنتاج ما استنتجه مرجليوث من هذا الاتهام .

وبالمناسبة فقد ترجم د. الجبورى عبارتَىْ سورة " الصافات " المارتين قبل سطر تقريبا بالمعنى (ص/ ٥٣)، رغم أن مرجليوث قد وضع كلا منهما بين علامتى تنصيص .

4 - الصواب : « الحاقة / ٤٠ - ٤١ » ، وليس الآية ٤١ فقط كما جاء عند مرجليوث.وقد تابعه د. الجبورى فى متن الترجمة (ص / ٥٣)، وإن كان قد ذكر فى تعليقاته على بحث مرجليوث (ص/٨٩) أنهما الآيتان ٤٠ - ٤١ معًا :

5- لم يقل القرآن إن الشعر غير ذى نفع للرسول عليه السلام ، بل قال : " وما علمناه الشعر وما ينبغى له "، أى لا يليق به ، لأن طريق الرسالة غير طريق الشعر: ففى الشعر خيالات ومبالغات وأكاذيب وأوهام وفخر مطنطن وهجاء مقذع وإثارة للنعرات والعصبيات ومديح مستَجْدٍ وغزل وتحريك للشهوات (على الأقل : فى كثير من الشعر ، وبخاصة فى ذلك العصر)، أما الرسالة فإصلاح وهدى وتشريع ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة ... إلخ .

وقد ترجم د. بدوى (ص / ٨٨) ود. الجبورى (ص / ٥٣) هذه العبارة بقول القرآن الكريم :

ما ينبغى أن نفهم منه أن الغموض كان سمة من سمات الشعر . وهذه الإشارات المتعلقة بالشعراء نجدها ملخَّصة فى السورة التى تحمل اسمهم (الشعراء / ٢٢٤ وما بعدها) ، حيث نقرأ أنهم " يتّبعهم الغاوون " و " أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون ". وتبدو الآية التى تلى ذلك وكأنها استثناء لبعض الشعراء المؤمنين الصالحين من هذه التهمة ، بَيْد أن أسلوب القرآن يجعلنا فى شك من انطباق هذا الاستثناء فعلا على أحد من الشعراء . أما الآيات التى تسبق ذلك [6] فيمكن أن نخرج منها بأن الشياطين تتنزل على الشعراء ، إذ هى تؤكد أنهم يتنزلون على كل أفاك أثيم بالأقاويل الكاذبة غالبا . ويبدو هذا وكأنه إشارة إلى ما يُنْسَب فى مكان آخر من القرآن إلى الشياطين (الصافات / ١٠) من التسمُّع إلى الملإ الأعلى ، وهى جريمة عقوبتها القذف بالشُّهُب الثاقبة . وهكذا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام ارتباط الشعراء بالتنبؤ .

" وما ينبغى له ". وبهذه الطريقة لا يتضح للقارئ الخطأ الذى وقع فيه مرجليوث فى فهمه للآية القرآنية .أما أنا فقد حافظت على كلام مرجليوث وأشرت فى هذا التعليق إلى ما فيه من خطإ وصوّبته .

6 - ترجمت قول مرجليوث : "... from what preceeds " بـ « أما الايات التى تسبق ذلك ... » ، على حين ترجمه د. بدوى (ص / ٨٨) بـ " ومما سبق ... " (ومثله د. المهنا (١ / ١١) ، وهى ترجمة يحتملها النص الإنجليزى بقوة . بيد أنى آثرت ما قلته لأن تنزل الشياطين على كل أفاك أثيم لا يُسْتَنْتَج مما سبق من كلام مرجليوث ولا من الآيات التى أشار إليها ، بل من الآيات السابقة على ذلك. أما قول د. الجبورى (ص / ٥٤) : " ومن حيث الأسبقية يجب أن يُسْتَدَلّ أن الشياطين ... إلخ " فهو كلام غامض ولا يساعد عليه النص الإنجليزى .

وإذا كان المقصود بالشعر هنا هو نفس المقصود به فى الكتابات اللاحقة فإننا سنجد أنفسنا أمام لغز بسيط (7) : فمحمد ، الذى لا يعرف شيئا عن الشعر ، كان مدركا أن نصوص الوحى الذى ينزل عليه لم تكن شعراً ، على حين أن المكيين ، الذين كانوا فيما يبدو يعرفون الشعر عند سماعهم أو روٕيتهم له ، كانوا يظنون أنها كذلك ، رغم أننا كنا نتوقع العكس . ولربما كان بمستطاعنا أن نستنتج أن الشاعر كان بوجه عام يُعْرَف بمضمون كلامه لا بالشكل الذى يتخذه ذلك المضمون . وعلى ذلك فليس المقصود بالإنكار عدم الانتظام فى شكل الكلام ، بل بالأحرى المضمون الذى يحتوى عليه . ومع هذا فمن المؤكد أن قوله : " وما علّمناه الشعر " يشير إلى وجود شىء من الصنعة يميز الأسلوب الشعرى وينبغى تعلمه .

ومع ذلك فإن لهجة هذه الآية الأخيرة تبدو بالتأكيد مختلفة عن لهجة الآيات الأخرى : فهذه الآيات تنكر وجود الموهبة الشعرية ، إذ اتُّهِم القرآن بأنه شعر ، فكُذّبت هذه التهمة . أما هنا فإن الأمر يبدو وكأنه تبرير لغياب الصنعة الشعرية . ذلك أنها لم تعد شيئا يجده جمهور السامعين هناك حين لاينبغى وجوده ، بل شيئا يتمنون لو أنه كان موجودا فلا بد إذن من تبرير غيابه (8) .

7 – أعتقد أن هنا تهكم من مرجليوث ، إذ لا أظن الأمر لغزا بسيطا (لو صح زعمه بطبيعة الحال) . أما د. الجبورى و د.المهنا فقد ترجما " slight " بـ " محيّر " ، ولا أدرى لماذا ، إلا إذا كانا يريدان المعنى البعيد الذى كان فى ذهن مرجليوث لا معنى النص المباشر .

8 – أعتقد أن ترجمتى لهذه الفقرة واضحة تماما . وقد أكون فى ذلك مخطئا ، ولكن هكذا أظن . أما بالنسبة للترجمات الثلاث الأخرى فإن ترجمة د. بدوى أفضلها من حيث الصياغة والوضوح ، وتليها ترجمة د. المهنا ، التى تعانى من شىء من الاضطراب والغموض ، على حين تسود الركاكة والاستغلاق ترجمة د. الجبورى ، علاوة على خطئه فى ترجمة الجملتين الأوليين اللتين أداهما على

وتتـوافق النصـوص السـالفـة إلى حد مـا على الأقل مع بعض الأفـكار اللاحقة [9]. لقد كان الشعراء فى بعض الأحيان يتنكرون لما قطعوه على أنفسهم من عـهود بحجة أن القرآن قد ذكر أنهم كذابون بحكم المهنة [٢] . ثم إنهم لم يقروا فقط بأن الجن يلهمونهم ، بل كانوا يستطيعون فى بعض الأحايين أن يسمّوا بعض هؤلاء المرشدين الباطنيين[٣] . وعلى رغم أن قوله : " فى كل واد يهيمون " يمكن أن يكون مجرد مجاز معناه أنهم يمارسون خيالهم " فى كل نوع من الكلام " [٤]، فـمن الممكن أيضا أن يكون مـعناه أنهم " يعبثـون مع النساء فى كل واد" .واتساقا مع هذا نجد معظم القصائد تبدأ بموقف شهوانى يفعل فيه الشاعر ما تمّ وصفه[10] . ويبدو النبى نفسه فى بعض الحكايات على جهل مطبق بفن الشعر[٥] . وطبقا لإحدى الروايات نراه يؤكد أنه خير للشخص أن يمتلئ جوفه بأى شىء[11] من أن يمتلئ شعراً [٦] . ومع ذلك نجد أن بعض

٢- الأغانى / ط٢ / ١٣ / ٤٨ .

٣ - رسائل أبى العلاء / ٦٦ .

٤ - الراغب الأصفهانى .

٥ - الأغانى / ١٣ / ٦٤ ، و٢٠ / ٢ .

٦ - مسند ابن حنبل / ٢ / ٣٣١ .

النحو التالى : " وعلى أية حال ، فإن أسلوب هذه الاية الأخيرة تُظهر صراحةً اختلاف شكل عن آخر. ومن ناحية أخرى فإن الموهبة تتميز بمكانة مرموقة " (ص/ ٤٥) .

9 - أخطأ د. الجبورى فترجمها بـ " الأفكار السابقة " (ص/ ٥٥). وأرجّح أن هذا الخطأ منشؤه السهو .

10- أخطـأ د. الجبورى أيضا فى ترجمـة هـذه العـبارة ، إذ قـال : "بينمـا يحـقق الشـاعـر مـا يصـف" (ص/ ٥٥) . ويبدو أنه قرأ " wherein " على أنها " whereas" أو ظنها بنفس المعنى ، ولذلك ترجمها بـ " بينما " ، على حين أن معناها " حيث " .

11 - فى النص الإنجليـزى " بأى شىء : with anything " ، لكن د. المهنا ترجم العـبارة هكذا : "لأنْ يمتلئ جوف أحدكم قيحا " ، وبهذا ابتعد عن الأصل ، وإن كان قد ذكر الحديث بنصه . أما د. بـدوى فإنه ترجم الحديث بالمعنى ، إذ قال : "الأولى بباطن الإنسـان أن يُملأ بأى شىء ، ما عـدا

الأشعار قد عُزِيت إليه فى واقع الأمر، وفى بعض الأحيان نراه ينقد الشعر(٧) ويرويه (٨) . وثمة حديث مشهور يخلع فيه استحسانه عليه (٩) .

ومن بين الكم الهائل (12) من النقوش الجاهلية التى فى حوزتنا الآن باللهجات المختلفة لا يوجد أى شىء منظوم شعرا . وهى حقيقة جديرة بالملاحظة على نحو خاص فى حالة النقوش التأبينية ، ما دامت معظم الأمم الأدبية تستعمل الشعر فى هذا اللون من التأليف . وهكذا فإن الأدب اللاتينى يبدأ بقَبْرِيّات الشّبيونين (13)، وهى من البحر الساتورنى . وبالنسبة

٧- البيضاوى فى تفسير الاية ٦٩ من سورة " يس " .

٨ - الأغانى / ١١ / ٧٦ .

٩ - تلبيس إبليس / ٢٤٠ .

الشعر" (ص / ٩٠) . وقد وازنت أنا بين عبارة الحديث الشريف والالتزام بالأصل الإنجليزى فيما يتعلق بكلمة " anything " ، لأن مرجليوث لو كان قد أراد " قبحا " لما منعه مانع من أن يقول ذلك .

12 - " الهائل : considerable " هنا صفة لـ " the mass " ، أى الكمّ . لكن د. الجبورى ترجم العبارة كالآتى : " ليس فى النقوش التى نملكها من أهل الجاهلية ذوى الشأن ... " (ص / ٥٥) ، وهو خطأ ظاهر .

13 - " the epitaphs " هى النقوش المكتوبة على شواهد القبور . وقد ترجمتها بـ " القَبْرِيات " ، كلمةً واحدة ، على عكس د. المهنا (١ / ١٢) ود. الجبورى (ص / ٥٥) ، اللذين استعملا فى نقلها عدة كلمات ذكرا فيها أنها كتابات أو نقوش على الأضرحة ، رغم أنه لا ذكرَ هنا للأضرحة . أما د. بدوى فقد ترجمها بـ " المراثى " (ص / ٩٠) ، وهى ترجمة غير دقيقة ، لأن المراثى أوسع من ذلك وأعم كثيرا .

كذلك فإن د. بدوى هو الوحيد من بين الثلاثة الذى ترجم " The Scipios " ترجمة صحيحة (ص / ٩٠) ، فقد ظنها د. المهنا اسم شخص مفرد (١ / ١٢) رغم وجود " the " ، التى تدل على الجمع فى مثل هذه الحالة . أما د. الجبورى فقد ترجمها على النحو التالى : " ما يُكتَب على الأضرحة من السيبيوس " (ص / ٥٥) ، وهى ترجمة غير مفهومة .

للنقـوش الليديّة[14] المكتشفة حديثًا ، فرغم أنها الآن غير مفهومة فإن الملاحظ أن عددا كبيرا منها قد جاء موزونا . ومن هنا فإننا ما كنّا لنستطيع، من خلال قراءة النقوش العربية القديمة ، أن نخمّن أن العرب كانت لديهم أية فكرة عن الوزن أو القافية ، على رغم أن الحضارة التى يمثلونها كانت فى كثير من جوانبها [15] على درجة راقية من التقدم . ومع هذا فحين يتحدث القرآن عن [illegible] فمن المنطق أن نفترض أنه يشير إلى هذه

الشعر فى أوائل القرن الثالث الهجرى مختلف جدا ، ففى عبارات غامضة نوعا ما ، وإن لم تختلف عما قاله هوراس ، نراه يؤكد أنه لم يكن هناك من سبيل عند العرب القدماء لتخليد المعالى إلا اتخاذ القصائد لها قيوداً . فالقصائد هى خفَراء المعتركات والمقامات ، بل إنهم لَيَدْعونها " سؤددا محدودا" [18] . وهى عبارة قد يكون معناها أن القبيلة التى تضم أحسن الشعراء تسود ، داخل حدود معينة ، غيرها من القبائل [١٠] . وبناء على

١٠ - ديوان أبى تمام / بيروت / ١٨٨١ م / ٨٣ .

18 - أولا : لم يقل مرجليوث إن أبا تمام هو جامع ديوان " الحماسة "(هكذا بالنص) ، بل سماه "the antiquarian" ، أى المهتم بالآثار القديمة . والمقصود أنه كان مهتما بجمع الشعر القديم ، وهو ما تمثَّل فى جمع ديوان " الحماسة " .

ثانيا : يشير مرجليوث ، بما نسبه إلى أبى تمام من رأى فى الشعر، إلى قوله من قصيدة دالية :

إن القوافى والمساعى لم تزل	مثل الجمان إذا أصاب فريدا
هى جوهرٌ نَثْر ، فإن ألّفتَه	بالشعر صار قلائدا وعقودا
فى كل معترك وكل مقامة	يأخذن منه ذمّةً وعهودا
فإذا القصائد لم تكن خفراءها	لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العربُ الأُلى	يدعون هذا سؤددا محدودا
وتندّ عندهم العُلَى إلا عُلًى	جُعِلَتْ لها مُرَرُ القصيد قيودا

ويلاحظ القارئ أنى حاولت بكل طاقتى أن أحافظ على عبارة أبى تمام .أما د . بدوى فقد أدى ذلك بالمعنى ولم يرجع إلى أبيات الشاعر العباسى ، حتى إنه قد ترجم الكلمتين اللتين وضعهما مرجليوث بين علامتى تنصيص ، وهما " limited monarchy " ، بـ " ملكا محدودا " ، على حين أن نصهما فى قصيدة أبى تمام هو "سؤددا محدودا " (ص ٩٢) . لكن ترجمته ، مع ذلك ، ترجمة صحيحة ، على عكس ترجمة د. الجبورى المملوءة بالأخطاء والأوهام والغموض . وهذا نص كلامه : " فهو (أى أبو تمام) يؤكد فى كلمات إلى حد ما غامضة ، إضافة إلى أن بعض الاستعمالات التى من المحتمل أن يكون هوراس قد استخدمها ، يؤكد أن العرب الفطريين لا أمجاد تبقى لهم ما لم تقيَّد بالشعر . ذلك أنهم (يقصد العرب ، مع أن الضمير " they " هنا يعود على

هذا فالشعراء ليسوا عرافين غامضين ، بل يسجلون الوقائع ويستعينون بمواهبهم على تخليدها . وهذا الرأى نجده عند الجاحظ البصرى ، معاصر أبى تمام الغزير الإنتاج [١١] [19] . وليس من السهل أبدا أن نحاول التوفيق بين هذه النظرية وأقوال القرآن عن الشعر وموقفه العام منه[20] . وهذه النظرية تنطبق بكل سهولة على ديوان أبى تمام نفسه ، فهو يخلّد إنجازات ممدوحيه من مثل اقتحام المعتصم لعمورية . كما تنطبق إلى حد كبير على القطع الشعرية التى

---

١١ - البيان والتبين / ٢ / ١٨٤ .

القصائد لا على العرب) كانوا حماة للمعارك والمشاهد المهمة الأخرى . وكانوا كذلك يدعون بـ "الدولة الملكية المقيدة " ... " (ص / ٥٦) . وعبثًا نتساءل : ما معنى " يدعون بالدولة الملكية المقيدة "؟ ثم ما دخل" الدولة الملكية المقيدة " هنا ؟ ثم إن قوله : " إضافة إلى أن بعض الاستعمالات التى من المحتمل أن يكون هوراس قد استخدمها " هو كلام معلّق لا شيء يربطه بما حوله ، فضلا عن بُعْده عما أراده المستشرق البريطانى تمامًا .

والغريب أن د. المهنا ، برغم رجوعه إلى أبيات أبى تمام ، قد جانبه الصواب فى ترجمة بعض الجمل : فمثلا وقع فى نفس الخطإ الذى وقع فيه د. الجبورى حين ظن أن الضمير " they " ، وهو الضمير العائد على القصائد كما قلت قبل قليل ، إنما يعود إلى العرب ، ومن ثم ترجم الجملة كالآتى : " وذلك لأنهم كانوا فرسان المواقع والمشاهد المهمة الأخرى ، بل إنهم يدعون " سؤددا محدودا " ... " (١ / ١٣) ، مع أنه ليس فى النص الإنجليزى " فرسان " بل " guardians " ، وهى ترجمة كلمة " خفراء " فى قصيدة الطائى . والمقصود ، كما جاء فى ترجمتى ، أن القصائد هى خفراء المساعى ، أى تقيّدها وتحرسها من الضياع من ذاكرة الأجيال . فانظر كم بعد المترجم عن المعنى المراد رغم رجوعه إلى أبيات أبى تمام !

19 - ترجمتُ كلمة " the polygraph " التى وصف بها مرجليوث الجاحظَ بـ " الغزير الإنتاج " . وهذه الكلمة تعنى فى الأصل " الآلة الناسخة ". وقد ترجمها د. بدوى بـ " الواسع التأليف " (ص/ ٩٢)، وهى ترجمة جيدة . أما ترجمتا د. الجبورى ود. المهنا فقد خلتا منها .

20 - فى ترجمة د. الجبورى (ص / ٥٧) لهذه الجملة نقرأ الآتى : " إنه ليس من السهل أن نوفق بين هذه النظرية وبين الروايات ، وبخاصة مع الموقف العام للقرآن ". والجملة هكذا مفككة ولا تعطى المعنى المراد .

جمعها فى ديوان " الحماسة "،إذ إن كثيرا منها ذو طابع تاريخى أو ذاتى [21] وبعيدا عن الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ، فالمفترض هنا أنهم يسجلون ما قاموا به فعلا أو ما رأوا غيرهم يفعله . وفى الواقع لو أن عربيا من عصر إسماعيل فصاعداً قد فعل شيئًا ما لكان ، فيما نفهم ، قد خلّد ذكراه فى قصيدة . بيد أن مجموعة من القصائد التى أخذت على عاتقها تخليد بعض الأحداث التاريخية هى فى الواقع لون من الأدب لا يستحق بأى حال الاحتقار الذى يبديه نحوها القرآن ، فضلا عن أن نصوصا أخرى منه ، كما سنرى بعد قليل ، تستبعد وجوده ، فيما يبدو ، تماما [22].

ومع هذا فإن الأثريين [23] المسلمين الذين ظهروا فى أواخر العصر الأموى لم يكن من رأيهم فقط [24] أن هناك تراثا من الأدب القديم من هذا

21- زاد د. المهنا فى آخر هذه الجملة قوله : " صيغت على نحو ملائم "، ولاأدرى لماذا ، فضلا عن أنها غامضة المعنى . وقد جاء كلامه هكذا : " ... لأن كثيرا من هذه القصائد تاريخية أو سيرا ذاتية صيغت على نحو ملائم " (١ / ١٣) .

22 - رغم اختلاف الطريقة التى ترجم بها كل من د. بدوى ود.المهنا هذه الجمل عن طريقتى فإنهما قد قالا تقريبا نفس المعنى الذى قلته . أما د. الجبورى فها هو ذا نص ترجمته : " وهكذا بعيدا عن أقوال الشعراء ، ما الذى لم يفعلوه ، وهم يفترضون هنا بأنهم يسجلون عادةً ما يفعلونه أو ما يرون أنهم فاعلوه ، وحتا فإن أى عربى منذ عهد إسماعيل فما بعد إذا عمل أى شىء فهو يخلد ذكراه فى قصيدة ، ويتكون الأدب بعامة من شكل القصائد التى يخلد بها التاريخ . وكانت هذه القصائد جديرة بلهجة الازدراء التى أطلقها القرآن ، والتى توجد كما سنرى فى فقرات أخرى من القرآن للنبذ المطلق " (ص / ٥٧) . وهى ، كما ترى ، ترجمة يسربلها الغموض وتعجّ بالأخطاء .

23 - archaeologists . وقد ترجمها د. بدوى أيضا بـ" الأثريين " (ص / ٩٢) ، أما د.الجبورى فقد قال :" علماء الآثار " (ص / ٥٧). وتصرف د.المهنا فى ترجمتها قائلا : " العلماء المسلمون القدامى " (١ / ١٣) .

24 - يقول د. بدوى فى ترجمة هذا الجزء : " لكن الأثريين المسلمين ... ليس فقط يقررون وجود هذا

النوع فى شبه الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى ، بل ادعوا أيضا أن بين أيديهم أجزاء كبيرة منه . وهناك ما يبعث على الظن بأن أولئك الذين رووه أولا كان عليهم أن يواجهوا بعض الريبة ، فعندما ألف الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) كتابه عن النظام العروضى الذى أخذه ، كما يقول : عن القبائل العربية نجد أن أحد معاصريه قد وضع كتابا يبرهن فيه على أن الموضوع كله لا أصل له [١٢] . والحقيقة أن تاريخ بداية الشعر العربى أمر بعيد عن الوضوح، فأحد العلماء الثقات يعود به إلى آدم [١٣] ، بينما نجد عالما آخر يروى شعراً ينتمى إلى عصر إسماعيل [١٤] . كذلك فعلى رغم أن عواهل اليمن كانوا يكتبون نقوشهم بلسانهم وبلهجاتهم هم ، فإن الأشعار التى كانوا ينظمونها من حين إلى حين قد جاءتنا ، فى رواية الأثريين المسلمين ، بلغة القرآن نفسها[١٥] . وعلى أية حال فإن الرأى الشائع ، فيما يبدو ، هو أن الشعر العربى بالشكل الذى تُعَد فيما بعد قد بدأ فى الأغلب قبل نشوء الإسلام بأجيال قليلة . ويأخذ الأب شيخو [١٦] بما يقوله صاحب " الأغانى " [١٧] من أن المهلهِل أخا كُلَيْب ، الذى

١٢- إرشاد الأريب / ٢ / ٣٦٦ .

١٣- مروج الذهب / ١ / ٦٥ .

١٤- الأغانى / ٧ / ١٠٤ .

١٥- الطبرى /١/٩٠٦ ، والأغانى /١١٨/١٣ ، و ٩/٢٠ .

١٦- شعراء النصرانية / ١٦٠ .

١٧- الأغانى / ٢٠ / ١٥ .

القسم من الأدب القديم الذى من هذا النوع ... بل يدَّعون تقديم قطع كبيرة منه إلى الناس " (ص/٩٢) . ولست مرتاحًا إلى عبارة " ليس فقط يقرون ... " ، إذ هى ركيكة .

اشتهر عام ٥٣١م [25] والذى يُنظَر إليه بوصفه أحد مفاخر بكر بن وائل [١٨]، هو أول من أطال القصائد وأدخل فيها النسيب . أما ما المقصود بالطول هنا فغير واضح [26] . ومع ذلك فيبدو أن المراد هو أنها تجاوزت العشرين بيتا ، مادام أحد الشعراء ، وهو البرّاق ، الذى يضعه شيخو فى عام ٤٧٠م ، قد نُسبت إليه قصيدة بهذا الطول [١٩]. على أن لدينا شيئا أدق من هذا فى حالة الأغلب ، الذى يقال إنه أول من أطال الرَّجَز ، إذ شرحوا ذلك بأن المراد به أكثر من بيتين [٢٠] [27] . ويقال إن هذا الرجل قد تُوُفّى عام ٢٣ هـ فى معركة نهاوند. ولما كان قد بلغ التسعين آنئذ فإن مولده يتزامن مع تاريخ اشتهار المهلهل . ومع ذلك فإن أحد الثقات الكبار يؤكد أن أول من نظم أكثر من بيتين من الرَّجَز هو العجاج ، الذى عاش فى العصر الأموى [٢١] . كذلك لم تمر دعوى أولية المهلهل فى إطالة القصائد دون معارضة ، إذ إن هناك قصائد ذات مقدمات غزلية ترجع إلى تاريخ أبعد من ذلك كثيرا [٢٢] . كما أن ثمة رأيا

١٨- الأغانى / ٢ / ١٥ .

١٩- شعراء النصرانية / ١٤٢ .

٢٠- الأغانى / ١٨ / ١٦٤ .

٢١- المزهر / ٢ /٢٤٣ .

٢٢- الأغانى / ١١ / ١٥٤ (خزيمة بن نهد) .

---

25 - ترجم د. الجبورى كلمة "floruit" بـ "مهلك" ، أى وفاة (ص / ٥٨) ، وسوف يترجمها بعد عشرة أسطر بـ " حياة ". وكلتا الترجمتين خاطئة .

26- هذه الجملة لا وجود لها فى ترجمة د.المهنا (١ / ١٤) .

27 - " more than a couple of verses : أكثر من بيتين " . ومع ذلك فقد ترجمها د. الجبورى بـ " أكثر من زوجين من الأبيات " (ص / ٥٨) .

قويا جدا يؤكد أن أول شاعر هو امرؤ القيس (28) ، الذى أتى بعد المهلهل بقليل. وبالمثل يقال عن أعشى قيس ، الذى يؤرخ موته (*) بعام ٦٢٩م حسبما ذكر شيخو ، إنه أول من تكسب بشعره (٢٣). بيد أن عَبِيد بن الأبرص ، الذى يسبقه فى الزمن كثيرا ، كان أحد المبرزين فى (29) هذا الفن الشعرى (٢٤) . ثم إن عنترة ، الذى أتى قبل ذلك بقليل ، لم يكن ينفر قط من هذا الأمر أو لم يكن غريبا عنه (30) .

(*) فى النص الإنجليزى : " whose death-rate was in A.D. 629 " . وواضح أن ها هنا غلطة مطبعية صوابها " death-date " ، إذ معنى " death-rate " هو معدل الوَفَيَات . ولامكان لذلك هنا – المترجم .

٢٣ – الأغانى / ٨ / ٧٥ .

٢٤ – ديوان عبيد / تحقيق تشارلز لايال / ٥٧ .

28– هناك غلطة نحوية في ترجمة د. الجبورى لهذه الجملة ، إذ قال :" فهناك مصدر هام يؤكد أن أول شاعر كان امرؤ القيس " (ص / ٥٨) ، برفع " امرؤ " رغم أنه خبر " كان ". ولعل السبب فى ذلك هو أن مرجليوث قد كتب هذا الاسم بالحروف اللاتينية مرفوعا ، وقد جاء عنده بعد " was " ، ومعناها " كان "، فسها د. الجبورى ونقله كما هو . ومعروف أن المستشرقين ، وهم يكتبون بلغاتهم ، يلتزمون نطقا واحدا للاسم هو الرفع .

29 – عند د. الجبورى : " أستاذ هذا الفن " (ص / ٥٩) ، وعند د. المهنا : " سيد هذا الفن " (١٤/١). وكلتاهما ترجمة غير دقيقة ، و الصواب هو ما ذكرناه ، لأن مرجليوث لم يقل : "the master of this art " بل " ... a master of " ، وترجمتها : " أحد أساتذة /أحد سادة/ أحد المبرزين فى ... "

30 – عَكَسَ كل من د. الجبورى ود.المهنا معنى الجملة الأخيرة رأسا على عقب ، إذ جعلا عنترة كارها للتكسب بالشعر ولا يعرف هذا الفن . وهذه عبارة كل منهما على الترتيب : " ولكنه على العموم نفور أو كاره للسؤال " (ص / ٥٩) ، " وكان عنترة العبسى ... كارها قطعا لهذا الفن أو غير ملمّ بأسلوبه " (١ / ١٤) . وفات الأول أن مرجليوث قد استخدم فى نفى كراهية عنترة للاستجداء بشعره عبارة " by no means " ، أما الثانى فقد ظن ، فيما يبدو ، أن معناها " قطعا " كما هو

ومن الممكن[31] أن تكون الدعوى الخاصة بالمهلهل قد قامت على أساس من اسمه ، إذ هو يعنى " صانع النسيج الرقيق " ، الذى فُسِّر بـ " النسيج الشعرى " ، على حين أن تفسير الاسم بـ " الملفّق " كان سببا فى ظهور الرأى العجيب القائل بأنه أول شاعر حاد عن الصدق [٢٥] .

وإذا صدقنا الرواية التى تعزو إليه اختراع القصائد فلابد أن نقرّ بوجود مقلدين كثيرين له[32]. ذلك أن لدينا كومة هائلة من الأسفار التى تتضمن دواوين عدد كبير من الشعراء المنتمين إلى الفترة الواقعة بين اختراعه هذا والهجرة النبوية . كذلك فلأصحاب المعلقات المشاهير جميعا دواوين معظمها منشور ويقع فى عدد ضخم من الصفحات . وإلى جانب هذا يوجد عدد من الشعراء الغزيرى الإنتاج من غير الخالدين العشرة . ثم إن القصائد التى نظمها شعراء إحدى القبائل قد جُمِعت معا فى عدة مجاميع[33] ، وأحد هذه المجاميع قد تم نشره فعلا . ولما كانت هذه القصائد بطبيعتها تعنى أن العرب كانوا على

٢٥- الأغانى /٤/١٤٨ .

هنا ، وليس بين ما قلته هنا وما قلته فى كتابى عن عنترة بن شداد من أن ديوان ذلك الشاعر يخلو من المديح أى تناقض ، إذ المفروض حين نترجم أن ننقل كلام الأصل كما هو ، بغض النظر عن موافقتنا له أو مخالفتنا إياه .

31- It is probable... . وفى ترجمة د.المهنا :" ومن الراجح أن ... "(١ / ١٤) ، وهذه غير تلك.

32 – فى ترجمة د. الجبورى لهذه الجملة شىء من الاضطراب فى التركيب والغموض فى التعبير والخطإ فى النقل إلى العربية . قال : " وإذا كنا نأخذ بعين الاعتبار القصة التى تنسب إليه فإن اختلاق (القصيدة) على أنها تاريخية يدفعنا أن نسلم بأنه وجد له عدد كبير من المقلدين" (ص / ٥٩) .

33 – فى ترجمة د. الجبورى : " مجموعة " بالإفراد . وأعتقد أنه مجرد سهو ، لأنه أشار إليها بعد عدة كلمات بقوله : " هذه المجموعات " (ص / ٥٩) .

معرفة بحروف الهجاء ، ولما كانت فى كثير من الأحيان تذكر عملية الكتابة ، فلا بد أن عرب الجاهلية ، الذين كانوا يستعملون اللهجة القرآنية ، كانوا أمة أدبية راقية [34] . لكن اليونان القديمة نفسها لا تستطيع بسهولة أن تقدم مثل هذا العدد الكبير من أرباب الشعر .

وأول سؤال يعن لنا هو : لنفترض أن هذا الأدب كان صحيحا ، فكيف وصل إلينا ؟ الجواب هو أنه وصل إلينا إما شفاها وإما كتابة . ويحظى الافتراض الأول ، فيما يبدو ، بالقبول من العلماء العرب ، وإن لم يتحقق له الإجماع كما سوف نرى . ويُرْوَى عن الخليفة الثانى التأكيدُ بأن الشعر الجاهلى، وإن أُهْمِلَ فى الفترة الأولى من تاريخ الإسلام وخلال السنوات التى ازدحمت بالغزو ، فقد راجع المسلمون روايته عندما حل السلام . ومع ذلك فلم يكن عندهم كتب مدونة يمكنهم الرجوع إليها . ولما كان معظم العرب الذين أسلموا قد هلكوا بالقتل أو بالموت فقد ضاع أكثر الشعر ولم يبق منه إلا القليل [٢٦] .

والحق أنها مفارقة غريبة أن يُعْزَى هذا القول إلى الخليفة الثانى . ذلك أن السلم لم يتحقق إلا فى عهد أول خليفة أموى بعد نحو ثلاثين سنة من وفاته . كذلك من السخف أن يقال إنه لم يُحْفَظ من الشعر إلا القليل [35] إذا كان ذلك

٢٦- المزهر / ١ / ١٢ .

34- جاءت هذه الجملة عند د. الجبورى على النحو التالى : " وغالبا ما تشير كتابتها إلى عرب الجاهلية الذين استعملوا لهجة القرآن " (ص / ٥٩). وليس هذا هو ما أراده مرجليوث .

35 - قال د. الجبورى فى ترجمة هذه الجملة : " وكذلك من غير المعقول القول بأن الذين عاشوا من الحفاظ قلة " (ص / ٦٠) ، وهو خطأ ، إذ ليس الاعتراض فى كلام مرجليوث على أن أحدا قال إن عدد

القليل صفًا كاملا من الأسفار . ومع هذا فلو أن عددا كبيرا من القصائد الطويلة قد حُفظ عن طريق الرواية الشفوية فإن ذلك ما كان ليتمّ إلا إذا كان هناك أشخاصٌ كلّ وظيفتهم هى حفظ الشعر فى ذاكرتهم ونقله إلى الأجيال التى تليهم . غير أنه ما من سبب يدعونا إلى الاعتقاد بوجود مثل هذه الوظيفة أو أن تكون قد اجتازت العقود الإسلامية الأولي[٢٧] . إن " الإسلام يجُبّ ما قبله " . كما يقول القرآن إن الشعراء يتّبعهم الغاوون ، فضلا عن أنه يتحدث عنهم بقسوة وتحقير . إذن فقد كان هناك سبب يدعو إلى نسيان الشعر الجاهلى ، إن كان قد وجد مثل هذا الشعر[36] . كما أن هناك سببا آخر قد يكون ذا تأثير قوى[37] ، فالانتصارات القبلية هى الأعمال التى يُفترَض عادة فى الشعر أن يمجّدها . إلا أن الإسلام ، الذى كان يهدف إلى توحيد العرب

---

٢٧ - ذكر الثعالبى (فى كتابه " غُرَر أخبار ملوك الفرس " / ٥٥٦) أن سوار بن زيد كان راوية أهل الحيرة . ومما رواه سوار هذا أبياتٌ من الشعر العربى لملك من ملوك الفرس . وكان راويةُ أهل الكوفة مسلما (المبرد / الكامل / ١ / ٣٥٨) .

الحفاظ الذى عاشوا كان قليلا ، بل على القول بأن الشعر الذى بقى فى ذاكرة العرب قليل فى الوقت الذى ملأ فيه ذلك الشعر المجلدات الضخام .

36 - فى ترجمة د. بدوى : " إن كان قد بقى منه شيء "(ص / ٩٧) . وليس هذا ما أراده مرجليوث ، وإلا لجاءت عبارته هكذا : " if any still existed " . أما وليس فى عبارته كلمة " still " فالصواب هو ما قلناه وقاله المترجمان الآخران ، وإن اختلفت الصياغة عند كل منا عن زميليه . ولا أدرى كيف فات د. بدوى أن مرجليوث ينفى وجود الشعر الجاهلى وشعرائه جملة ، ومن ثم فلا يمكن أن يقول ما يُفْهَم منه أنه كان هناك شعر فى الجاهلية ولكنه ضاع مع الزمن .

37 - عند د. الجبورى : " ولأجل ذلك فقد كان هناك سبب قوى لنسيان الشعر الجاهلى ، إذا وجد حقا شعر جاهلى ، ومن الممكن أن يؤثر ذلك السبب بقوة " (ص / ٦٠) . والجملة الأخيرة غير صحيحة بالمرة ، والصواب هو ما ترجمناه وترجمه كذلك المترجمان الآخران كلّ بطريقته .

ونجح إلى حد كبير فى تحقيق هذا الهدف ، كان يثبّط حفظ هذا اللون من الشعر الذى كان من شأنه أن يثير الفتن . ومن المؤكد أن القصائد التى بهذا الشكل ما لم تسجَّل كتابة فإن مصيرها هو النسيان [38] . كذلك كان يُنْظَر إلى الأعراب على أنهم قوم لا يوثق بهم ولا بما يروونه من أشعار [٢٨] [39] . ومن هنا فإن الروايات الشفوية التى تصل عن طريقهم لا تتمتع بكبير مصداقية .

ويبقى الاحتمال الآخر ، وهو أن تكون هذه القصائد قد حُفِظت عن طريق الكتابة . وإذا لمعت هذه الأشعار فى الخافقَيْن ، كما جاء فى إحداها ، وقيل حين تُنْشَد : " من قالها ؟ " [٢٩] كان احتمال تسجيلها كتابةً احتمالا كبيرا ، إذ إن مضاعفة النُّسَخ حينذاك ستكون عملا مربحا [40] . والواقع أن الإشارة فى

٢٨ - الأغانى / ١١ / ١٠٠ .

٢٩- الأغانى /١٢/١٢٣ .

38 - لا أدرى ما المقصود بكلمة " أهدائها " فى ترجمة د. المهنا لهذه الجملة ، التى أداها على النحو التالى : " والحق أن تلك القصائد إن لم تدوَّن كتابة فإن أهدائها كفيلة بنسيانها " (١ / ١٥) .

39 - فى ترجمة د. بدوى : " ... وأنهم متهورون فى أقوالهم عن الأشعار " (ص / ٩٧)، وهى عبارة غير واضحة المعنى . ومثلها عبارة د. الجبورى : " وهم بالفعل طائشون فى تصريحاتهم حول الشعر " (ص / ٦١) . وقد ترجمت أنا عبارة الأصل بالمعنى ، أما د. المهنا فكان التصاقه بالأصل أشدّ ، وجاءت ترجمته على النحو التالى : "و(البدو) متسرعون فى رواياتهم للشعر " (١ / ١٥)، وهى أفضل من ترجمة زميليه بلا جدال .

40 - ترجم د. الجبورى هذا الجزء على النحو التالى : " ويبقى هناك احتمال آخر هو أن هذه القصائد قد حُفِظت بالكتابة . وإذا صح هذا فإن مثل هذا الشعر ينتشر فى الآفاق كالبرق . وحين يتمثل الناس به يتساءلون من الذى نظمه ؟ إن احتمال اعتمادهم على الكتابة يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ، لأنه ينبغى أن يكون عملا مربحا لتكثير نُسَخ هذه القصائد " (ص / ٦١). وكما ترى ففى الترجمة بُعْد شديد فى أكثر من موضع عن المعنى المراد .

الشعر الجاهلى إلى عملية الكتابة هى من الشيوع بمكان (٣٠) ، بل إن بعض الشعراء يشيرون إليها فى سياق حديثهم عن أشعارهم . وثمة شاعر جاهلى فى ديوان الهذليين يرغب أن تُبَلَّغ عنه "مغلغلة (أى رسالة) تبرق فيها صحائف جُدُد وفيها كتابٌ (أى كتابة) لمقترئ (لمن يقرأ) " (٣١) (41) . ومن

٣٠ - يتحدث الحارث بن حِلِّزة ، فى البيت السابع والستين من معلقته ، عن عهود مكتوبة على " المهارق " .

٣١ - ط. كوزيجارتن / ١٣ .

أما د. المهنا فقد ترجم الجزء الأخير هكذا : " ولهذا كان من الممكن أن تكون هذه حرفة مفيدة لمضاعفة عدد نُسَخ القصائد " (١ / ١٥) . ومن الواضح أن قوله : " ولهذا كان من الممكن " ليس هو الترجمة الصحيحة لعبارة مرجليوث : "for it would have been (a profitable business to multiply copies) ".

كذلك فبينما حرصت أنا على استعمال عبارات البيتين الشعريين اللذين يشير إليهما مرجليوث بقوله : " كما جاء فى إحداها " ، وهما قول الحصين بن حمام :

وقافيةٍ غيرِ إنسيّةٍ قرضتُ من الشعر أمثالها
شرود تَلمعُ بالخافقَيْن إذا أُنشِدَتْ قيل : من قالها ؟

فإن المترجمين الثلاثة الآخرين قد أدوا هنا بالمعنى ، بما فيهم د. الجبورى ، الذى كان له الفضل فى إيراد هذين البيتين وكثير من النصوص النثرية والشعرية التى يحيل عليها المستشرق البريطانى من مصادرها .

41 - جاءت عبارة د. بدوى فى ترجمة هذه الجملة هكذا : " فإن أحد الشعراء الجاهليين فى مجموعة أشعار الهذليين يتوق إلى أن تُرْسَل إليه " (ص/ ٩٨) . والسؤال : " تُرْسَل إليه ماذا ؟ " . ثم أين بقية الكلام ؟ هذا ما لا أستطيع الجواب عنه . على أن الرسالة المشار إليها هنا ليست مرسلة إلى الشاعر بل منه ، كما هو واضح . وسوف نسوق الأصل العربى للكلام بعد أسطر .

أما د. الجبورى فقد فهم قول مرجليوث : "a message wherewith new scrolls gleam , wherein there is writing for him that will read " على أنه يعنى :

المؤكد أن الإشارة هنا لقصيدته هو. ويرى الشرّاح أن المقصود هو الكتابة الحِمْيَرية على العُسُب . وجاء فعلا فى بعض الروايات أن بعض أبيات الشعر الجاهلى قد كتبها بالخط المسند على رحل ناقته شخصٌ يُدْعَى قَيْسَبَة (٣٢) (42) ، وأن واحداً فى بلاط ذى رُعَيْن (43) ، الملك الحميرى ، قد كتب بيتين (44) آخرين

الأغانى / ١٢٥/١١ .

"رسالة تلتمع فيها صحائف جديدة سوف تقرأ " (ص / ٦١) . ويهمنى الوقوف عند جملة " سوف تقرأ " ، إذ ليس هذا هو المراد ، بل المراد هو : " وفيها كتابة لمن يقرأ " ، أى لمن يستطيع القراءة ، وهو ما عبر عنه الشاعر بقوله : " لمقترئ " . والطريف أن د. الجبورى (ص / ٩٧) قد أورد البيتين اللذين يشير إليهما المؤلف ، وهما :

أبلغ كبيرا عنى مغلغلةً	تبرق فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتاب ذبر لمقترئٍ	يعرفه البهم ومن حشدوا

فمن الغريب أن يترجم النص الإنجليزى هذه الترجمة الخاطئة رغم أن أصله العربى بين يديه .

42 – فى النص الإنجليزى : " written by one Qaisabah " أى كتبها شخص اسمه قيسبة . أما د.الجبورى (ص / ١٥) ود. المهنا (١ / ١٥) فقد قالا : " قيسبة " مباشرة ، وأهملا عبارة مرجليوث التى تفيد تجهيل قيسبة هنا . ويقول د. بدوى (ص / ٩٨) : " مكتوبة بخط كاتب يدعى قيسبة "، مع أن مرجليوث لم يقل إنه " كاتب " بل ولم يقله أيضا النص الذى جاء عنه فى كتاب " الأغانى " والذى أشار إليه المؤلف ، إذ هو فيه " مَلِك " كان يريد الحج فمر بإحدى القبائل فأسروه واستولوا على ماله وقيدوه . وظل هكذا ثلاث سنوات إلى أن مر عليه أبو الطمحان القينى فأعطاه قيسبة رسالة بالخط المسند يسلمها إلى أخيه فى اليمن لقاء مائة بعير يأخذها من ذلك الأخ.

43– عند د. بدوى أن كاتب الشعر " مادح لأمير حميرى " (ص / ٩٨) ، رغم أن النص الإنجليزى يقول : " a courtier : رجل من رجال البلاط ". وفى الأصل العربى :" كتب ذو رُعَيْن صحيفة وختمها وسلمها إلى أخيه عمرو ... إلخ" . والمقصود غالبا أنه أمر بكتابة الصحيفة لا أنه هو الذى كتبها بيده . وقد ترجمها د. المهنا (١ / ١٥) بأن ذا رعين هو الذى كتب فعلا البيتين ، جريا مع ظاهر النص العربى . وبالمناسبة ، فبدلا من " ذى رعين" نجد أنه عند د. بدوى" ذو الدرعين" ! (ص/٩٨) .

44 – جعل د. بدوى البيتين " قصيدتين " كاملتين (ص / ٩٨). والنص العربى يورد بيتين اثنين

فى صحيفة مختومة [٣٣] ، وإن كنا لا نعرف طبيعة الخط الذى كُتبا به [45] . وكان عند رأس الملك الحِمْيَرى ذى جدن ، الذى عُثر فى صنعاء على هيكله العظمى الهائل الحجم ، لوح فيه نثر مسجوع بالفصحى [46] ومكتوب بالحرف المسند فحسب [٣٤] . ومن أقرب الاحتمالات إذن أن يكون قد سجل أشعاره كتابة [٣٥] . كما نظم لَقِيط بن يَعْمُر الإيادى الشاعر الجاهلى قصيدة بعنوان : "كتاب بالصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إياد " [47] ، وذلك لتحذيرهم من حملة تأديبية يشنها عليهم أحد أكاسرة الفرس [٣٦] . وثمة شاعر جاهلى

٣٣- الأغانى / ١٠ / ٨ .

٣٤- الأغانى / ٤ / ٣٧ .

٣٥- فى " الأغانى " ١٢ / ١١٢ أن الشمردل " كتب " قصيدة .

٣٦- الأغانى / ١٠ / ٢٤ .

لا غير، وهما :

ألا من يشترى سهرا بنوم ... سعيد؟ من يبيت قرير عينِ؟

فإن تَكُ حميرٌ غدرت وخانت ... فمعذرة الإله لذى رعينِ

45 - ترجم د. بدوى هذا الاستدراك الأخير خطأ فقال : " وإن كان لم يذكر ماذا كان مكتوبا " (ص / ٩٨) ، مع أن العبارة الإنجليزية تقول : "though the nature of the script is not stated ". والمقصود بالـ " script " هنا هو " الخط " . وقد سبق ، قبل أسطر قلائل ، أن استخدم مرجليوث هذه الكلمة بالمعنى الذى ترجمتُها به ، وذلك فى قوله : " in the Himyari script". كذلك فإن الأصل العربى قد وضح " ماذا كان مكتوبا " ، إذ أورد نص البيتين المشار إليهما .

46 - عند د. المهنا : " كتابات مسجوعة بالعربية القديمة " (١٦/١). وفى النص الإنجليزى: "in classical Arabic" ، والمقصود " العربية الفصحى " لا القديمة ، إذ إننا لا نستعمل "القديمة" فى هذا السياق إلا للتمييز بينها وبين " العربية الحديثة أو المعاصرة " . وليس هناك ما يدعو إلى مثل هذا التمييز هنا .

47 - نسى د. بدوى (أم الطابع ؟) أن يكتب عنوان القصيدة ، فجاءت ترجمته هكذا : " والشاعر

آخر يستشهد بحكمة يمليها بعضهم من أحد الرقوق [٣٧] [48] . وعلى هذا فربما لايكون هناك شيء يتعارض مع ما تقوله هذه القصائد إذا ما تخيلنا أنها كانت تُتَداوَل بانتظام عن طريق الكتابة .

ورغم ذلك فإن وجود أدب جاهلي فصيح مصوغ بلهجة القرآن ومكتوب بالخط المسند أو بغيره يتناقض ، فيما يبدو ، مع أقوال القرآن وافتراضاته إلى الحد الذي لا يمكن تبوله معه [49] ، فالقرآن يسأل خصومه من أهل مكة قائلا : "أم لكم كتاب فيه تَدْرُسون ؟ " (القلم / ٣٧) ، كما يتساءل عنهم بقوله : "أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟ " (نفس السورة / ٤٧) . وهو قد أُنْزِل إلى

٣٧- ديوان الهذليين / ط. كوزيجارتن/١٥ .

الجاهلي لقيط نظم قصيدة ليحذرهم من حملة تأديبية سيقوم بها ضدهم ملك فارسي " (ص / ٩٨). والكلام على هذا النحو ناقص ، إذ إن هناك سؤالا هو " هذه الحملة التأديبية ستكون ضد من ؟ ". ذلك أن الضمير في " ضدهم " (في ترجمة د. بدوي) لا يجد ما يعود عليه ، وهو كلمة "الإياديين " التي في العنوان المنسي .

48 - يبدو أن بعض الكلمات قد سقطت من ترجمة د. الجبوري لهذه الجملة ، إذ جاء كلامه هكذا : "ويتمثل الشاعر الجاهلي بالشواهد التي تقرأ الرقوق من قبل من أملاها " (ص / ٦١) . ترى هل سقط حرف الجر " من " قبل كلمة " الرقوق " ؟ علاوة على أن عدم ضبط الكلام هنا يجعل القراءة والفهم عملا مرهقا .

49 - ترجم د. الجبوري هذه الجملة كالآتي : "ولم يزل وجود الأدب الجاهلي الذي جاء بلغة القرآن في الكتابة الحميرية أو بأي خط آخر يبدو الاختلاف الكبير بين الروايات وبين افتراض القرآن باستعمالها" (ص / ٦٢) ، وهو كلام لا يخرج منه القارئ بمعنى مفهوم . أما ترجمة د. المهنا فإنها بدأت مفهومة ، بيد أنها في نهايتها صارت غامضة غير واضحة المعنى . قال : " إن وجود أدب قديم قبل الإسلام بلغة القرآن بالخط الحميري يبدو متعارضا تعارضا شديدا مع ألفاظ القرآن وأوامره في أن تكون محل نظر"(١٦/١). إن من الخطإ تماما ترجمة "the statements and assumptions of the Qur'an" بـ " ألفاظ القرآن وأوامره" ، علاوة على أن نص الترجمة يخلو من المقابل لعبارة

قـــوم مـــــا أُنْذِر آباؤهم" (يس / ٥) ، ولا " أتاهم من نـذير من قَبْلك " (السجدة/٢، والقصص / ٦٦) . طائفتان فقط أُنْزِل عليهما كتاب[50] هما اليـهود والنصارى (الأنعام / ١٣٧) ، أما الوثنيون فلم ينزل عليهم شيء . وهذا أمر يصعب القول بأن القرآن قد أخطأ فيه . إن من الممكن أن يصف مبشر مُرْسَل إلى الهندوس كتبهم بأنها ضارة|ولا| قيمة |لهـا [51]، بيد أنه لا يمكنه أبدا أن ينكر وجودها . ولو كان لدى الجاهليين شعر مكتوب لكان معنى ذلك أن عندهم كتبا كثيرة (وكتبا " موحـاة " بالتأكيد[52]) ربما لا تحـض على الفضيلـة (وإن لم تكن كلها كذلك كما سنرى) ، لكنها كافية لجعل الإجابة على أسئلة القرآن المار ذكرها بالإثبات ، رغم أن القرآن كان بالتأكيد يفترض

"or indeed in any other script" . ثم إن قوله : " يبدو متعارضا تعارضا شديدا مع ألفاظ القرآن وأوامره فى أن تكون محل نظر" لا علاقة له البتة بالأصل الإنجليزى . وهذا يظهر من مقارنته بما جاء فى ترجمتنا .

50 - سها د. بدوى فذكر الضميرين العائدين على " أمتين " (فى ترجمتى أنا " طائفتان " ، تمشيا مع ما جاء فى القرآن الكريم :" أن تقولوا : إنما أُنزِل الكتاب على طائفتين من قبلنا" / الأنعام / ١٥٦)، وذلك فى قوله :" إن أمتين فقط ، اليهود والنصارى ، هما اللذان أوتيا الكتاب "(ص/ ٩٩) .

51 - يقول د. الجبورى فى ترجمته : " إن المرسَل للتبشير للهندوس يجب أن يحرم كتبهم على أنها لا قيمة لها ومضرة " (ص / ٦٢) ، مترجما " might " ، كما هو واضح ، بـ" يجب أن " ، بدلا من " من الممكن أن " ، وهو الصواب . أما " يحرم " فربما كانت خطأ مطبعيا نشأ من حذف نقطة الجيم فى " يجرم " .

52 - لا أظن أن مرجليوث يقصد أن كل الكتب ستكون كتبا موحًى بها (أو ملهمة) ، كما فى ترجمتى د. الجبورى (ص / ٦٢) ود. المهنا (١ / ١٦) ، بل المقصود ، فيما أعتقد ، أن من بينها كتبا موحاة بالتأكيد .

أنها ستكون بالنفى .

وفضلا عن ذلك فإن عملية التطور الأدبى تقوم عادة ، إن لم يكن دائما ، على الانتقال من الشاذ المضطرب إلى القياسى المنتظم : فالأدب اللاتينى مثلا قد بدأ بما سماه هوراس " البحر الساتورنى غير المنتظم " . وبعد قليل تبنّى مرُ اللاتينى البحورَ الإغريقية ، وإن احتاج هذا التبنى فى البداية إلى كثير من الصقل . ولكن بعد قرن ونصف من الزمان استطاع فرجيل وهوراس أن يضعا نموذجا منتظما كان على الآخرين أن ينسجوا على منواله .

كما أن كلا من الأسلوبين العربيين الأدبيين (53) ، وهما السجع والشعر ، يمتّ ببعض المشابهة للأسلوب القرآنى : ففى القرآن أجزاء لا يستطيع إلا المحافظون المتطرفون أن ينكروا أنها " مسجوعة "(54) . وبالمثل توجد فيه أمثلة عارضة (٣٨) على كثير من بحورِ الشعر (55) . إن التحول من الأسلوب القرآنى

٣٨- انظر : Wright's Grammar, II, P. 359

---

53 – فى الترجمات الثلاث الأخرى : " أساليب الأدب العربى " أو " الأساليب (الأدبية) العربية " . ومن المؤكد أن مرجليوث يقصد أسلوبين فقط. والدليل على ذلك تفسيره لهذه الكلمة بـ " السجع والشعر " ، وتأكيده إياها بـ " both " ، التى تعنى أن المتحدث عنه شيئان لا أكثر .
كذلك فقد سقط من ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى وصف الأساليب العربية بـ " الأدبية " (ص / ٩٩) .

54 – عند د. يحيى الجبورى : " هناك آيات فى القرآن هى (نثر مسجوع موزون) " (ص / ٦٢) ، بزيادة كلمة " موزون " خطأ .

55 – جاء الكلام فى ترجمة د. الجبورى على النحو التالى : "هناك آيات فى القرآن هى (نثر مسجوع موزون) ولا ينكر ذلك إلا المتعصبون جدا ، يقدمها القرآن فى صور واضحة من عدة أبحر " (ص / ٦٢ – ٦٣) والجملة الأخيرة فضلا عن خطئها تماما ، لا تقدم أى معنى مفهوم .

إلى الأساليب المنتظمة يبدو بذلك متمشيا مع المنطق [56] . وإذا كان القرآن هو أول أثر فى اللغة يمثل الفن الأدبى فإن ما يدعيه من إعجاز بلاغى يصبح حينئذ أمراً يسهل على الناس فهمه . ذلك أنه لن يكون مختلفا كثيرا عما يدعيه الآخرون الذين كانوا أول من أدخلوا النَّظْم الشعرى فى لغة من اللغات [57] أو يدعيه غيرهم لهم [58] . لكن لو أن سامعيه كانوا متعودين على السجع والشعر اللذين يتمتعان بما يتمتع به السجع والشعر المنسوبان إلى الجاهلية [59]

---

56 - عند د. الجبورى : " يبدو لنا متفقا مع التناسب " (ص / ٦٣). وفى ترجمة د. المهنا : " يبدو عندئذ منسجما مع قانون التماثل " (١ / ١٦) . أما فى ترجمة د. بدوى فنقرأ أن عملية التحول"ستبدو إذن متفقة مع قياس النظير " (ص / ١٠٠) . وبالمناسبة ، فالكلمة محل الاختلاف هى كلمة " analogy " . ولست أحسب أحدا يمكن أن يفهم المراد من عبارة الترجمة الأولى .

57- into a language . وقد جاءت ترجمة د. بدوى على النحو التالى: " ممن أدخلوا الشعر فى اللغة لأول مرة " (ص / ١٠٠). وهذا غير دقيق ، لأنه لا يوجد فى العالم لغة واحدة ولا الكلام هنا عن اللغة بوجه عام ، وإنما المقصود : " فى لغة ما " أو " فى لغة من اللغات ". وقد اتفق د. المهنا مع د. بدوى فى هذه النقطة (١ / ١٧) .

58 - يقول د. المهنا فى ترجمته لهذه العبارة : " وهو بذلك لا يختلف كثيرا عما ينسب للغير ، أو ما يدعيه الآخرون الذين أدخلوا نظم الشعر فى اللغة لأول مرة " (١ / ١٧) . وواضح أن الكلام الذى تحته خط يتسم بالغموض .

أما د. الجبورى فقد اضطربت ترجمة آخر العبارة فى يده أيما اضطراب . وهذا نص ما قال : " وإذا كان القرآن أول كتاب فى اللغة يعرض الفن الأدبى فإن إعجازه البيانى يجب أن يكون بشكل ما بحيث يستطيع أن يفهمه الناس بسهولة " (ص/٦٣) .

59 - ostensibly pre - Islamic . ولكن د. بدوى لم يترجم كلمة " ostensibly " ، وتعنى "فى الظاهر" . وقد ترجمتُها بالمعنى فقلت :" المنسوب إلى (الجاهلية) " . أما د. المهنا فقد ترجمها ، ولكنه وضعها مع الفعل " تدل على ... " (هكذا : " هذه الأساليب التى تدل فى الظاهر على أنها آثار جاهلية " ١/ / ١٧) ، مع أنه ليس فى الأصل الإنجليزى ما يقابل قوله : " التى تدل " ولو بالمعنى .

من صقل وسموّ لكانت هذه الدعوى على الأقل أصعب فى التدليل عليها .

ومع ذلك فمن الممكن القول بأن هذه الحجة الأخيرة هى حجة قبلية [60] ، وأنه إذا كان المسلمون أنفسهم يتهمون مصداقية القرآن فإنه لا عذر لغيرهم فى الإيمان بصدقه [61] . وهكذا فإن صاحب " الأغانى " ، وهو المسْلِم ، يورد لورقة ابن نوفل [*] قصيدة من القصائد على أنها صحيحة النسبة إليه [62] ، وفيها يعلن ذلك السابقُ على محمد أنه نذير ، كما يدعو المكيين إلى ألا يعبدوا إلها غير خالقهم [٣٩] . وهذا يتناقص صراحة مع القرآن ، الذى يؤكد ، كما رأينا ، أن المكيين لم يأتهم قبل محمد مثل هذا النذير . كما أن قُدَم بن قادم (٤٠٠ -

(*) كتبها مرجليوث " ورقة بن نُفَيْل : Nufail " ، وهو خطأ بطبيعة الحال .

٣٩- الأغانى / ٣ / ١٥ .

60 - "a priori" : (حجة) قَبْلية ، أى لا تستند إلى الواقع أو التجربة ". وقد ترجمها د. الجبورى بـ"أولية " (ص / ٦٣) ، مما لا يستطيع القارئ معه تحقيق معناها . أما د. المهنا فجاءت ترجمته للجملة هكذا : " من الممكن أن يقال بأن هذا الخلاف الأخير أمر بديهى " (١ / ١٧) ، وهو معنى لم يدر بالتأكيد فى ذهن المستشرق البريطانى .

61 - ترجم د. الجبورى هذه العبارة كالتالى : " وإن المسلمين أنفسهم كانوا قد طعنوا فى صحة القرآن ، وإن بعضا منهم لم يكونوا محقين فى الاعتقاد به " (ص / ٦٣). والجملة الأخيرة خاطئة تماما ، فكلمة " others " تعنى الآخرين غير المسلمين ، وليس بعضا آخر من المسلمين . وقد وقع أيضا فى هذه الغلطة د. المهنا ، إذ قال : " ... حيث إن من المسلمين أنفسهم من طعن بصحة القران ، والاخرون منهم لم يثبتوا إيمانهم به " (١ / ١٧) .

62- فى الأصل :" as a genuine ode : بوصفها قصيدة صحيحة ". ومع ذلك فقد ترجمها د. بدوى بـ " قصيدة صحيحة " (ص / ١٠٠) ، كما ترجمها د. المهنا بـ " قصيدة حقيقية " (١ / ١٧). وهو ، كما ترى ، غير ما قاله مرجليوث ، بل ولا يمكن أن يقوله ، لأنه ببساطة ينكر وجود أى شعر فى الجاهلية ، فكيف يصف شيئا من هذا الشعر بأنه صحيح أو حقيقى ؟

٤٨٠ م) فى القصيدة التى تحمل اسمه يسبق الإنذارات القرآنية فى كثير من التفاصيل(63) ، ويقول إنه قد جاء لقومه بالهدى بالمعنى الإسلامى (٤٠) (64) . ومن هنا فعندما يعلن القرآن أن المشركين ليس لهم أية كتب فإن المسلم ، فيما يبدو، لا يكون ملزما بتصديقه (65) . والشيء الذى أود أن أوضحه هو أن أولئك الذين يقولون بوجود مثل هذا الأدب المكتوب أقل استحقاقا للتصديق من النبى ، حتى لو كنا نرفض ما يعتقده المسلمون بشأنه (66) .

وقبل أن نؤمن بصدق الروايات المتعلقة بالشعر العربى المكتوب بالخط

٤٠- انظر : Griffini, Il Poemetto di Qudam ben Qadim, Rome, 1918

---

63 – عند د. الجبورى : " توقع قدام بن قادم .... تحذيرات القرآن فى تفاصيل عدة " (ص/ ٦٣)، وفى ترجمة د. المهنا : " ويتنبأ قدم بن قادم ... بنذير القرآن فى تفاصيل كثيرة " (١ / ١٧) . وهذا وذاك غير صحيح ، فكلمة " anticipate " هنا تعنى " سبق فلانا أو تقدم عليه فى عمل كذا" . كذلك فإن كتابة " Qudam " بالحروف العربية على النحو التالى " قدام " خطأ ، لأنه لايوجد على حرف " a " فى " Qudam " الشرطة التى تدل على أنه حرف مد وليس مجرد فتحة.

64 – شذ د. الجبورى عنا نحن الثلاثة فترجم عبارة " in the Moslem sense " على أنها " فى شعور إسلامى " ! (ص / ٦٣) .

65 – يخطئ د. الجبورى هنا ، إذ يقول فى ترجمة هذه العبارة : "ولهذا فحينما صرح القرآن بأن الجاهليين لا كتاب لهم ، لم يعتقد بذلك حتى المسلمين الصريحى الإسلام " (ص / ٦٣) .

66 – even if we reject the Moslem view of his character . وقد ترجمها د. بدوى (ص/ ١٠١) ود. المهنا (١ / ١٧) بـ" حتى لو رفضنا رأى / آراء المسلمين عن خلقه / أخلاقه" ، ظنا منهما أن " character " هنا تعنى الشخصية أو الخلق . والحقيقة أن معناها فى النص " شَخْصُه " . وما الذى يعتقد المسلمون فى شخص محمد ؟ الجواب طبعا: يعتقدون أنه نبى . أما بالنسبة لترجمة د. الجبورى فها هى ذى بدون تعليق : " وعلى أية حال ماذا نقترح لنرى بأن أولئك الذين يؤكدون مثل هذا الأدب المكتوب كانوا يعتبرون أقل قيمة فى الإيمان من النبى ، حتى لو رفضنا وجهة نظر المسلمين فى صفاته " (ص / ٦٣) .

الحميرى فإن من المرغوب فيه أن نرى بعض الأمثلة حتى نعرف كيف تَصَرَّف كاتبُ ذلك الخط مع معلقة الحارث بن حِلِّزة ، التى تكثر فيها الكلمات المنقسمة بين الشطرتين . إن من مبادئ الخط العربى الجنوبى توضيح نهاية كل كلمة بخط عمودى ، مما لن يكون جميلا فى الشعر الذى يوقَف فيه عادة عند نهاية كل شطرة (67) . وبالإضافة إلى هذا فإن الخط العربى المعتاد (68) يبدو ملائما جدا (69) للشعر العربى على أساس أن الكاتب يستطيع بسهولة أن يطوّل أو يقصّر الكلمات بحيث يكون الشكل كله " سائغا " . إلا أن هذه العملية تكاد أن تكون متعذرة فى الكتابة العربية الجنوبية . ومع ذلك فإن عينةً من هذا الخطّ ، لو أمكن اكتشاف مثل هذه العينة ، يمكن أن تُسْكِت هذا الاعتراض(70) .

وفى التاريخ الإسلامى تقابلنا (71) روايات عن مجلّدات شعرية مكتوبة ،

---

67 – هكذا ترجم د. الجبورى الجزء الأخيرة من الجملة : " إن هذا لا يعد طريفا فى البيت . كان الوقوف عند منتصف بيت الشعر شائعا " (ص / ٦٤) ، وبَوْنٌ بعيد بين هذا الكلام وما يريد أن يقوله الأصل الإنجليزى .

68 – لا توجد فى ترجمة د. الجبورى كلمة " المعتاد " .

69 – ليس فى ترجمة د. بدوى كلمة " جدا " (ص / ١٠١) ، التى ترجمها د. المهنا إلى " تماما " (١/ ١٧) .

70– الجملة الاخيرة فى ترجمة د. بدوى أقوى من الأصل ، فهو يقول : " لكن لو أمكن اكتشاف نموذج من هذا النوع لسقط هذا الاعتراض " (ص / ١٠١) ، أما الأصل فإنه يستبعد بقوة أن يتم اكتشاف مثل هذه العينة . كما أنه لم يقل إن الاعتراض سيسقط تلقائيا عندئذ ، بل كل ما قاله إنه "قد" يسقط حينذاك .

71– " come across : نصادف / نتقابل " . وقد ترجمها د. الجبورى (ص / ٦٤) بـ " نأتى نحو" . ولا معنى لها واضح .

وذلك قبل أن يأتى ذكر للأعمال النثرية : فطبقا لما رواه الطبرى عثر أحدهم فى العام الثالث والثمانين للهجرة فى قصر بمفازة كرمان [2] على كتاب فيه شعر لأبى جلدة اليَشْكُرى كان قد كتبه بعض أهل الكوفة . كما أنه يطيل الاقتباس من قصيدة لأعشى همدان نظمها فى حوادث سنة ٦٥ هـ ، وكانت مخبأة فى ذلك الوقت ، رغم أنه يكاد يكون من المستحيل إخفاء أ... [73]

أمـا القـاضى أبو يوسف ، الذى وضع للرشـيـد (١٨٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٨ - ٨٠٩ م) مُدَوَّنة فى الفـقـه [74] ، فـإنه يذكـر ضـمن الأشـيـاء التى لا تُعَدّ من الملكية [75] ، أى الأشيـاء التى لا يوجد فى الشريعة حدٌّ يعاقَب به سارقـهـا ، المصحفَ والصحفَ التى فيها شعر [٤١] [76] .

ولا شك أن أحسن تفـسـيـر لهـذا الحكم من حـيث المنطق هو أن الكتب الوحـيـدة التى كـانت منتـشـرة فى ذلك الوقت إلى جـانب المصـاحف هى كـتب

٤١- كتاب الخراج / ١٠٥ .

---

72 - فى ترجمة د. بدوى (ص / ١٠١) : " كرمان " ، وأغلب الظن أنها غلطة مطبعية .

73 - عند د. الجبورى : " إنه من النادر أن يمكن إخفاء أى شىء إلا أن يكون جوهريا مهما " (ص/ ٦٤) ، وهى ترجمة بينة الفساد .

74 - هذه عبارة د. الجبورى فى ترجمة الجملة : " صنف كتابا ليكون دليلا يطبقه هارون الرشيد " (ص/ ٦٤) ، وهو كلام عام جدا .

75 - يقول د. الجبورى هنا : " إن القاضى أبا يوسف ... يذكر ... أنه ليس هناك ملكية خاصة ، يعنى السرقة التى لا تستوجب العقاب بالطريقة الاعتيادية "(ص / ٦٤). وهو كلام يجمع بين الخطإ فى فهم النص الإنجليزى وغموض المعنى .

76- فى ترجمة د. المهنا (١ /١٨) : " والأوراق المدوَّنة بالشعر " ، وهى عبارة ركيكة ، فالأوراق لا تدوَّن ، وإنما يدوَّن فيها . وكان يمكن أن يقول : " والأوراق المدوَّن فيها الشعر " .

الشعر [77] . وهذا الحكم يعزوه أبو يوسف إلى أبى حنيفة ، الذى تُوُفِّى فى عام ١٥٠ هـ . ويقول الطبرى إن الخليفة المهدى (١٥٨ - ١٦٩هـ) [٤٢] قد أمر بعد ذلك بقليل بكتابة مجموع من الشعر العربى (الجاهلى فيما نظن) [78] . كذلك جُمعت " حماسة " أبى تمام ، التى صُنِعت بعد ذلك بجيل ، من مواد مكتوبة [٤٣] . وربما كان هذا الارتباط المبكر بين الشعر والكتابة هو الذى دفع البعض ممن رووا الشعر الجاهلى بكميات كبيرة إلى تبنى الافتراض القائل بأن مصادرهم كانت وثائق مكتوبة [79] . ورُوِى عن حماد الراوية (٩٥ - ١٥٥هـ) ، وهو أحد من انتفعت الأمة بهم ، أن النعمان بن المنذر [٤٤] ملك الحيرة (٥٨٠ - ٦٠٢ م) [٤٥] قد أمر بكتابة أشعار العرب على الطّنوج ودفنها فى قصره

٤٢- تاريخ الطبرى / ٢ / ٨٤١ .

٤٣- مقدمة تاريخ الطبرى .

٤٤- انظر : Rathstein , Die Dynastie der Lakhmiden , 1899

٤٥- ابن جنى / الخصائص / القاهرة / ١٩١٤ / ١ / ٣٩٣ . وقد فسَّر " الطنوج " خطأ بأنها تعنى " الكراريس " .

---

77 - ترجم د. الجبورى هذه العبارة بقوله : " إن التفسير الطبيعى لهذه القاعدة هو فى الكتب المألوفة الاستعمال فى ذلك الوقت . فإضافة إلى القرآن كانت مجاميع الشعر حقا عاما " (ص / ٦٤) . ترى هل ثمة علاقة يعتد بها بين هذا الكلام وكلام مرجليوث ؟

78 - عند د. الجبورى : " من المرجح أنه جاهلى " (ص / ٦٤) ، وهى أقوى من كلمة " probably " التى فى الأصل .

79 - يقول د. الجبورى فى ترجمته : " وربما كانت هذه أقدم مجموعة مترابطة فى الذاكرة مع الكتابة التى قادت بعض الذين جمعوا الشعر الجاهلى بكميات هائلة ليدعموا الظن بأن ... " (ص/٦٥) . ولا أظننى بحاجة إلى القول بأن هذا شىء لم يخطر ببال مرجليوث .

الأبيض بالحيرة ، وأن المختار الثقفى ، الثائر المعروف ، حينما دخل الكوفة قيل له إن بالقصر كنزا مدفونا فاستخرجه . وبذلك رأت هذه المجموعة الشعرية النور . فإذا افترضنا أن هذه الرواية تعود فعلا إلى حماد (80) ، فإن الهدف منها بلا ريب هو التدليل على أنه كان يعرف مقدارا كبيرا من القصائد والأشعار الجاهلية التى لم يكن يعرفها غيره . وفى " الأغانى " اتهام له بأنه كان جريئا فى نحل الشعر (٤٦) ، وأن معاصره المفضل الضبى قد ذكر أنه أفسد الشعر فلا يصلح أبدا (٤٧) . وفى أحد الأخبار أن الخليفة المهدى أرسل فى طلبه هو والمفضل الضبى (ولابد أن ذلك كان قبل توليه الخلافة فى عام ١٥٨ هـ ، لأن حمادا قد مات فى عام ١٥٥هـ) ، وسألهما أن يفسرا له مطلع قصيدة لزهير وردت فيه عبارة " فَدَعْ ذا " ، ففسّر المفضل البيت على قدر طاقته ، أما حماد فقد قال إن القصيدة لا تبدأ بذلك البيت بل هناك ثلاثة أبيات قبله . ولكن ما إن استحلفه الخليفة حتى أقر بأن هذه الأبيات الثلاثة إنما هى من تأليفه هو . ورغم ذلك (81) فإن تلك الأبيات لا تزال موجودة فى طبعاتنا (٤٨) .

٤٦- الأغانى / ط١ / ٥ / ١٧٢، وط٢ / ١ / ١٦٣ .

٤٧- المرجع السابق /٥/١٧٢ .

٤٨- شعراء النصرانية/ ٥٤٠ ، و Ahlwardt, p.51 etc.

---

80 – ترجمها د. الجبورى هكذا : " لنفترض أن هذه القصة تُعْزَى إلى حماد حقا ..." (ص / ٦٥). وهى ترجمة غير دقيقة ، لأن القصة (أو بالأحرى : الرواية) تعزى فعلا إلى حماد ، فلا يعقل أن يجعلها مرجليوث منوطة بالافتراض . إنما المقصود هو التساؤل هل قال حماد هذا حقيقةً أوْ لا .

81- " however : ومع ذلك ، وبرغم ذلك" . أما د. المهنا فقد ترجمها بـ " على أية حال "(١ / ١٨). وهى ترجمة غير دقيقة .

ويروى علماء الكوفة الأبيات المعروف أن حماداً قد صنعها لمسامرة خالد القسرى أيام ولايته على أنها صحيحة (82)، ويعزونها إلى بعض الشعراء القدماء(٤٩) . ويروى ياقوت ، طبقا لرواية أبى جعفر النحاس (ت٣٣١ هـ) ، أن المعلقات السبع إنما جمعها حماد هذا . وقد كان بودنا لو أن أحداً آخر أجدر بالثقة هو الذي اكتشفها (83) . أما الراوية الكوفى الآخر للشعر القديم فهو جناد (٥٠) ، الذى كان مثل حماد : كَثُرَتْ روايته وقلّ علمه .

وكحمّادٍ كان رواة الشعر الأقدمون فى غالبيتهم أشخاصا منعدمى الضمير تقريبا فى أمور الوضع والتزييف (84) . لقد سُئِل شخص اسمه برزخ

٤٩- الأغانى / ٨ / ٤ .

٥٠- إرشاد الأريب / ٢ / ٤٢٦ .

---

82 - يقول د. الجبورى هنا : " إن علماء الكوفة ينوهون بعدم حقيقة الأبيات المعروفة التى نظمت من قِبَل حماد لتسلية الوالى خالد القسرى ... " (ص / ٦٥) . والترجمة على هذا النحو تقلب المعنى رأسا على عقب ، فهى تجعل علماء الكوفة ينوّهون بعدم حقيقة الأبيات المذكورة ، بينما يقول مرجليوث إنهم يعدونها أبياتا صحيحة .

83 - فى ترجمة د. الجبورى : " لعل أحداً يستطيع أن يفترض بأن اكتشافهم هذا كان قد عُرِف من قِبَل شخص له مكانه رفيعة جليلة " (ص/ ٦٦) . ولا تعليق !

84- ترجم د. بدوى كلمة " forgery " بـ " الانتحال " (ص / ١٠٤). وهذا خطأ، لأن الانتحال هو أن يغير شاعر على شعر غيره وينسبه إلى نفسه . والصواب هنا أن نقول : " النحل" . وقد حلت الكلمة الأولى بدل الأخيرة عند بعض الكتّاب منذ أن كرّرها د. طه حسين فى كتابه " فى الشعر الجاهلى " بهذا المعنى . وقد ترجمتها أنا بـ " الوضع والتزييف " .

أمّا د. المهنا فقد أخطأ فى ترجمة الجملة كلها ، إذ قال عن رواة الشعر الأقدمين (وهم فى ترجمته : " أولئك الذين جمعوا الشعر فى وقت مبكر" ، وهى ترجمة غير محكمة): " ففى أغلب الأحوال كانت شكوكهم حول قضية الانتحال علنية الجدوى " (١ / ١٨) . فانظر كيف تحولت كلمة " scruples " إلى " شكوك " ، وعبارة " in the matter of forgery " إلى " حول قضية

كان معاصرا لحماد وجنّاد عمن روى الشعر الذى ينسبه لامرئ القيس ، فكان جوابه على السائل أنه رواه عن نفسه ، وأن هذا حَسْبُه (٥١) (85) .

وبعد حماد بفترة ما يجيء خَلَفٌ الأحمر ، الذى توفى حوالى عام ١٨٠هـ، والذى كان شيخا لمعظم مشاهير الرواة . لقد كان هو أيضا ذا سمعة سيئة . وقد أورد ابن خَلّكان عن أبى زيد الأنصارى أنه روى فى الكوفة أشعارا منحولة من صنعه وادعى أنها شعر قديم . ثم إنه استيقظ ضميره (86) أثناء مرضه فاعترف لأهل الكوفة بما فعل . لكنه ، ككثير من الناس ، كان

٥١- إرشاد الأريب /٢/٣٦٦ .

الانتحال " ، وكلمة " slight " إلى " عدية الجدوى . وهذا كلام لا علاقة له بما أراده مرجليوث ، والصواب هو ما قلناه .

85- بدأ د. الجبورى بداية طيبة ، إذ ترجم الجملة الأولى من هذه الفقرة ترجمة صحيحة ، ولكنه ما لبث أن أفسد كل شيء.قال : " وعلى شاكلة حماد كان رواة الشعر المبكرون (إلى هنا والكلام مستقيم. ولكن انظر إلى ما يلى) ، كانوا فى غالب الأحيان أشخاصا معرفتهم بقضايا الانتحال تافهة ، من هؤلاء برزخ (العروضى) الذى كان معاصرا لحماد ، وجناد الذى حين سئل عن مصدر روايته لأشعار معينة نسبها إلى امرئ القيس ، أجاب أن المصدر هو جناد نفسه وعلى ذمته ، وقد ظن أن ذلك الجواب كان شافيا " (ص / ٦٦) .

لقد أصبحت عبارة " one Barzakh " : " برزخ " ، وهى ترجمة غير دقيقة ، فالنص الإنجليزى يجهّل برزخا هذا ، وهو ما يعنى بالعربية : " شخص اسمه برزخ " مثلا . كما أن المترجم يستخدم كلمة " الانتحال " فى موضع " النحل " ، وهو خطأ كما قلنا . كذلك ففى ترجمته نجد أن راوى شعر امرئ القيس هو جناد ، على حين أنه برزخ نفسه كما جاء عند مرجليوث ، وكما هو فى خبر ياقوت، ذلك الخبر الذى أورده د. الجبورى نفسه (ص / ١٠٣) . فكيف وقع فى هذه الغلطة البلقاء ؟ هذا ما لا أدريه !

86 - " alarmed by an illness " : بسبب فزعه من مرض أصابه " . وقد ترجمت ما وراء العبارة من أن هذا الفزع قد أيقظ ضميره فاعترف بذنبه . وهذه الجزئية لا نجدها فى ترجمه د. بدوى

"الخداع" أسهل عليه من " التوبة " [87] . وقد اعترف أحد معاصريه ، وهو أبو عمرو بن العلاء المتوفى عام ١٥٤ هـ والذى يتمتع بشهرة عظيمة بين رواة الشعر ، بأنه قد صنع بيتا من الشعر وأدخله فى شعر الأعشى [٥٢] . وإن الإنسان ليتساءل : ألم يصنع إلا بيتا واحداً ؟ [88] ويقول أحد تلامذة خَلَف ، وهو الأصمعى صاحب واحد من أشهر المجاميع الشعرية [89] ، إنه أقام فى المدينة فلم ير قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحَّفة أو مصنوعة [٥٣] . ومع هذا

٥٢- الأغانى / ٣ / ٢٣ .

٥٣- إرشاد الأريب/ ٦ / ١١٠ .

(ص / ١٠٤) ولا فى ترجمة د. المهنا (١ / ١٩) . وقد ترجمها د. الجبورى على النحو التالى : " وحين أحسن برعب المرض ... " (ص / ٦٧) .

87 – جاء ذلك عند د. المهنا على النحو التالى (وبدون تشكيل للكلمات): " كان من السهل عليه أن يخدع لا أن يخدع " (١ / ١٩) . ولا أظن إلا أن الفعل الأول مبنى للمعلوم والثانى مبنى للمجهول . وهو خطأ بواح كما يتضح لدى المقارنة بالأصل وبما ترجمناه وترجمه كل من . عبد الرحمن بدوى ود. يحيى الجبورى ، وإن جاءت عبارة كل منهما مختلفة عن عبارتى : فعند الأول : "لكنه شأن كثيرين غيره ، استسهلوا أن يخدعوا على أن يكشفوا خداعهم " (ص ١٠٤) . وفى العبارة اضطراب فى الضمائر ، إذ المفروض أن يقال : " لكنه ، شأن كثيرين غيره ، استسهل أن يخدع على أن يكشف خداعه " . وعند د. الجبورى : " من السهل أن (يخدع) من أن (لا يخدع) " (ص / ٦٦) .

88 – لا وجود لجملة " وإن الإنسان ليتساءل : ... " فى ترجمة د. بدوى (ص / ١٠٤) . أما د. الجبورى فقد ترجم " wonders : يتساءل " بـ " يدهش " (ص / ٦٧) ، مما جعل العبارة غير واضحة المعنى إلى حد ما .

89 – فى ترجمة د. المهنا أنها " أفضل مجموعة معروفة للشعر القديم " (١ / ١٩) . ومرجليوث لم يقل إنها أفضل مجموعة ، بل " إحدى أشهر المجموعات: one of the best known collections" ، أى أن فى الترجمة خطأين : الأول أنها وصفت المجموعة بالفضل ، وهذا شىء لا يمكن أن يقصده مرجليوث ، الذى يشك فى الشعر الجاهلى كله . فعلى أى نحو إذن يمكن أن تكون

فإنه لا يبدو متشددا فى الرواية [90] . كما رُوِيَ عن شخص يدعى كَيْسان أنه كان يخرج إلى الأعراب يسمع ما ينشدونه ويكتبه فى ألواحه ، ثم ينقل من ألواحه إلى الدفاتر [91] غير ما فيها ، ثم يحفظ من الدفاتر غير ما نقله إليها ، ثم يحدّث بغير ما حفظ. ومن الواضح أنه لا يمكن أنْ يبقى من الأصل شىء يذكر [92] . ومع ذلك فقد كان الأصمعى يقول عنه إنه راوية ثقة [٥٤] .

أما الراوية العظيم أبو عمرو الشيبانى (ت ٢٠٥ هـ) فلم يكن عنده إلا قِمَطر فيه أمْناءٌ من الكتب يسيرة [93] . وحينما أبدى أحدهم دهشته من قلّتها

٥٤- إرشاد الأريب / ٦ / ٢١٥ .

مجموعة الأصمعى أو غيره فاضلة ؟ أما الخطأ الثانى فيتمثل فى أن اسم التفضيل عند د. المهنا مطلق ، على حين أن " الأصمعيات " عند مرجليوث هى " واحدة من أشهر المجموعات الشعرية " وليست " أشهرها " بإطلاق .

90 - over - critical . ومع ذلك فقد ترجم د. الجبورى الجملة هكذا : " ويعد فحتى الأصمعى لا يبدو أن يكون فوق الانتقاد " (ص / ٦٦) ، وهى ترجمة لا علاقة بينها وبين ما يقوله مرجليوث . أما د. المهنا فقد نقلها إلى العربية على النحو التالى : " ومع ذلك فلا يبدو أنه كان منتقدا " (١ / ١٩) . وكلمة " منتقدا " ، كما هو ظاهر ، أقل من المطلوب .

91 - هكذا وردت الكلمة فى الأصل العربى ، لكن د. عبد الرحمن بدوى قد ترجم الكلمة الإنجليزية بـ " مذكراته " (ص / ١٠٤) ، وهى كلمة عصرية لا تتلاءم تماما مع السياق التاريخى الذى يدور فيه الكلام .

92 - " ومن الواضح أنه لم يصلنا كثير من الأصل من هذا العصر " . هكذا جاءت عند د. يحيى الجبورى (ص / ٦٧). ولست بحاجة إلى أن أقول إن هذا معنى لم يخطر ببال المستشرق مرجليوث!

93 - اكتفى د. عبد الله المهنا بالقول بأنه كان فى القمطر " قليل من الكتب " (١ / ١٩) . وعند د. الجبورى أنها " كتب يسيرة خفيفة الوزن " . أما " القمطر " فقد أصبح عنده " صندوقا " (ص / ٦٧) ، رغم أنه قد نقل النص العربى ، وفيه كلمة " قمطر " لا " صندوق " . ومثله فى هذه النقطة الأخيرة د. بدوى ، الذى كان حرفيا فى نقل كلام مرجليوث بعد ذلك ، إذ قال إن الكتب " تزن بضعة أرطال فقط " (ص / ١٠٥) .

كان جوابه أنها من صدقٍ كثيرةً[٥٥] . ومع هذا فإن تلك المجموعة نفسها لم تسلم من التزييف ، فقد نقل صاحب " الأغانى" من كتـــــاب له قصيدة طويلة من الشعر الجاهلى فى الظاهر ، قائلا إن القصيدة مصنوعة بيِّنة التوليد[٥٦] .

ومن الممكن أن نضيف إلى ذلك [94] أن رأى هؤلاء الرواة المشاهير فى بعضهم البعض لم يكن طيبا [95] ، فلم يكن ابن الأعرابى ينظر بعين الرضا إلى

٥٥- إرشاد الأريب / ٢ / ٢٣٦ .

٥٦- الأغانى / ٨ / ٤ .

---

94 - عند د. الجبورى : " وينبغى أن يضاف إلى ذلك كله بأن ..."(ص / ٦٧) ، رغم أنها فى الأصل: " It may be added that " . وفوق ذلك ففى قوله : " بأن " ركاكة ، إذ ما لزوم الباء هنا ؟ أما د. عبد الله المهنا فقد تجاهل كلمة " may " تماما ، مكتفيا بقوله : " وبالإضافة إلى ذلك" (١ / ١٩) .

95 - يقول د. الجبورى إن " أحكام هؤلاء العلماء الرفيعى الشأن التى يطلقها بعضهم على بعض لم تكن عادلة فى الغالب ، كان فيها مبالغة "(ص / ٦٧) . وإننا لنتساءل : كيف يرى مرجليوث أن هذه الأحكام غير عادلة ، وقد كان رأيه فى هؤلاء العلماء أسوأ من ذلك ؟ وعند د. المهنا أن " آراء هؤلاء العلماء البارزين فى بعضهم بعضا لم تكن موثقة فى أحوال كثيرة " (١ / ١٩) . ولا أدرى ما دخل التوثيق هنا ؟

علاوة على أن قول مرجليوث : " by no means " إنما يدل على استغراق النفى : " قط (إذا كان الكلام عن الماضى كما هو الحال هنا) / أبدا (إذا كان الكلام عن المستقبل ، وكما جاء فى ترجمة د. بدوى / ص ١٠٥ ، رغم أن الحديث هنا عن أمور وقعت فى الماضى منذ أزمان بعيدة)" . أما ترجمته بـ " فى الغالب " كما فعل د. الجبورى (ص / ٦٧) ، أو بـ " فى أحوال كثيرة " كما فى ترجمة د. المهنا (١ / ١٩) فأقل من المطلوب .

كذلك ففى قول د. المهنا : " فإن آراء هؤلاء العلماء البارزين فى بعضهم بعضا ... " خطأ نحوى، إذ ليس هناك ما يدعو لنصب كلمة " بعضا "، وكان ينبغى أن يقول مثلا : " فى بعضهم البعض " أو " بعضهم فى بعض " .

الأصمعي أو أبي عبيدة [٥٧] ، وربما يكونان قد ردا له التحية بمثلها . ومن المؤكد أن رأى كل منهما في الآخر كان أيضا كذلك [96] .

ولم يكن مستوى [97] القرن الثالث ، فيما يبدو، أفضل من مستوى سابقه . وعندنا حكايتان عن المبرد ، راوية ذلك العصر ، الذي انثال عليه الثناء انثيالا: فقد زار رجلا من علِيَة القوم فسأله ذلك الرجل عن معنى لفظة في حديث نبوي . ولأن المبرد لم يكن يعرف معناها فقد كان جوابه مجرد تخمين [98] . ولما سأله الرجل شاهدا على ذلك أورد بيتا من الشعر ، وإذا بعالم آخر يدخل في تلك اللحظة زائرا فيلقى عليه الرجل السؤال نفسه . ويتصادف أن يعرف ذلك العالم الإجابة الصائبة ويذكر المعنى الصحيح للفظة . وعندما يذكر صاحب الدار البيت الذي استشهد به المبرّد يعترف هذا بأنه هو الذي

٥٧- إرشاد الأريب / ٧ / ٥ .

---

96 - هكذا ترجم د. الجبوري الجملتين الأخيرتين : " ومن الراجح أنهما أعادا له التحية بمثلها ، فهما بالتأكيد يبادلانه النظرة نفسها " (ص / ٦٧) ، مع أن الجملة الأخيرة تتحدث عن رأي كلٍّ من الأصمعي وأبي عبيدة في صاحبه وليس رأيهما معا في ابن الأعرابي . وقد وقع أيضا في هذا الخطإ، أو " السهو " إن شئت ، د. عبد الرحمن بدوي ، الذي قال : " ومن المحتمل أنهما بادلاه هذا الرأي ، وظنا فيه ما ظنه فيهما " (ص / ١٠٥) ، فضلا عن أنه قد سقط من ترجمته كلمة "بالتأكيد " .

97 - ... The standard of the third century . وقد ترجمها د. عبد الله المهنا بـ " معايير القرن الثالث " (١ / ١٩) ، يقصد المقاييس التي كان ذلك القرن يقيس بها الرواية الصحيحة أو شيئا من هذا القبيل . لكن من الواضح أن مرجليوث يحكم على مستوى العصر نفسه من حيث التدقيق في رواية الشعر القديم أو عدمه ، لا على المقاييس التي يطبقها في هذا الميدان .

98- He makes a guess . ولكنها عند د. بدوي :" اقترح معنى " (ص / ١٠٥) . ومن المؤكد أن " اقتراح " معنًى شيءٌ ، و " تخمينه " (وهو معنى الكلمة الإنجليزية) شيء آخر .

وضعه لساعته [٥٨] . وفى مناسبة أخرى نجد بعض من كانوا يتهمون كثرة حفظ المبرد للغة وغريبها والشواهد التى يسوقها لذلك يتواضعون على سؤاله عن معنى كلمة لا أصل لها ، فيجيب المبرد من فوره بأن معناها " القطن" ، ثم ينطلق مورداً بيتا من الشعر شاهدا على ذلك . وقد أثار هذا الصنيع إعجابهم، بغض النظر عن صحة الجواب أو عدمه [٥٩] .

ويتفق مع هذا أننا أحيانا ما نجد معلومات مزعجة أشد الإزعاج حول بعض المجموعات الشعرية [99] الهامة جدا . لقد رأى القارئ أن لدينا ديوانا يضم القصائد الخاصة بشعراء هُذَيْل ، التى كانت تُعَدّ أشعر القبائل طرًا [٦٠] . لكن عندما زار أحمد بن فارس ، اللغوى المشهور الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى ، مضارب هذه القبيلة لم يجد أحدا من رجالها يعرف اسم شاعر واحد من هؤلاء الشعراء . وكل ما استطاعه أولئك الذين كانوا يتمتعون بشىء من الذوق الشعرى [100] من رجال هذه القبيلة هو أن يذكروا بعض

٥٨- إرشاد الأريب / ١ / ١٢٦ .
٥٩- إرشاد الأريب / ٧ / ١٣٨ .
٦٠- المزهر / ٢ / ٢٤٢ .

---

99 - فى ترجمة د. الجبورى : " حول مجموعات الشعر المهمة " (ص / ٦٨) ، هكذا بإطلاق ، رغم أن كلمة " مجموعات " منكرة فى الأصل الإنجليزى : "about quite important collections of verse".

100 - تحول المعنى عند د. الجبورى بحيث أصبح كالتالى : " وإن أحسن رجال هذه القبيلة لا يمتلك أى ذوق شعرى بحيث لا يستطيع أن يتمثل إلا ببعض الأبيات التافهة " (ص / ٦٨) .

الأبيات[101] العـادية[102] التى لا علاقة لها بقبيلتهم [٦١] . وقد عاش السّكّرى جامع هذا الديوان قـبل ذلك بقـرن ، فكان المفروض أن يدفع هذا الديوانُ أفـرادَ تلك القبيلة التى صدر عنها إلى دراسة ما فيه من أشعار، لكن من الواضح أن مـا حـدث كـان عـكس ذلك . وفى تاريخ سـابق كـان الشك فى نسبـة بعض القصائد لأصحابها كبيرا رغم أنهم معروفـون [٦٢] . لقد كـان هنـاك مقـدار ضخم من الشعر يُنْسَب إلى شاعر يُدْعَـى مجنون بنى عامر ، فتكبـد أحـد العلمـاء المشقـة وذهب فـسـأل هذه القـبيلة بطنـا بطنـا فـمـا وجـد أحـدا يعرفـه [٦٣] (103) . ومع هـذا (104) فقـد أمكـن على نحـو ما معرفـة اسمـه أو أسمائه (105) ، بل وتتبع سلسلة نسبه حتى الجد العاشر، وكذلك اكتشاف كمّ

٦١- إرشاد الأريب / ٢ / ٨ .

٦٢- الأغانى / ٢٠ / ١٩ .

٦٣- الأغانى / ١ / ١٦٢ .

101 – جعل د. عبد الرحمن بدوى الأبيات " بيتا " واحدا (ص / ١٠٦) .

102 – عند د. المهنا أن الأبيات التى أُنشِدَت هى أبيات " مشهورة " (١ / ٢٠) .

103 – يقـول د. الجـبـورى هنا : " ويعـالج الراوية هذه المشكلة بأن يسـأل القـبيلة أسـرة أسـرة ... " (ص/٦٨) معرفًا " الراوية " مع أنه فى النص الإنجليزى نكرة : " an antiquary "، ومترجما " took the trouble to ... " بـ "يعالج ... المشكلة " ، وهو خطأ صوابه " أخذ على عاتقه أن ... / تكبد المشقة فى أن ... " .

104 – " for all that : ومع ذلك " . وقـد ترجمـها د. الجبورى حرفـيـا فقال : " ولأجل ذلك كله " (ص/٦٨) فعكس المعنى .

105 – يقول د. المهنا هنا : " أمكن ... إيجاد اسمه أو أسماء " (١ / ٢٠) . وواضح أنه لا يرى فرقا بين " to find out " (الموجـودة فى النص ، ومـعناها : " يَعْرِف ") و " fo find : يجد " . وحتى على هذا المعنى الأخير فإن المصدر هو " وجدان " لا " إيجاد " كما قال . أما قوله " أسماء " فلعله خطأ مطبعىّ . والصواب ، على أية حال ، هو " أسمائه " .

هائل[106] من التفاصيل الخاصة بحياته تتضمن محادثات[107] شديدة الطول. كما ذُكِر اسم اثنين من مؤلفى[108] هذه القصة [٦٤] .

وفى بعض الحالات الأخرى لا يُكْتَفَى بذكر أسماء مخترعى القصص فحسب ، بل تُذْكَر أسماء القصص التى اخترعوها أيضا : فيزيد بن مفرِّغ هو ع قصة الملك الحميرى تُبّع والأشعار المنسوبه إليه [٦٥] . كذلك فإن الأشعار

٦٤- المرجع السابق / ١ / ١٧٠ .

٦٥- الأغانى /٢٢/٥٢ .

106 – عند د. الجبورى : " ونكتشف ... مقدارا من تفاصيل سيرته " (ص / ٦٨) ، بسقوط كلمة " هائلا " (صفة " مقدارا ") المقابلة لـ " considerable " فى النص الإنجليزى .

107 – " أحاديث " عند كل من د. الجبورى (ص / ٦٨) ود. المهنا (١ / ٢٠) . وهذا خطأ ، لأن الأصل يتحدث عن " conversations : محادثات " لا " speeches : أحاديث " . وفضلا عن ذلك فإن إسناد د. الجبورى الكلمة إلى المجنون وقوله إنها " كل " أحاديثه وعدم تحديد كلمة "طويلة" بالمفعول المطلق " جدا " (هكذا : " كل أحاديثه الطويلة ") تشكل ثلاثة أخطاء أخرى . وبالمناسبة فإن كلمة " جدا " قد سقطت من ترجمة د. عبد الرحمن بدوى أيضا (ص / ١٠٧) .

108- أخطأ كل من د. الجبورى (ص / ٦٨) ود. المهنا (١ / ٢٠) فى نقل كلمة " romancers : مؤلفون / مخترعو قصص " إلى العربية ، إذ ترجما الجملة هكذا على الترتيب : " وفى هذه الحال فإن اسمى العاشقين الاثنين قد سُجِّلا " ، " ودُوِّن فى هذا المجال اسمان من العشاق " .

أما قول الأول : " وفى هذه الحال " وقول الثانى : " فى هذا المجال " فهما ترجمة لعبارة " in this case" ، التى نقلها د. بدوى إلى العربية بقوله : " بهذه المناسبة " (ص / ١٠٧) . ولعله خلط بين "in this case " و " on this occasion ". أقول : " لعله " ، ولا أزيد. وعلى أية حال فقد ترجمتُ هذه العبارة بالمعنى فقلت : " كما ذُكر اسم اثنين من مؤلفى هذه القصة " . ولو التزمنا بترجمة الكلام كما هو لجاءت الترجمة هكذا : " وقد ذُكر اسم اثنين من المؤلفين فى هذه الحالة " . ومنها يتضح أن قولى : " هذه القصة " يقابل " فى هذه الحالة " .

الموجودة فى سيرة ابن إسحاق [109] ، ولعلها أقدم عمل نثرى فى العربية القديمة[110] ، كانت تُعْمَل له حسب الطلب [٦٦] . وقد نصَّ ابن هشام فى حالات متعددة على أنها أشعار منحولة [111] . ومع ذلك فلا يكاد يوجد على الإطلاق ما يدفعنا إلى الظنّ بصحة أى شىء منها . أما نُصَيْبُ الشاعر فقد استهلّ حياته الشعرية بنظم أشعار ثم نسبتها إلى مشاهير شعراء ضمرة بن بكر بن عبد مناة وخزاعة [112] . ولما حازت هذه الأشعار إعجاب مشيخة هاتين القبيلتين اطمأنَّ إلى أنه يحسن قول الشعر [٦٧] [113] . وهذه التجربة تنم ،

٦٦- إرشاد الأريب /٦/ ٤٠ .

٦٧- الأغانى / ١/١٢٦ .

109 – عند د. الجبورى : " وكذلك الأشعار الموجودة فى حياة النبى من قِبَل ابن إسحاق " (ص / ٦٩) . وهى ترجمة حرفية لعبارة مرجليوث : " in the Life of the Prophet by Ibn Ishaq " ، ومن هنا غموضها . على أية حال فالمقصود هو سيرة النبى التى كتبها ابن إسحاق . وقد ترجمتها أنا بـ " سيرة ابن إسحاق " كما هى معروفة للخاصة والعامة .

110- ظن د. الجبورى أن الكلام فى هذه الجملة الاعتراضية إنما هو عن الأشعار التى فى السيرة ، فقال: " من الراجح أنها من أوائل نصوص الشعر العربى القديم " (ص / ٦٩) . والصواب أنه عن السيرة نفسها كعمل نثرى .

كذلك فقد ترجم د. الجبورى كلمة " probably " بقوله :" ومن الراجح " ، بدل " من الممكن / من المحتمل " . وأشد منه د. المهنا ، الذى ترجمها بـ " وعلى الأرجح " (١ / ٢٠) .

111 – يستخدم د. الجبورى لهذه الأشعار ضمير جمع الذكور العقلاء فيقول : " وفى حالات عديدة يلاحظ ابن هشام مهذِّبُ كتاب السِّيرة تزييفَهم " (ص / ٦٩) .

112- يظن د. الجبورى أن نُصَيْبًا كان ينظم الشعر فى مدح رجال من قبيلتى ضمرة بن بكر وخزاعة ! (ص / ٦٩) .

113 – يظن د. الجبورى أن كلمة " gift " فى الجملة الأخيرة تعنى " جائزة " ، ومن ثم جاءت ترجمته كالتالى : " وحين فازت هذه الأشعار بإعجاب زعماء هاتين القبيلتين ، فإن نُصَيْبًا شعر بتحقق جائزته الشعرية " (ص / ٦٩) . أمّا ما الذى يعنيه هذا الكلام فعلمه عند الله ! والحقيقة أن

بلا ريب ، عن عقلية علمية [114] . لكن لو كان إعجاب مشيخة القبيلتين صحيحًا لكان من المحتمل أن يكونوا قد أعجبوا بتلك الأشعار بوصفها لأولئك الشعراء القدماء [115]، وعندئذ لم يكن نُصَيْب ليستطيع أن يصارحهم بالحقيقة[116] . وبالمثل يقال إن جعفر بن الزبير الشاعر ، أخا عبد الله بن الزبير، الذى كان يزاحم الأمويين فى الخلافة ، كان يَنْحَل شِعْرَه عمرَ بن أبى ربيعة . ونتيجةً لذلك [117] أُدْخِلَت هذه الأشعار ، كما تقول الروايات ، فى

" gift " هنا تعنى " الموهبة " . وقد كنت كالعادة حريصًا ، وأنا أترجم هذا الكلام المنقول بدوره عن نص عربى ، أن أقترب ما أمكننى من الأصل العربى . ومن هنا قلت : " اطمأن إلى أنه يحسن الشعر" . ذلك أن الكلام فى " الأغانى" هو : " فلما سمعت ذلك منهم (يقصد عبارات إعجابهم بشعره) علمت أنى محسن " .

114 - لأى سبب قال د. الجبورى فى ترجمة هذه الجملة الأخيرة : " وبلا شك أن هذه التجربة التفاتة فنية" (ص / ٦٩) ؟ هذا ما لا أفهمه !

115 - تشابهت ترجمتا د. الجبورى ود. المهنا فى البعد عن معنى النص الإنجليزى هنا ، إذ قال الأول : " ولكن إذا كان إعجاب زعماء القبيلتين حقيقيا ، فإنه من المحتمل أن تلك الأشعار قد حُفِظت للذكرى كأشعار مداحين قدماء " (ص / ٦٩) ، وقال الآخر : " ... لكانت هذه القصائد قد حُفِظت مثلما حُفِظت أشعار الشعراء القدامى " (١ / ٢٠) .

وبالإضافة إلى هذا فليس الكلام عن مداحين قدماء كما جاء عند د. الجبورى ، بل عن شعراء هاتين القبيلتين الذين كان نُصَيْب ينسب إليهم شعره ، ولا عن " الأشعار " كما قال د. المهنا، بل عن" الشعراء ". وهؤلاء الشعراء ليسوا هم " الشعراء القدماء" بإطلاق ، بل هم" شعراء القبيلتين " بالذات.

116 - كعادة د. الجبورى فى كثير من الأحيان يعكس المعنى هنا رأسا على عقب فيقول : " كان من النادر ألا يستطيع نُصَيْب خداعهم " (ص / ٦٩) . وقد وقع د. المهنا فى نفس الغلط فقال : " ولا يمكن أن يكون فى مقدور نصيب أن يخدعهم " (١ / ٢٠) . لقد استعمل النص الإنجليزى هنا الفعل " undeceive " لا " deceive " ، وهذا عكس ذاك .

117 - " in consequence " : وبالتالى / ونتيجة لذلك " . ومع ذلك فقد ترجمها د. بدوى بقوله : "بعد ذلك " (ص / ١٠٨) ، كما ترجمها د. الجبورى بقوله : " فى النهاية " (ص / ٦٩) . وكلتاهما ترجمة غير دقيقة على أقل تقدير .

ديوان هذا الأخير (٦٨) (118) .

ولابد من القول أيضا بأن الوضّاعين (119) كانوا يتلقون تشجيعا قويا من الخلفاء وغيرهم : فعندما تصرف المفضل وحماد أمام المهدى (120) على النحو الذى سلف وصفه نجد أن الأول قد حصل على مكافأة أكبر، ومع ذلك فقد حصل حماد الوضاع الكذاب على مبلغ طيب أيضا. كذلك عرض هارون الرشيد عشرة آلاف درهم لمن يستطيع أن يروى قصيدة للأسود بن يَعْفُر. ومن الغريب جداً ما تقوله الرواية من أنه على رغم حضور وجوه العرب جميعا من أهل الشام والجزيرة والعراق (121) فلم يكن فيهم أحد يرويها (٦٩). وفى بعض

٦٨- الأغانى / ١٠٢/١٣ .

٦٩- الأغانى /١٢٩/١١ .

118 – عند د. الجبورى : " كما تخبرنا بذلك مقدمة الديوان " (ص / ٦٩) . ولست أفهم كيف خطر له هذا المعنى.

119 – يستخدم د. بدوى هنا كلمة " المنتحلين " (ص / ٦٩) ، كما يستخدم د. المهنا لفظة "الانتحال" (١ / ٢٠) . وقد سبق أن بينا وجه الخطإ فى استعمال صيغة " انتعل " من هذه المادة للدلالة على الوضع ، الذى هو " نَحْل " لا " انتحال " .

120 – acted to Mahdi . وقد ترجمها د. الجبورى بـ " شَخَصًا أمام المهدى " (ص / ٦٩)، أما د. بدوى فقد قال : " عَمِلا للمهدى " (ص / ١٠٨) .وكلتا الترجمتين بعيدة عن الأصل .

121– Mesopotamia . وقد استخدم د. الجبورى هنا المصطلح الحديث : " وادى الرافدين " ، على رغم إيراده ، كالعادة ، النص العربى الأصلى ، وفيه " وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق". وقد ترجم مرجليوث كلمة " الجزيرة " فى هذا النص بـ " Arabia " فترجمها د. بدوى بدوره بـ " الجزيرة العربية " (ص / ١٠٨) . وليس على ترجمته ، فى حد ذاتها ، من بأس . لكن هل كان مؤلفونا القدماء يطلقون كلمة " جزيرة " على ما نسميه الآن بـ " الجزيرة (أو شبه الجزيرة) العربية " ؟ الذى أعرفه أنهم كانوا يطلقون هذه الكلمة على ما بين النهرين : دجلة والفرات . أما "العراق" فكانت تطلق على العراق كله ، وأحيانا ما يقصدون بها أيضا بلاد فارس (انظر فى

المناسبات الأخرى كان النجاح فى رواية قصيدة يريدها الخليفة سببًا فى زيادة العطاء فى الحال (٧٠) (122) .

ورغب الموفق (أخو الخليفة المعتمد)، الذى كان أقوى من الخليفة كثيرا(123) ، فى أن يزوده وزيره ببعض أشعار اليهود. وكان جواب المبرّد ، حين طلب منه الوزير ذلك ، أنه لا يعرف شيئا من هذه الأشعار (124) ، مما جعل الوزير يتحول إلى أحد العلماء المنافسين له ، وهو ثعلب (125) ، الذى كان فى

٧٠- الأغانى /٣/٤ .

تعريف " الجزيرة " مثلا القزوينى/ آثار البلاد وأخبار العباد / دار صادر / بيروت / ٣٥١ فى مادة " الجزيرة " و ٤٩١ فى مادة " آمِد ") . وعلى هذا فمرجليوث قد أخطأ فى ترجمة هذه الكلمة .

122 - أخطأ د. الجبورى هنا فقال فى ترجمة العبارة الأخيرة : " فيهتدى إلى الجائزة مباشرة " (ص/ ٧٠) . كما أخطأ د. المهنا ، الذى جاء نص ترجمته كالتالى : " ... إلى تعجيل العطاء " (١/ ٢٠) . والصواب هو أن ذلك النجاح كان يؤدى إلى " رفع العطاء فى الحال". فهكذا يقول النص الإنجليزى : " led to an immediate rise of stipend ... " ، وكذلك الرواية العربية، التى أوردها كالعادة د. الجبورى مشكورا ، ومع ذلك لم يستفد منها . وفيها أن عبد الملك سأل اثنين فى مجلسه عن قصيدة لذى الإصبع العدوانى فلم يستطع أحدهما أن يرويها ورواها الآخر، فعندئذ أنزل عبد الملك فى الحال عطاء الأول من ألفين إلى خمسمائة ، وجعل عطاء الآخر ألفين بدلا من خمسمائة .

123- فى ترجمة د. الجبورى : " ولو أنه أكثر حزما منه " (ص / ٧٠) . وليس ها هنا مجال لـ " ولو" هذه ، علاوة على أن الكلام ليس عن الحزم بل عن القوة .

124 - عند د. الجبورى : " ولكن المبرد أقر بأنه لا يعرف أحدا منهم " (ص / ٧٠) ، ولم يقل مرجليوث إن المبرد لم يكن يعرف أحداً من اليهود ، وإنما قال إنه لم يكن يعرف شيئا من أشعارهم . لقد سبق الحديث عن أشعار اليهود: " poems by Jews " ، فعندما يقال بعد ذلك : "he knew of none" يكون المقصود أنه لا يعرف شيئا من هذه الأشعار ، إذ الضمير يعود على المذكور، والمذكور هنا هو الأشعار اليهودية لا اليهود أنفسهم .

125 - فى صياغة د. بدوى هنا بعض الركاكة ، إذ قال : " لكن منافسه ثعلب الذى طلب منه ذلك أيضا بعد ذلك ... " (ص / ١٠٨) ، فإن تكرار اسم الإشارة مرتين متتاليتين على هذا النحو غير مستساغ ، فضلا عن أن فاعل الفعل "طَلَبَ" غير واضح فى العبارة .

وضع أفضل ، إذ كان يجمع شعر اليهود على مدى الخمسين عامًا السابقة ، فأعطاه ما جمعه [126] ، وبذلك حصل على مكافأته .

وبسبب من فساد الذمة لدى رواة القصائد [127] جاءت أطوالها متفاوتة[128] : فصاحب " الأغانى " يورد مقطوعة لذى الإصبع من ستة أبيات سرعان ما ترتفع إلى اثنى عشر بيتا .ثم يذكر عقيب ذلك أنه لم يصح منها عند واحد من أشهر الرواة [129] إلا أبيات ثلاثة . وفى النهاية نجدها قد بلغت سبعة عشر .

ومع ذلك فيمكن الإقرار بأنه رغم هذه الإغراءات كان هناك بعض الرواة المتحرجين والناقدين أيضا . وهؤلاء الرواة لم يقوموا هم انفسهم بوضع الأشعار، ولكنهم أدخلوا فى مجموعاتهم ما اعتقدوا صحته من شعر

---

126 – عند د. بدوى أن ثعلبا ، الذى كان قد جمع أشعار اليهود ، قد " قدّم (للوزير) مجموعة ونال حظا وافرا بذلك" (ص ١٠٨ – ١٠٩) . وأعتقد أن ها هنا غلطة مطبعية صوابها " قدّم مجموعه : produced his Corpus " .

127 – جاءت الترجمات الثلاث الأخرى حرفية : فعند د. بدوى :" من ينشرون القصائد على الناس " (ص / ١٠٩) ، وفى ترجمة د. المهنا : " اللذين أشاعوا هذه القصائد " (١ / ٢١)، كما ترجمها د. الجبورى كالتالى : " أعطوا شهرة إلى الشعر " (ص / ٧٠) . وهذه الترجمة الأخيرة هى أكثر الثلاث حرفية وأشدها مجافاة للذوق العربى .

128 – علاوة على الحرفية الشديدة فى ترجمة د. الجبورى للعبارة السابقة نجده لم يوفق فى ترجمة الجملتين الأوليين اللتين جاءتا عنده على النحو التالى : " وكان من سوء نية الرواة أن أعطوا شهرة إلى الشعر ، وكانوا أنماطا متغيرة " (ص / ٧٠). ولا علاقة بين هذا والنص الإنجليزى البتة .

129 – " a most notable antiquary : واحد من أشهر الرواة "، وليس " أكبر الرواة " (هكذا بإطلاق) كما فى ترجمة د. بدوى (ص / ١٠٩) .

قديم[130] . بَيْد أن هذا يعيدنا إلى مسألة المصادر . لقد كانت بعثة محمد حدثا هائلا فى بلاد العرب جرَّ وراءه انفصالا عن الماضى لم يشهد العالم تقريبا له مثيلا [131] . فقد خلَّف الناسُ من جميع أرجاء البلاد مواطنَهم واستقروا فى مناطق قلما سمع بها منهم أحد . وفى داخل الجزيرة العربية نجد أن الحروب الأهلية قد صاحبت ظهور الإسلام وتلته أيضا [132] . كذلك لم يتنزل الإسلام ولا حتى إلى أن يكون موقفه من الوثنية القديمة هو موقف التسامح المشبع بالاحتقار [133] ، بل كان عداؤه لها ملتهبا غير قابل أى لون من التفاهم معها. فإذا كان الشعراء هم ألسنة حال الوثنية ، فمن يا ترى أولئك الأشخاص الذين حفظوا فى ذاكرتهم ورووا لغيرهم تلك الأشعار المنتمية إلى ذلك

---

130 - للأسف لا يتضح فى ترجمة د. بدوى هذا الاستدراك ولو من بعيد ، إذ جاءت عبارته هكذا : "إنهم لم يصنعوا شعرا ، وقبلوا فى مجاميعهم ما اعتقدوا أنه آثار صحيحة من القديم" (ص/١٠٩) .

أما د. الجبورى فكان فى ترجمته للجزء الأخير شىء من عدم الدقة ، إذ قال : " إلا أنهم رضوا بمجاميعهم التى اعتقدوا أنها آثار قديمة صحيحة " (ص / ٧٠) . إن الكلام ليس عن رضا هؤلاء الرواة بمجاميعهم بل عن إدخالهم فى هذه المجاميع ما ظنوا أنه شعر جاهلى سليم .

131- عند د. الجبورى : " ويندر أن يكون فى التاريخ مثيلا لحركة الإسلام " (ص / ٧٠) ، وهو خطأ نحوى فادح .

132 - ليس فى ترجمة د. الجبورى أن الحروب الأهلية قد تلت ظهور الإسلام أيضا : " وقد رافقت ظهور الإسلام فى داخل الجزيرة العربية حروب أهلية " (ص / ٧٠) . أما عند د. المهنا فالعبارة غير مستقيمة : " وصحبت ظهور الإسلام وبعده حروب أهلية فى شبه الجزيرة العربية " (١ / ٢١) ، إذ ينقص الكلام فعل يناسب أن يكون مكانه بين " الواو " وكلمة " بعده " (مثلا : " وصحبت ظهور الإسلام واستمرت بعده حروب أهلية ... ") .

133 - خلت ترجمة د. بدوى من المقابل لكلمة " even " هنا ، التى نقلتُها أنا إلى العربية بقولى : "ولم يتنزل .... ولا حتى إلى ... " .

النظام[134] الذى قضى عليه الإسلام ؟ إن بمستطاعنا تتبع الوعى بهذه المشكلة فى الحل الذى يقال إن حمادا قد قدمه [135] ، ألا وهو أن هذه الأشعار قد دُفِنت طوال الأعوام التى كانت حماسة الإسلام فى أوجها ثم استُخْرِجت بالمصادفة بعد أن بردت هذه الحماسة شيئا ما . أما الحل الآخر الذى نتناوله الآن فهو أن الشعراء لم يكونوا هم المتحدثين باسم الوثنية [136] ، بل كانوا مسلمين فى كل شىء ما عدا الأسماء .

وإذا تحولنا بأبصارنا إلى البرهان الداخلى فإننا نجد لهذه القصائد بعض الملامح التى تبعث فى أقل تقدير على الدهشة . إن الشعراء عند معظم الأمم لا يتركوننا فى أية عماية من دينهم [137] . وقد كان العرب ، فى النقوش التى تركوها لنا [138] ، صرحاء بالمثل فى هذا الموضوع ، فمعظم النقوش تذكر

---

134 – ترجمتُ كلمة " dispensation " إلى " نظام " ، ولكن ترجمها كل من د. الجبورى (ص/٧١) ود. بدوى (ص/١٠٩) إلى " الشريعة " . ترى هل كان فى الجاهلية " شريعة " ؟ لا إخال .

135 – " نستطيع أن نتتبع وجدان هذه المشكلة فى المسألة التى قيل إن حمادا قد عرضها " (الجبورى /٧١) . ترى هل فهم القارئ شيئا من هذا الكلام ؟ .

136 – سها د. المهنا أو أخطأ الطابع فحذف أداة النفى فى النص التالى : " فهو أن هؤلاء الشعراء كانوا لسانا للوثنية ، بل كانوا مسلمين قلبا وقالبا إلا فى الاسم " (١ / ٢١) ، إذ الصواب أنهم " لم يكونوا لسانا للوثنية ، بل كانوا ... " .

137 – يترجم د. عبد الرحمن بدوى هذه الجملة خطأ فيقول : " إن شعراء غالبية الأمم لا يشكّون أبدا فى ديانتهم " (ص / ١١٠) .

138 – the Arabs of the inscriptions . وترجمتها الحرفية : " عرب النقوش " ، أى العرب كما تظهرهم النقوش التى تركوها لنا . ولكن د. بدوى يترجمها قائلا : " العرب المسجّلون على النقوش" (ص / ١١٠) ، وهى ترجمة غير صحيحة وغامضة .

واحداً أو أكثر من الآلهة وبعض الأمور المتعلقة بعبادتهم[139] . وقد خصص المرزباني كتابًا يزيد علي خمسة آلاف صفحة [140] للشعراء الجاهليين ودياناتهم ونِحَلهم[٧١] . وقد يظن الإنسان أن المواد الخاصة بهذه الموضوعات ستكون ضئيلة ، إذ إن ما ورد فى الأشعار التى فى حوزتنا من إشارات إلى الدين شيء جدّ قليل . من ذلك تأكيد[141] أحد الشعراء أن دينه يوافق دين بعض الناس[٧٢] ، إلا أنه لا يوضح لنا حقيقة هذا الدين . كما أن جو النقوش الوثنى

---

٧١ - الفهرست .

٧٢- عمرو بن قميئة / ٢ / ٩ .

---

139 - عند د. بدوى : " فمعظم النقوش تذكر واحدا أو أكثر من الآلهة ومن الأمور المتعلقة بعبادتهم " (ص / ١١٠) . وهى ترجمة تفتقر إلى الدقة ، إذ لا تصدق عبارة : " واحداً أو أكثر " إلا على الآلهة فقط دون " الأمور المتعلقة بعبادتهم " .

كما أن فى كلام د. عبد الله المهنا هنا شيئا من الركاكة ، إذ يقول : " فإن معظم نقوشهم تشيد بإله أو أكثر ومسائل تتعلق بعبادتها " (١ / ٢١) . والسؤال هو : علام يعود الضمير " ها " (فى "عبادتها ") ؟ لو قال : " تشيد بواحد أو أكثر من الآلهة ومسائل تتعلق بعبادتها " لوجد الضمير ما يعود عليه .

140 - يقول د. عبد الله المهنا : " وخصص المرزبانى فى أحد كتبه أكثر من خمسة آلاف صفحة لذكر الشعراء الجاهليين ... " (١ / ٢١) . ومعنى هذا أن صفحات الكتاب أكثر من ذلك الرقم المذكور ،وأنه يضم موضوعات أخرى إلى جانب شعراء الجاهلية ودياناتهم ونِحَلهم . وهذا كله غير صحيح ، فإن عبارة مرجليوث قاطعة فى أن هذه الصفحات هى عدد صفحات الكتاب كله ، وهو نفس ما جاء عند ابن النديم فى " الفهرست " من أن عدد ورقه أكثر من خمسة آلاف ورقة . والورقة قديما تعنى صفحةً الآن ، لأنهم كانوا لا يكتبون إلا على وجه واحد من الورقة .

141- فى ترجمة د .المهنا : " والحق أن هناك شاعرا واحدا يزعم أن ديانته تتفق ... " (١ / ٢١) ، مع أن مرجليوث لا يقصد النصّ على أنه شاعر واحد وليس اثنين ، بل كل ما يريد قوله هو أن أحد الشعراء يقول كذا . كذلك لم يقل مرجليوث إن هذا الشاعر " يزعم " أنه ... إلخ ، بل قال : "asserts" : يؤكد " . أما ترجمتها بـ "يزعم" فهى عكس ما يريده تمامًا .

هو ببساطة غير موجود . ولعل ذلك هو ما أوحى للأب لويس شيخو نظريته فى أن أولئك الشعراء كانوا جميعا نصارى ، رغم أن هذه النظرية ليست ، فيما يبدو ، نظرية صحيحة ، فبعض هؤلاء الشعراء الذين يُفْتَرَض أنهم نصارى يعبّرون عن أنفسهم على نحو يدل بوضوح على أنهم ينتمون إلى ديانة مختلفة. وهكذا يتحدث أعشى قيس ، وهو من قائمة شيخو ، عن (142) عُفَاةٍ يطوفون بأبواب كافلهم (143) كما تطوف النصارى ببيت الوثن (٧٣) . كما أن أحد الأبيات القلائل التى ورد فيها قَسَمٌ بإله وثنى هو بيت منسوب إليه (٧٤) (144) .

٧٣- السكرى / شرح شعر الحطيئة / ٣٨ .

٧٤- الأغانى / ٢٠ / ١٣٩ .

---

142 - Thus A' sha Qais , who is on Cheikho's list , speaks of ... .هذا ما جاء فى الأصل الإنجليزى ، ومع ذلك نقرأ فى ترجمة د. يحيى الجبورى الكلام التالى : " ومن هذا النمط أعشى قيس ، الذى هو فى مجموعة شيخو يتحدث فى شعره عن ... " (ص / ٧٢) ، وليس الأمر ، فيما أظن ، بحاجة إلى تعليق من عندى .

143- petitioners (speaks of) ... . وقد ترجمها د. الجبورى بـ " العبّاد والمصلين " (ص/٧٢) ، وبالمثل ترجمها د. المهنا بـ " العبّاد المتبتلين " (١ / ٢٢) . والعجيب أن كليهما (ص/ ١٠٩ - ١١٠ ، و ١ / ٣٠ على التوالى) قد أورد نص بيت الأعشى ، وهو :

تطوف العُفَـاة بأبوابه طـواف النصارى ببيت الوثن

إذن فالشاعر يتحدث عن " العفاة " لا عن " العبّاد والمصلين " ولا عن " العبّاد المتبتلين " . والعفاة هم " طلاب الحاجات " كما جاء فى ترجمة د. بدوى . أما أنا فآثرت أن أبقى على اللفظة الواردة فى الأصل .

144 - أخطأ د. الجبورى فى ترجمة هذه الجملة ، إذ قال : " وفى حالات قليلة نجد لديه إيمانا بالألوهية الوثنية فى بيت منسوب إليه " (ص / ٧٢) . أما ترجمة د. المهنا فتتسم باضطراب التركيب . وهذا نص كلامه : " وإن من الأمثلة القليلة التى تعثر فيها على قَسَم بآلهة وثنية ، نجده عند الأعشى فى بيت يُعْزَى إليه " (١ / ٢٢) . فأين اسم " إن " ؟

وحيثما يوجد النصارى توجد معهم كتبهم المقدسة [145] . وما أعظم التأثير الذى تركه أسلوب الأناجيل ورسائل الرسل والمزامير على لغتهم وأفكارهم [146].كما أن أشعارهم فى معظم الأحايين تتخذ شكل التراتيل[147] . ومع ذلك نجد فى الشعر المفروض أنه جاهلى ندرة فى الكلام عن الكتب والتقاليد النصرانية حتى عند أولئك الشعراء الذين يقال إنهم قد أصابوا شهرة فى بلاط نصرانى . ويتحدث صاحب " الأغانى " الخبير المتمرس عن أحد الشعراء الذين اشتهروا فى أواخر القرن الأول من الهجرة [148] ، مؤكدا أنه

---

145 – فى ترجمة د. المهنا : " وأينما يكون النصارى تكون لهم كتبهم المقدسة " (١ / ٢٢) ، برفع فعلى الشرط وجوابه بعد " أينما " !

146 – انظر إلى ترجمة د. الجبورى التالية : " إن النصارى حيثما كانوا لهم كتبهم المقدسة (أناجيلهم) ولغتهم وتفكيرهم " (ص / ٧٢) تجده قد عطف " لغتهم وتفكيرهم " على " كتبهم المقدسة " . وليس هذا مقصد مرجليوث بحال ، إذ لا يمكن أن يقول إن النصارى فى أى مكان لا بد أن تكون لهم لغة وتفكير ، فهذا أمر من البداهة بمكان بحيث لا يفكر أحد أن يعنى نفسه بالإشارة إليه . علاوة على أن تركيب الكلام فى النص الأصلى يرفض هذه الترجمة رفضا .

147 – " hymns : التراتيل (كما عندى) ، أو الترانيم (كما فى ترجمة د. المهنا)" . وقد ترجمها د. بدوى بـ " الأناشيد " مطلقا ، مع أنه إن كان لابد من استخدام هذه الكلمة فينبغى أن نقول: "الأناشيد الكنسية " حتى يتضح المراد ، وإلا انصرف الذهن إلى الأناشيد الوطنية أو المدرسية .

148 – فى ترجمة د. المهنا : " ويحاول مؤلف " الأغانى " القدير أن يبرهن أثناء مناقشته لأحد الشعراء الذين ازدهروا عند نهاية القرن الإسلامى الأول ... " (١ / ٢٢) . والحق أن الأصفهانى لا يناقش ذلك الشاعر ، وإنما يتحدث عنه . وقد وقع د. الجبورى عند ترجمته لهذه الجملة فى الخطإ ذاته ، إذ قال : " إن مؤلف كتاب الأغانى هذا الرجل البارع ، ناقش بأن شاعرا معروفا ازدهر نحو نهاية القرن الأول الهجرى الذى ينبغى أن يكون نصرانيا ... " (ص / ٧٢) . فما معنى " ناقش بأن ... " ؟ ثم ما هذه العجمة فى تركيب الكلام ؟ ولم ينبغى أن يكون القرن الهجرى الأول قرنا نصرانيا؟ وفوق ذلك فإن مرجليوث لم يقل : " شاعر معروف " بل قال : " شاعرٌ ما : a certain poet " .

لا بد أن يكون نصرانيا. ذلك أنه يحلف بالإنجيل والرهبان والإيمان ، وهى حقًا أقسام نصرانية كما جاء فى كلامه[٧٥] . وبرغم كثرة الحلف عند الشعراء الجاهليين فإنهم لا يقسمون تقريبا إلا بالله[150] ، وهو قَسَمٌ منتشر حقا فى دواوينهم . بل إن عَبِيد بن الأبرص ليستخدم الأسلوب القرآنى فى قسمه ، إذ يقول :

حلفتُ بالله ، إن الله ذو نِعَـمٍ ... لمن يشاء وذو عفوٍ وتصفاحِ[٧٦](151)

٧٥- بينما يحلف المسلم (149) بالتوراة والقرآن / المرجع السابق /١٢ / ٧٢ .

٧٦- الديوان / ٦٧ .

149 – جاء هذا الهامش عند د. الجبورى هكذا : " مسلم يقسم بالتوراة والقرآن " (ص / ٧٢) . وسوف ينصرف الذهن إما إلى شخص اسمه " مسلم " ، كالإمام مسلم مثلا ، وإمّا إلى مسلم ما ، أىّ مسلم . والسبب هو أن د. الجبورى لم يتنبه إلى أن كلمة " a Moslem " الواردة عند مرجليوث ، وإن أخذت علامة التنكير " a " ، فإنها تعنى اسم الجنس . فإذا قلنا مثلا : "A Moslem must say his prayer 5 times a day" كان المقصود أن " على المسلم أن يصلى خمس مرات فى اليوم " . (بمعنى : كل مسلم ، أو المسلمين جميعا) .

150 – كعادة د. الجبورى جاءت ترجمته لهذه الجملة بعيدة عن الأصل الإنجليزى ولا تؤدى معنى واضحا. يقول : " ولو أن الشعراء الجاهليين يقسمون مرارا كثيرة ، وقسمهم بالله لا يتغير " (ص / ٧٢) . وتشبه ترجمةُ د. المهنا للجزء الأخير من هذه الجملة ترجمةَ د. الجبورى : " ... فإن قسمهم بالله لا يتغير فى الغالب " (١ / ٢٢) . ولم يقل مرجليوث هذا ، وإنما ترجم الدكتوران الفاضلان الظرف : " invariably " بـ " لا يتغير " ، على حين أن معناه : " دائما / باستمرار " .

151 – اكتفى د. الجبورى بترجمة هذا البيت بالمعنى : " إنى أقسم بالله ، الله الحق ، الكريم ، بهذه الأمر ، الغفور الرحيم " (ص / ٧٢) . وعلى غير عادته فى إيراد النصوص العربية (التى ترجمها مرجليوث) فى الهوامش ، وإن كان لا يستفيد منها عادة فى ترجمته ، فإنه فى هذه المرة لم يورد بيت عَبِيد . ولعل القارئ قد لاحظ أنه لم يوفَّق فى هذه الترجمة .

كذلك فإن نظرتهم إلى أفعال الله لا تختلف فى شىء عن نظرة الموحدين ، بل تسبق ما جاء عن ذلك فى القرآن فى كل نقطة تقريبا [152]: فالله "يقبض الدنيا ويبسطها " [٧٧] ، وهو يُبْتَهَل إليه [153] أن يجزى المحسنين خيرا [٧٨][154] ويجمع شملا طالما افترق [٧٩] ، وأمره بِلْغ [٨٠] [155] ، والنسوة المفجعات يدعونه أن يرتاح لهن [٨١] ، وتُلْتَمَس بركته لماء الآبار [٨٢] [156] ،

٧٧- ذو الإصبع / الأغانى / ٣ / ٩ .

٧٨- الأغانى / ١٣ / ٥ .

٧٩- المرجع السابق / ١٣ / ٤ .

٨٠- الحارث بن حلزة / المعلقة / ٤٤ .

٨١- الأغانى / ٤ / ١٥١ .

٨٢- عبيد بن الأبرص / ١٩ .

---

152 - سأضع أولا تحت بصر القارئ ما قاله د. الجبورى فى ترجمة هذا الجزء ، وها هو ذا : " أما نظرتهم المشركة لأعمال الله فيمكن أن تُرَفَّض ، لأنها تتوقع بيانات القرآن ، وغالبا بكل تفصيل " (ص / ٧٢) . والآن أسأل : ترى هل فهم القارئ شيئا من ذلك ؟ ناهيك عن قلبه النفى إثباتا فى قوله : " يمكن أن تُرَفَّض " .

153 - هاتان الكلمتان لا توجدان فى ترجمتَىْ د. الجبورى ود. المهنا .

154 - يقول د. الجبورى هنا : " وهو الذى أنزل الثواب للمحسنين " (ص / ٧٢) !

155 - هكذا فى البيت الذى يشير إليه مرجليوث ، ونصه :

فهداهمو بالأسودين ، وأمر الـ ـــلـه بِلْغٌ يشقى به الأشقياءُ

أى أن أمر الله لابد أن يقع . ومع ذلك يترجم د. الجبورى هذه العبارة كالتالى : " وهو الذى يأمرهم بإنفاذ أمره " (ص / ٧٢) ، رغم أنه قد أورد هذا البيت بالهامش (ص / ١١١) .

156 - عند د. الجبورى : " وبركته تتنزل بالحق " (ص / ٧٢) . ترى ما معنى هذا ؟ وما صلته بكلام مرجليوث ؟ وكيف لم يلتفت المترجم إلى ما جاء فى البيت الذى عنى نفسه مشكوراً ونقَّب حتى وجده وأورده (ص / ١١١) ، ونصّه (والكلام فيه عن بئر) :

بارك فى مائها الإله فما يبصّ منه كأنه عسلُ ؟

وتُستَنزَل اللعنات باسمه [٨٣] [157]، و :

من يسأل الناس يحرموه   وسائل اللـه لا يخيبُ [٨٤]

والإثم إنما يُستَحقَبُ من الله [٨٥] ، وهو الشاهد الذى يتضرعون إليه [٨٦] [158]، وهو يعلم ما أخفت القلوب [٨٧] ، وهو رب الناس [٨٨]. ويقول شاعر وثنى :

(فقلت لها :) تالله يـدرى مسافر   إذا أضمرته الأرض ما الله صانعُ [٨٩]

وفى بعض الأحيان يُستَعمَل اسمُ " الرحمن " بدلا من " الله " كما هو الحال فى القرآن [٩٠] .

والحق أن الدين الوحيد الذى يمكن أن يُنسَب إليه هؤلاء الشعراء

٨٣- المرجع السابق / ٦٦ .

٨٤- المرجع السابق / ٨ .

٨٥- ابن قتيبة / ٤٤ .

٨٦- الأغانى / ٤ / ١٤٤ .

٨٧- عبيد بن الأبرص / ٥٠ ، والحارث / المعلقة / ٥٥ .

٨٨- الأغانى / ٦ / ١٣٢ .

٨٩- الأغانى / ١٣ / ٧ (أخطأ مرجليوث فجعل الكلام فى البيت استفهاما مثبتا ، على حين أنه قسم على أمر منفى - المترجم) .

٩٠- نفس المرجع والصفحة .

---

157 - تحولت عبارة " تُستنزل اللعنات " فى ترجمة د. الجبورى إلى " تُرفَع الدعوات " ! (ص / ٧٢) . كما ترجم د. المهنا " اللعنات : imprications " إلى " الهجاء " (١ / ٢٢) ، وهو بعيد عن الأصل وعن الواقع معًا .

158- عند د. الجبورى : " والله شاهد على ما يشتهون " ! (ص / ٧٣) .

الجاهليون[159] إنما هو الدين المحمدى(*). إنهم ، كما رأينا ، ليسوا موحّدين متشددين فحسب (فهم نادراً ما يذكرون آلهة غير الله ، وإذا حدث فإنها لا تُذكر دائما [160] باحترام [٩١]) ، بل يبدو فى كلامهم معرفة كبيرة بأمور يؤكد القرآن أنها لم تكن معروفة للعرب قبل نزوله . من ذلك ما جاء فى الآية ٥١ من سورة " هود " من أن محمدا وقومه لم يكونوا يعلمون قصة نوح من قبل. وهو كلام يتفق مع ما ينبغى أن نستخلصه من واقع النقوش ، التى تخلو من أية إشارة إلى أنساب العرب المتصلة بهذه القصة[161] فى الكتاب المقدس . ومع هذا فنحن نجد أن النابغة الذبيانى ، الذى ازدهر حسب ما قال لويس شيخو فى سنة ٦٠٤ هـ ، وهى السنة التى يُذكر أيضا أنه تُوُفِّى فيها ، لم يكن على علم بقصة نوح فقط بل كان يعرف شيئا ما عن هذا النبى الذى يبدو[162]

(*) لم يقل الرسول عليه السلام ولا المسلمون يوما عن الإسلام :" الدين المحمدى" . فهو تجاوز من المؤلف إذن للحدود السليمة .

(٩١) عبيد بن الأبرص / ١٣ .

159 – فى ترجمة د. الجبورى : " الذى يمكن أن يؤمن به هؤلاء الشعراء الجاهليون " (ص / ٧٣) ، وهو خطأ .

160 – يخطئ د. الجبورى هنا أيضا فيقول فى ترجمة هذه الجملة : " إذا ذكروا إلها آخر فى أحايين قليلة فإنه ذكر فيه مهانة " (ص / ٧٣). والصواب هو أن هذا الذكر يفتقر فى بعض الأحيان (وليس "دائما" كما يفهم من كلامه) إلى الاحترام .

161 – لا وجود للكلمات الثلاث الأخيرة لا فى ترجمة د. الجبورى ولا عند د. المهنا. وقد ترجمها د.عبد الرحمن بدوى هكذا : " مما يتضمن قصة نوح " (ص / ١١٣) .

162 – يقول د. المهنا : " بل إنه كان يعرف بعض أشياء عن نوح تدل على أن القرآن هو المصدر الوحيد لها " (١ / ٢٣) . وليس فى النص الإنجليزى ما يقابل قوله : " تدل على " . والذى قلته هو الصحيح ، وهو نفس ما قاله المترجمان الآخران كلٌّ بطريقته .

أن القرآن هو المصدر الوحيد عنه . وهذا نص كلامه :

وألفيتُ الأمانــة لم تخنها   كذلك كان نوحٌ لا يخونُ [٩٢]

وفى البيت إشارة واضحة إلى كلمة " أمين "[163] التى يصف القرآن بها نوحا (الشعراء / ١٠٧) . كذلك من الواضح أن عنترة بن شداد ، الذى يقع ديوانه فى ٢٨٤ صفحة ، كان يعرف النصوص القرآنية والمصطلحات الإسلامية قبل ظهور محمد : ففى حديثه إلى كسرى أنوشروان ملك الفرس ، الذى توفى فى ٥٨٠ م ، نراه يسـميـه " قِبْلة (القُصّاد) " [٩٣] ، مستعملا اللفظ الإسلامى الـذى يـدل على اتجاه الصلاة ، وإن لم يكن ينبغى أن يصيبنا هذا بأية دهشة ما دام أهل المدينة ، كما يقول " الأغانى " ، كان لهم فى الجاهلية مسجد ذو قبلة[٩٤](164) ، وهمـا الأمـران اللذان يُنْظَر إليـهـمـا عـادة على أنهما اختـراع إسـلامى [165] . كذلك كان هذا الشاعر يعرف أوضاع الصلاة الإسلامية من

٩٢- شعراء النصرانية / ٧٣٠ .

٩٣- ط. القاهرة / ٢٥٤ .

٩٤- الأغانى / ١٣/ ١١٦ .

---

163 - " والمرجع الواضح الوحيد فى وصف (الأمين) هو القرآن ". هكذا قال د. الجبورى ، وهى ترجمة غير صحيحة .

164 - a masjid with a qiblah . وقد ترجمها د. الجبورى بـ " مسجد مع قبلة " (ص / ٧٤) ، وهى ترجمة ركيكة . وعلى أية حال فكلمة " with " هنا لا تدل على المعية بل على الملكية ، بمعنى أن للمسجد قبلة . وفى ترجمة د. المهنا : " مسجد وقبلة " (٢ / ٩) ، مع أن المستشرق البريطانى لم يقل : " and " بل استعمل " with " ، التى تدل على الملكية كما أوضحنا .

165 - ابتعد د. الجبورى هنا ، كعادته فى كثير جدا من الأحايين ، عن النص الإنجليزى ، إذ قـال فى ترجمته : " والمسجد والقبلة عادة من مظاهر الإسلام " (ص / ٧٣) .

وكوع وسجود [٩٥] . كما كان يعرف حَجَر المقام (أى الحجر الذى كان يقف عليه إبراهيم) والذى اخترع الإسلام ارتباطه بالبيت الحرام اختراعا [٩٦](166) وكان عنترة يعرف أيضا الاسمين (167) اللذين يطلقهما القرآن على النار ، وهما " الجحيم " و " جهنم " [٩٧] ، وكذلك الاسمين اللذين يستعملهما ذلك الكتاب

٩٥- ط. القاهرة / ١٠١ ، ١٥٤ .

٩٦- المرجع السابق / ٢٣٢ .

٩٧- المرجع السابق / ٢٣٧ ، ٢٠٤ (ينطق مرجليوث كلمة "جهنم" بضم النون مع تشديدها! - المترجم)

أمّا د. المهنا فقد ظن أن الكلام فى النصّ إنما يدور حول لفظتى " المسجد " و " القبلة " وليس على " المسجد " و " القبلة " أنفسهما . ومن هنا نراه يترجم العبارة على النحو التالى : " وتعتبر هذه الألفاظ عادة ألفاظا إسلامية " (٢ / ٩) ، مع أن الاسم الموصول " which " فى كلام مرجليوث إنما يصف " المسجد " و " القبلة " (اللذين قال إن أهل المدينة كانوا يعرفونهما) لا الاسمين اللذين يقعان عليهما .

166 - ابتعد د. يحيى الجبورى هنا أيضا عما قاله المستشرق صاحب الدراسة واضطرب فى نقله إلى العربية وغمض وركّتْ عبارته . قال : " وقد اعتاد هذا الشاعر على المظاهر الإسلامية للصلاة من الاتجاه والسجود وحجر المقام وإلى ذلك ، الحجر الذى وقف عليه إبراهيم ، والذى يرتبط بقدسية مكة، وهو من معانى الإسلام تماما " (ص / ٧٤) . لقد أصبح " الركوع " عنده " اتجاها" وأصبح قول مرجليوث : " ... والذى اخترع الإسلام ارتباطه بالبيت الحرام اختراعًا " : " والذى يرتبط بقدسية مكة وهو من معانى الإسلام تماما " . ثم ما معنى أن عنترة قد اعتاد على المظاهر الإسلامية للصلاة ؟ وكذلك ما معنى أن " حجر المقام " هو من معانى الإسلام تمامًا ؟ هل يا ترى هذا كلام قابل للفهم ؟ وناهيك عن استخدامه الخاطئ لعلامات الترقيم أحيانا !

167- عند د. بدوى : " والاسم الذى يطلقة القرآن على يوم الحساب " (ص / ١١٤) ، رغم أن النص الإنجليزى يقول : " those which " ، بصيغة الجمع ، التى حولْتُها فى ترجمتى إلى صيغة المثنى، لأن الكلام عن اسمين فقط ذكرهما مرجليوث فى الهامش ، وهما " القيامة " و " المحشر " ولست محتاجا بطبيعة الحال إلى أن أوضح أن الجمع فى الإنجليزية يبدأ من الاثنين لا من الثلاثة كما فى اللغة العربية .

لليوم الآخر (٩٨)(168) . وبالمثل نجده يُؤْثِر استخدام (169) بعض التعبيرات القرآنية (٩٩) . ومن ثم فلا مجال للشك فى أنه كان مسلمًا صالحًا ، خلا أنه قد عاش قبل ظهور الإسلام (١٠٠) .

وربمًا يكون استعراض هذا الشاعر الجاهلى لديانته المحمدية (*)(170) استعراضا مُفْرِطا إلى حد ما ، لكن هناك شعراء كثيرين يقدمون لنا هم أيضا لمحات من دينهم المحمدى . ولقد كان ينبغى علينا أن نستنتج (171) من القرآن

٩٨- " القيامة " (٨٣ ، ٢٤٧) ، و " المحشر " (١٢٧) .

٩٩- مثل " جبّار عنيد " / ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٣١ .

١٠٠- الأغانى / ٤ / ١٢٨ .

(*) أى إسلامه ، وقد سبق أن وضّحْتُ سخف إطلاق هذه التسمية على الإسلام .

---

168 - يقول د. المهنا فى ترجمة هذه الجملة الأخيرة : " وكان يعرف أيضا أسماء قرآنية مثل " جهنم والجحيم " و " القيامة " و " المحشر " ... " (٢ / ٩) . وهذا تصرف مخلّ بالأصل قضى على ما فى فكرة مرجليوث من خصوصية وحولها إلى كلام عامّ .

أما د. الجبورى فالحق أنى لست أدرى كيف فهم الجملة الأخيرة بحيث جاءت ترجمته لها هكذا : "وأولئك الذين يسخر عملهم ليوم الحساب " (ص / ٧٤) .

169- He uses) with favour ...) . ومع هذا يقول د. الجبورى إن عنترة كان "(يستعمل العبارات القرآنية) بشىء من التفصيل " (ص / ٧٤) . ترى هل سقطت نقطة من فوق ضاد كلمة " التفضيل" ؟ لكن حتى لو كان الأمر كذلك فالكلام ركيك ويفتقر إلى الدقة .

170 - عند د. بدوى (ص / ١١٤) ود. المهنا (٢ / ٩) : " إسلامه " ، أى أنهما ترجما كلمة "Mohammedanism " بالمعنى ، ففات القارئ أن يعرف الغمزة التى غمزها ذلك المستشرق للإسلام بإطلاق هذا الاسم عليه ، وهو الاسم الذى جعله عنوانا لأحد كتبه عن ديننا . أما د. الجبورى فقد قال : " دينه " دون تحديد (ص / ٧٤) .

171 - " we shoud have gathered ... " : كان ينبغى علينا أن نستخلص ... " . أما د.الجبورى (ص / ٧٤) ود. عبد الله المهنا (٢ / ٩) فقد ترجما هذه العبارة كالآتى : " ينبغى علينا أن ". وهذا غير ذاك كما سبق أن أوضحنا فى إحدى الحواشى من قبل . وكذلك ابتعدت رمية د. بدوى عن إصابة الهدف فى ترجمته ذلك قائلا : " إننا لا بد استخلصنا ... أن " (ص /١١٥).

أن التمييز بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة إنما هو فكرة قد أتى بها محمد للعرب ، إذ [172] يصور خصومه بصورة المستهزئين [173] بفكرة الحياة الآخرة . ومن هنا ينبغي علينا أن نفترض أن القرآن لابد أن يكون هو أول من استعمل كلمة " الدنيا " بمعنى " العالم " ، سواء أتت وحدها أو مع كلمة " الحياة " ، وهو الأكثر . ولا بد أن يكون فى ذهن الشخص الذى يعدّ العالم هو " الحياة الدنيا " حياةً أخرى أبعد [174] ، وهو الاعتقاد الذى كان مستمعو محمد فى بداءة الأمر ينظرون إليه فى دهشة وازدراء [175] . لكن الشعراء الجاهليين كانوا يعرفون هذا المصطلح معرفة تامة : فعبيد بن الأبرص ، الذى عاش قبل نزول القرآن بعشرات السنين [176] ، يتحدث بلغة قرآنية عن " متاع

172 - for (his opponents are ...) . وقد ترجمها د. الجبورى بـ " ولأجل هنا (فإن خصوم النبى ...) " (ص / ٧٤) ، وهى ترجمة غير صحيحة .

173- " لأن خصومه يبدون أنهم ... " . هكذا ترجمها د. بدوى (ص / ١١٥) ، وهى ترجمة يعيبها شىء من عدم الدقة .

174 - ينقل د. يحيي الجبورى هذه الجملة إلى العربية على النحو التالى : " وإن الشخص الذى يفكر فى الحياة على أنها (الحياة الدنيا) فيجب عليه أن يتذكر الحياة الأخرى " (ص / ٧٤) . وهذا شىء ، وما قاله مرجليوث شىء آخر !

175 - يخطئ د. الجبورى هنا أيضا ، إذ يقول : " إن العقيدة الإسلامية التى اهتم بها قوم محمد أولا ، كان اهتمامهم مشوبا بالدهشة والاستهزاء " (ص / ٧٤ - ٧٥) !

176- يترجم د. الجبورى (ص / ٧٥) ود. الهنا (٢ / ٩) عبارة " who lived many decades before the preaching of Islam " كلمةً كلمةً بنفس الترتيب ، فكانت النتيجة أن جاءت ترجمتاهما هكذا على الترتيب : " الذى عاش عدة عقود قبل نزول القرآن " ، " الذى عاش عقودا كثيرة قبل نزول القرآن " . وفرق بين هذا وبين أن نقول : " الذى عاش قبل نزول القرآن بعدة عقود " . فالطريقة التى ترجما بها العبارة لا تعنى أكثر من أنه عاش بضعة عقود قبل الإسلام . أما متى كان ذلك فلا نعرف . وقد يكون مات قبل الإسلام مباشرة . أما مرجليوث فيريد أن يقول إنه قد مات قبل مجىء الإسلام بعشرات من السنين .

الدنيا"(١٠١)(177) ، يقصد متاع هذا العالم . كما يقتبس ذو الإصبع العَدْوانى ، وهو شاعر جاهلى أيضا ، عبارة " تريدون عَرَض الدنيا " (١٠٢) . ويشير عَبيد ، فى معرض احتجاجه على حُجْرٍ أبى امرئ القيس ، إلى يوم القيامة (١٠٣) ، ويستعمل عبارة تنم على علم بقانون المواريث المحمدى (١٠٤) ، فى حين أن ذا الإصبع يستطيع أن يميز بين " السنة " وبين " الفرض " ، أى نصّ القرآن (179) . كذلك توجد لفظة " الدنيا " بمعنى " العالم " فى معلقة عمرو بن كلثوم ، الذى يُفْتَرَض أنه مات فى ٦٠٠ م ، أى قبل الهجرة (*) بأكثر من عشرين

١٠١- ٢٨/٨٠ .

١٠٢- الأغانى / ٣ / ٩ ، وسورة " الأنفال " / ٦٨ .

١٠٣- ابن قتيبة / ٣٧ .

١٠٤- ذو سُهْمة : " ذو قرابة " (178) / لايال (Lyall) .

(*) سماها مرجليوث ، ككثير من المستشرقين " the Flight : الهروب " . وليس هذا من الأدب ولا من التاريخ فى شىء .

177 – على عادة د. الجبورى نراه هنا أيضا يورد مشكوراً النص العربى الذى ترجمه مرجليوث إلى الإنجليزية ، ولكنه للأسف لا يلتزم به أثناء إعادته كلام المستشرق البريطانى إلى أصله العربى . وعلى هذا فبدلا من أن يقول : " متاع الدنيا " ، وهى العبارة التى وردت فى بيت عبيد بن الأبرص ، الذى أورده فى الهامش رقم ١٢٠ صفحة ١١٥ ، نراه يستعمل عبارة " خير الدنيا " .

178 – يكتب د. الجبورى هذا الهامش (على طريقته فى إثباته داخل المتن ، مما يربك القارئ فى بعض الأحيان ، كما هو الحال هنا) على النحو التالى : (ذو سهمة لأجل" القريب " لايل) (ص/٧٥) . فهل فهمت أيها القارئ شيئا من هذا ؟ وبالمناسبة فعبارة " ذو سهمة " قد وردت فى بيت ذى الإصبع العدوانى المشار إليه هنا .

179 – ترجمها د. الجبورى على النحو التالى : " يعرف الفرق بين ما تأمر به (السنّة) وما يأمر به القرآن " (ص /. ٧٥) ، مترجما كلمة " الفرض " بالمعنى ومسقطا عبارة " أى نص القرآن" ، وذلك بعد أن أضاف من عنده عبارة " ما يأمر به " قبل " السنّة " و " القرآن " . أما د. المهنا فقد أثبت كلمة " الفرض " وأسقط العبارة التفسيرية التالية لها (٢ / ١٠) .

عاما [180] . وعندما يريد هؤلاء الشعراء أن يصفوا الجبروت الإلهى [181] نراهم يتمثلون دائما بقصص إرم وعاد وثمود (١٠٥)[182] الواردة فى القرآن [183] . كما أن عددا منهم يخلطون بين القبيلتين الأخيرتين (١٠٦) ، مما لا نستطيع أن نجد له سببًا غير اقترانهما فى القرآن ، الذى أخذَتْ منه القصة على الأرجح [184] . بل إن مهلهلا ، الذى يقولون إنه أول من قَصّد القصيد والذى ازدهرت حياته ، كما رأينا [185] ، قبل

١٠٥- الأغانى / ١١ / ٦١ ، وعمرو بن قميئة / ٤٦ / ٤ .

١٠٦- زهير / المعلقة / ٣٢ ، وديوان الهذليين / ط . كوزيجارتن / ٨٠ .

---

180 – عند د. بدوى :" قبل الهجرة بعشرين سنة " (ص / ١١٥) ، بسقوط عبارة " أكثر من" .

181 – جاءت ترجمة د. المهنا لهذه العبارة هكذا : " قسوة القوة الإلهية " (٢ / ١٠) ، وهى ترجمة تخلو من اللياقة : فالله لا يوصف بالقسوة ، فضلا عن أن الشعر المشار إليه لا يتحدث عن " قسوة" القوة الإلهية بل عن " جبروتها " .

182 – the Qur'anic cases of Iram , 'Ad and Thamud . وقد ترجمتُها بـ" قصص (إرم وعاد وثمود) " ، وترجمها كل من د. بدوى (ص / ١١٦) ود.. المهنا (٢ / ١٠) بـ" أمثلة ". أما د. الجبورى فقد أبعد النُّجْعة فقال : " الصيغ (القرآنية لإرم وعاد وثمود) " (ص / ٧٥) . وهى ترجمة غريبة وخاطئة ، ولا أدرى كيف خطرت له !

183 – لم ترد ترجمة كلمة " Qur'anic " عند د. بدوى .

184 – جاءت ترجمة د. الجبورى لهذا الجزء الأخير كالآتى : " ولذلك فالحقيقة أن قصة هؤلاء الأقوام الثلاثة كانت مدركة لديهم ، ومن المحتمل أن القرآن كان هو المصدر الذى اعتمد عليه الشعراء " (ص / ٧٥) . والكلام الذى تحته خط لا وجود له فى الأصل الإنجليزى !

كذلك فإن قوله : " ومن المحتمل " هو ترجمةٌ أقل مما ينبغى لعبارة " in all probability "، التى تعنى " فى الأرجح / من المحتمل جدا " .

185 – " as has been seen : كما رأينا " . ولكن د. الجبورى يقول : " كما يُرَى " (ص / ٧٥)، وهى ترجمة غير مستساغة ، علاوة على خطئها (مع ملاحظة أن ضبط الفعل من عندى) .

النبى بقرن كامل [186] ، قد سبق زمنه بما يكفى للاقتباس من القرآن :

نَعَى النعـــاةُ كُلَيْبًا لى فـــقـلت لهم :

مالت بى الأرض أم مادت رواسيها ؟ [١٠٧][187]

ومن الواضح أن تفسير هذا موجود فى الآية ١٥ من سورة " النحل " حيث نقرأ: " وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم " . وثمة سورة أخرى (هى سورة " النازعات " / الآية ٣٢) توضح أن المقصود هنا هو الجبال . وبالمثل نرى تأبّط شراً فى رثائه للشَّنْفَرَى يقتبس هو أيضا من القرآن [١٠٨] ، وهو ما يفعله كذلك أحد ملوك ما قبل التاريخ فى بلاد الفُرْس [١٠٩][188] .

---

١٠٧ - شعراء النصرانية / ١٦٦ .

١٠٨- سورة " غافر " / ١٨ ، والأغانى / ٢١ / ٨٩ .

١٠٩ - غرر أخبار ملوك الفرس / ٤٧ .

---

186 - كرر هنا كل من د. الجبورى ود. المهنا الغلطة التى سبق أن أشرت إليها فى الهامش رقم 176 ، إذ قال الأول : " عاش طيلة قرن قبل النبى " (ص / ٧٥) ، وقال د. المهنا : " ازدهرت حياته ... قرنا كاملا قبل محمد " (ص / ١٠) .

187 - ورغم إيراد د. الجبورى لهذا البيت فى هوامش ترجمته (ص ١١٧ / هـ ١٢٧) ، فإنه يعيده إلى العربية بالمعنى فيقول : " قالوا لنا : لقد هلك كليب ، وقلت : هل مادت بنا الأرض، أم أمسكت ميلانها " (ص / ٧٥) . وهو تصرف غريب ، وقد تكرر منه ، ولا ندرى لم . كما أن قوله : "أمسكت ميلانها " هو كلام يبعث على الضحك ، علاوة على خطئه . والصواب : " أم مادت رواسيها ؟ " . ثم إن هذه الترجمة لا تساعد على فهم ما يقول مرجليوث عن اقتباس المهلهل فى بيته هذا من القرآن الكريم ، إذ سيتساءل القارئ قائلا : ما العلاقة بين البيت والآية القرآنية التى يشير إليها الكاتب ؟ ولا علاقة بطبيعة الحال على هذا الوضع !

188 - عند د. الجبورى :" الملك الفارسى فى سابق الزمان " (ص / ٧٦) . وهنا خطأ من وجهين : فالنص الإنجليزى ينكر كلمة " ملك ". ثم إن ترجمة " pre - historic " هى " ما قبل التاريخ "، وليس " فى سابق الزمان " .

وفى بعض الأحيان كانت الاستفادة الواضحة من القرآن فى هذه الأشعار أكبر من أن يسكت عنها النقاد المسلمون [189] . وهكذا نقرأ أن شكوكًا قد ساورت هؤلاء العلماء حول صحة أبيات منسوبة للبيد تتحدث عن قصة الفيل وتعزو هزيمة العجم (*) إلى الله على وجه التحذير كما فى القرآن [١١٠] . ويقول صاحب " الأغانى " إن حصين بن الحمام قد أدرك الإسلام ، وذلك استنادًا إلى دليل مشابه [١١١][190] . لكن بعض العلماء

(*) هكذا جاءت الكلمة فى الأبيات المذكورة . ومن عادتى الالتزام بالنص العربى بقدر الإمكان .

١١٠- لبيد / ط . بروكلمان / ص ٢٤ من المقدمة .

١١١- الأغانى / ١٢ / ١٢٣ .

189 - يخطئ د. الجبورى فى ترجمة هذه الجملة آتيًا بمعنى لم يخطر على بال المؤلف فيقول : " ويكثر أحيانا الاستعمال الواضح لأسلوب القرآن فى هذه القصائد لدى النقاد المسلمين " (ص / ٧٦) ، مما لا يمكن القارئ إلا أن يفهم منه أن النقاد المسلمين ، وليس الشعراء الجاهليين ، هم الذين كانوا يستعملون أسلوب القرآن الكريم (أسلوبه عموما ، لا ألفاظه وعباراته بالذات كما يقصد مرجليوث).

أما ترجمة د. عبد الرحمن بدوى فليست دقيقة تمامًا ، إذ يقول : " وأحيانا يرى النقاد المسلمون أن الاستعمال البين للقرآن فى هذه القصائد مبالغ فيه " (ص / ١١٦). ذلك أن النقاد المسلمين لم يقولوا إن ما يجدونه فى بعض الأشعار الجاهلية من محاكاة للقرآن الكريم هو أمر مبالغ فيه ، بمعنى أنه كان على الشعراء الجاهليين ألا يسرفوا فى هذا الأمر ، بل يقصد مرجليوث أن هذه المحاكاة قد دفعتهم إلى الارتياب فى تلك الأشعار . كذلك فإن عبارة " الاستعمال البين للقرآن الكريم " هى من الركاكة بمكان ، والذى أوقع د. بدوى فيها هو فهمه لكلمة "use"على أساس أن معناها "استعمال" . والحقيقة أن هذا معنى من معانى الكلمة ، لكنه ليس المعنى الملائم للسياق هنا ، الذى يناسبه أن نقول : " الاستفادة (من القرآن) " (باقتباس ألفاظه وعباراته بطبيعة الحال) ، وهو معنى آخر من معانى الكلمة .

190- يقول د. يحيى الجبورى : " وكذلك أثبت مؤلف الأغانى بأن الحصين بن الحمام كان إسلاميا فى حالة مشابهة " (ص / ٧٦) . والترجمة فى الكلمات التى تحتها خط بعيدة ، كما هو واضح ، عن المقصود .

الآخرين[191] كانوا أقل انتقاداً : فمطهر بن طاهر ، وهو من رجال القرن الرابع الهجرى ، يلاحظ أن زيد بن عمرو بن نُفَيْل[192] الجاهلى يدعو إلى الوحدانية فى أبيات له ليست فى الحقيقة سوى مجموعة من النصوص القرآنية[193] عن موسى وهارون وعلاقتهما بفرعون[194] ، ويذهب إلى حد التصريح بأنه مسلم، وذلك فى قوله :" أسلمتُ وجهى "[١١٢] . أما أمية بن أبى الصلت ، الذى يتحدث عن النصارى وكأنه ليس منهم[195] ، فإنه يستخدم فى التعبير عن يوم الحساب لفظة كان ينبغى التنبه إلى أنها إضافة قرآنية صميمة[١١٣][196]

١١٢- كتاب البدء والتاريخ / ١ / ٧٥ .

١١٣- المرجع السابق / ٢ / ١٤٥ . واللفظة هى " يوم التغابن " / سورة التغابن / ٩ .

191- Others were less critical . وقد ترجمها د. الجبورى بـ " وكان الآخرون أقل انتقادا " (ص/ ٧٦) ، برغم أن كلمة " others " منكرة . فكيف يصح ترجمتها معرفة بما يفيد أن كل الآخرين كانوا كذلك ، فى حين أن المراد بعضهم فقط ؟

192 - " زيد بن عمرو بن نوفيل " عند د. المهنا (٢ / ١٠) .

193 - فى ترجمة د. المهنا : " ليست إلا صدًى لنصوص قرآنية عن موسى وهارون ... " (٢ / ١٠). والواقع أن كلمة " a cento " تعنى مؤلَفا مكونا من عدد من المختارات من المؤلفات الأخرى . ومن ثم فلا علاقة لها بالصدى .

194 - عند د. الجبورى : " حول موسى وهارون فى قرابتهما لفرعون " (ص / ٧٦) ! وهذا غريب جدا، إذ لم يكن موسى وهارون من أقرباء فرعون فى يوم من الأيام . وكذلك ليس فى عبارة "their relation with Fir ' awn" ما يدل على هذا المعنى .

195 - " كما لو كان ليس منهم " : هكذا يقول د. بدوى (ص / ١١٧) ، وهو تركيب متهافت غير مستساغ .

196 - يترجم د الجبورى هذه العبارة بقوله : " يستعمل ليوم الحساب عبارة ، من حقنا أن نفترض أن القرآن قد أوردها " (ص / ٧٦) . ولست أظن أن مرجليوث يمكن أن يقول هذا ، إذ من ذا الذى يمكن أن يشاحّ فى ورود عبارة فى القرآن الكريم ما دامت قد وردت فيه فعلا ؟ إنما المقصود أن القرآن هو الذى أدخلها فى اللغة ، وهو ما عبّرتُ عنه بقولى إنها " إضافة قرآنية صميمة " .

حتى لو قبلنا الرأى القائل بأن عرب الجاهلية كانوا على علم تام بالفكرة الخاصة بذلك اليوم . كذلك كانت الشاعرة الخنساء على معرفة بـ " الزَّبَانِيَة " ، تلك اللفظة التى يبدو عليها أنها مصطلح قرآنى (١١٤)(197). وبالمثل نرى حاتم طئ النصرانى يردِّد الشعار الإسلامى : " الله أكبر " (١١٥).

ومن الجائز جدا أن يكون قد سبق محمداً أناسٌ على شاكلته (198) ثاروا على عبادة الأوثان فى وسط بلاد العرب . كذلك يبدو بوضوح أنه كان للنصرانية سيطرة على بعض المناطق فى تلك البلاد . ولو كان شعراء الجاهلية قد نَظَموا أشعارهم كنصارى فعبّروا عن معتقدات النصرانية وتحدثوا عن تقاليدها ، فلربما قابلتنا آنذاك بعض المشاكل فى قصائدهم والطريقة التى

١١٤- الأغانى / ٤ / ١٣٦ .

١١٥- ديوان حاتم / ط . شولتس / ٥١ / ١٥ .

---

197 - يترجمها د. الجبورى هكذا : " كانت عارفة بـ (الزبانية) حيث سيظهر اصطلاحا قرآنيا " (ص / ٧٦) ، وهو كلام غير مفهوم ، وركيك أيضا .

198 - forerunners (Mohammed may have had) . وقد ترجمها د. الجبورى بكلمة "مبشرون" (ص / ٧٦) ، بينما المقصود أنه قد سبقه أشخاص يدعون إلى نفس ما كان يدعو إليه. وكلمة " مبشرون " هنا مضللة ، إذ سينصرف معها ذهن القراء إلى أن الرسول عليه السلام كان يرسل مبعوثين يدعون الناس إلى الإسلام . وحتى لو فهم بعضهم أن المراد بـ " المبشرين" فى النصّ أشخاص جاءوا قبله ﷺ وبشروا بمجيئه (وهذا مستبعد ، إذ السياق لا يساعد كثيرا على هذا الفهم) كان ذلك أيضا بعيدا عن مقصد النص ، الذى لا يتحدث إلا عن ناس جاءوا قبله عليه الصلاة والسلام ودعوا إلى ما دعا هو إليه . وليس هذا كلاماً أقوله من عندى ، بل مرجليوث هو الذى فسّر به كلمة " forerunners " حين قال : " يعنى أن أشخاصا قبل عصره ... ثاروا على عبادة الأوثان " .

انتقلت بها ، وإن كان دينهم هو الشيء الوحيد الذى لن يمثل أية مشكلة حينئذ[199] . ولكن عندما نجدهم يتحدثون كمحمديين (*) ، ويتشددون فى إعلان وحدانيتهم[200] كما فعل أتباع النبى فيما بعد ، وإذا رددوا شيئا من أى كتاب مقدس كان ذلك من القرآن فقط[201] ، فإنه يبدو من الصعب جدا

(*) كرّر المؤلف هذه التسمية بالنسبة للمسلمين عدة مرات . ونحن المسلمين نرفض أن يسمى ديننا بـ "المحمدية " أو أن يطلق أى إنسان علينا اسم " المحمديين " . ذلك أن محمدا ليس هو صاحب الإسلام كما يريد هؤلاء المستشرقون أن يقولوا ، بل هو رسول من عند رب العالمين أنزل عليه القرآن وأمره بتبليغه . فهو مسلم ، ونحن مسلمون . بل إن كل الأنبياء والرسل السابقين هم أيضا مسلمون .

---

199 - تفتقر عبارة د. المهنا فى ترجمة هذا الجزء إلى الدقة بحيث إن القارئ يفهم منها شيئا آخر غير الذى يريده مرجليوث . إن مرجليوث يقول إن دين الشعراء الجاهليين هو وحده الذى لن يمثل أية مشكلة . أما د. المهنا فيقول : " أما دينهم وحده فلن يمثل عندئذ عقبة من هذه العقبات " (٢ / ١١) . ومعنى هذا أن دينهم ، إذا أتى مع غيره ولم يكن وحده ، فإنه سوف يمثل إحدى هذه العقبات . وهذا بالطبع شيء بعيد عما فى النص الإنجليزى . ولو أنه قال : " أما دينهم فهو وحده لن يمثل ... " لاستقام كل شيء . ويرى القارئ مدى ضآلة التغيير المقترح فى العبارة ، إذ لا يعدو فصل " الفاء " عن " لن " ووضعها بعد إلحاق الضمير " هو " بها قبل كلمة " وحده " . فانظر كيف يؤدى هذا التعديل الطفيف فى العبارة إلى نقل معناها من حال إلى حال .

200 - على حين يتحدث مرجليوث هنا عن الصرامة فى إعلان عقيدة التوحيد نجد د. المهنا يذكر قوة الإيمان . وهذا نص ترجمته : " يتحدثون كالمسلمين فى قوة إيمانهم مثلما كان أصحاب محمد ... بعد ذلك " (٢ / ١١) .

201 - التاث الأمر فى ترجمة الجملة الأخيرة على كل من د. الجبورى ود. المهنا . وإليك نص ما قالاه على التوالى : " وقد كانوا فوق ذلك من هذه الناحية صدًى لكل كتاب مقدس ، صدى للقرآن " (ص / ٧٧) ، " ويبلغ بهم الأمر إلى أن يحاكوا أى كتاب مقدس ، ويكون ذلك الكتاب هو القرآن" (٢ / ١١). أما د. عبد الرحمن بدوى فقد استقام قلمه فى تأدية المعنى المقصود . قال : " وكلما ظهر فى كلامهم صدى لكتاب مقدس وجدناه صدى للقرآن " (ص / ١١٨) .

حينذاك أن نصدق بصحة وجودهم وأشعارهم [202] . ترى لماذا كان للعرب ، كما ترينا إياهم النقوش ، آلهتهم المحلية المختلفة ، على حين لا يعرف الشعراء الذين ينتمون إلى المناطق ذاتها إلا إلها واحدا هو الذى دعا محمد إلى توحيده؟ وحتى لو افترضنا أن النقوش إنما هى لجماعات أخرى غير التى ينتمى بها أولئك الشعراء ، فلم إذن كانت بعثة محمد ما دام الذين " ينذرهم " كانوا يؤمنون بإله واحد ويعتقدون فى يوم الحساب ؟ [203] أما لو اهتدينا بما تقوله النقوش [204] فلا بد أن نسلم بأن جدال القرآن كان فى محله تماما . إن من الممكن ألا تكون شعائر المكيين وجيرانهم متماثلة مع تلك الشعائر الخاصة بالمناطق التى تنتمى إليها النقوش [205] ، لكن هناك مع ذلك شبها أسريًا

---

202 - على رغم أن ترجمة د. بدوى لهذه الدراسة هى أصح الترجمات الثلاث وأدقها فإنها لا تسلم من الخطإ أو عدم الدقة بين الحين والحين . وجل من لا يخطئ ولا يسهو. ومن ذلك أنه يظن أن الكلام هنا عن صدق الشعراء الجاهليين لا عن حقيقة وجوهم وصحة أشعارهم ، إذ قال : " ... فإن من الصعب جدا أن نؤمن بصدقهم " (ص / ١١٨) ، والأمر فى عبارة " their genuineness " لا يتعلق بصدقهم أو كذبهم بل بوجودهم هم أنفسهم ومن ثَمّ صحة أشعارهم .

203 - فى ترجمة الجزء الأخير يقول د. الجبورى : " ... فماذا يصبح اتباع محمد إذا كان هؤلاء الذين (أنذر) مؤمنين بإله واحد ... ؟ " (ص / ٧٧) . وسواء أكانت الكلمة المرسوم تحتها خط هى "أتباع " أم كانت " اتّباع " فإنها ليست الترجمة الصحيحة للفظة " mission " : بعثة / دعوة ".

204 - عند د. المهنا: " ولو أننا سلكنا سبيل هذه النقوش ... " (٢ / ١١) ، وهى ليست واضحة بما فيه الكفاية ، ولكنها على أية حال أفضل من قول د. الجبورى : " وإذا كنا متمسكين بالنقوش ... " (ص / ٧٧) ، علاوة على ما فى الجملة كلها عنده بل والترجمة جميعها من ركاكة وضعف فى الأسلوب . وهأنذا أسوق نص الجملة كاملا : " وإذا كنا متمسكين بالنقوش فيجب أن نكون قد سلمنا بأن الجدل القرآنى هو باتجاه صحيح " .

205 - انظر كيف استحال قول المولف : " إن من الممكن ألا تكون شعائر المكيين وجيرانهم ..." إلى " إن عبادات المكيين وجيرانهم يجب ألا تكون متفقة مع أولئك الذين فى المناطق التى تعود إليها النقوش" عند د. الجبورى (ص / ٧٧) .

يربطها بها[206]. بيد أن أفكار الشعراء الجاهليين تبدو شبيهة بل متطابقة [207] مع تلك التى يدعو إليها القـــرآن [208] .

والخط الثانى من البرهان الداخلى هو مسألة اللغة . فهذه الأشعار كلها قد صيغت باللهجة القرآنية ، وإن قابلتنا بين الحين والحين لفظة أو صيغة [209] يقال إنها تنتمى إلى هذه القبيلة أو تلك المنطقة [210] . فلو قلنا إن فـرض

---

206 – فى صياغة ترجمة هذه الجملة عند د. بدوى خطأ نحوى ، إذ قال " لكن بين كلتيهما نسبا أسريا" (ص / ١٨٨) ، وكان عليه إما أن يقول : " لكن بين كلتيهما والأخرى ... " أو " وكان بينهما نسب أسرى " .

207 – يقول د. المهنا : " تبدو متشابهة أو حتى متطابقة مع ..." (٢ / ١١) . ومثله فى استعمال "أو حتى " هذه د. الجبورى (ص / ٧٧) . وعبارة " أو حتى " مكانها الجمل المنفية أو التى تدل على طلب ، ويكون الاتجاه فيها من الأعلى إلى الأدنى (هكذا : "لا تبدو متطابقة أو حتى متشابهة مع ..." ، "هل تبدو متطابقة أو حتى متشابهة مع ...؟ " ، " أريدها أن تكون متطابقة أو حتى متشابهة مع...") . أما فى الإثبـات غير الطلبى فتجىء " بل" ، ويكون الاتجاه حينئذ من الأدنى إلى الأعلى : "تبدو متشابهة بـل متطابقـة مع ... : seem to be similar to or even identical with ..." .

208 – فى ترجمة د. الجبورى : " مشابهة أو حتى متطابقة مع آراء أولئك الذين تعلموا القرآن " (ص / ٧٧) . وهى ترجمة خاطئة أوقعه فيها عدم فهمه لقول مرجليوث : "identical with those taught in the Quran" ، إذ ظن أن عبارة " those taught " معناها " الذين عُلّموا (أى تعلموا) " فتجاهل حرف الجر "in " الذى يسبق كلمة " القرآن " ليستقيم له المعنى كما فهمه . والأمر بخلاف ذلك تمامًا ، لأن " those " إنما تشير إلى الأفكار التى يعلّمها الله للبشر فى القرآن. وأرجو أن يكون الأمر قد اتضح الآن .

209– a form . وهى عند د. الجبورى " صياغة " (ص / ٧٧) ، وعند د. بدوى : شكل " (ص / ١١٨) ، وعند د. المهنا : عبارة " (٢ / ١١). وقد ترجمتها أنا بـ" صيغة " . وأظن أن هذه هى الترجمة الدقيقة على الأقل .

210 – اضطرب قلم د. الجبورى فى نقل هذه الجملة إلى العربية . وإلى القارئ نص كلامه : " فإن كل تلك القصائد التى وصلتنا جاءت بلهجة القرآن ، سواء أكانت هنا أم هناك ، فالكلمة أو الصياغة يجب أن تكون قد استخدمـت كمـا تستعمـلها القبائـل التـى تعـود إليها فى مناطقها المعينة "

الإسلام على القبائل العربية قد وحّد لغتها [211] ، لأنه أمدّها بأثر أدبى من الطراز الأول [212] لا يمارى فى صحته أحد ، لوجدنا [213] من الشواهد ما يعزز هذا القول ، فقد فعل الغزو الرومانى الشىء نفسه فى إيطاليا وبلاد الغال وإسبانيا . لكن من الصعب أن نتصور أنه ، قبل أن يأتى الإسلام بذلك العنصر الوحدوى [214] ، كانت هناك لغة مشتركة تختلف عن لغات النقوش التى

(ص / ٧٧) . وباستثناء جملة " فإن "يبدو الكلام غيرمفهوم ، ولا علاقة له بما قاله المستشرق صاحب البحث .

211 – عند " د. الجبورى : " وإذا افترضنا أن الإسلام قد ألزم القبائل العربية باستعمال لغة القرآن ..." (ص / ٧٧) ، وفى ترجمة د. المهنا : " ولو افترضنا أن تأثير الإسلام على القبائل العربية وحد لغتهم ... " (٢ / ١١) . وكلتا الترجمتين غير دقيقة ، إذ أين مثلا ما يريد مرجليوث أن يغمز به الرسول وصحابته من أنهم قد فرضوا الإسلام فرضًا على العرب : " the imposition of Islam on the tribes of Arabia" !

212 – a classic . والمقصود بذلك هو القرآن ، ولكن د. الجبورى يترجم هذه الكلمة بـ " اللغة الفصيحة الموحدة " (ص / ٧٧) . أما د. المهنا فيقول : " اللغة السامية الصحيحة " (٢ / ١١).

213 – لا يوجد فى هذه الجملة عند د. الجبورى جواب " إذا " : " وإذا افترضنا أن الإسلام قد ألزم القبائل العربية باستعمال لغة القرآن لأنها تمدهم باللغة الفصيحة الموحدة التى لا خلاف فيها كما أقرها القرآن . وقد حصل شبيه ذلك فى الاحتلال الرومانى لإيطاليا والغال وأسبانيا " (ص / ٧٧). وقد كان ينبغى أن يكون الكلام من أول " وقد حصل شبيه ذلك ... " هو ذلك الجواب ، بَيْدَ أن المترجم قد بتر جملة الشرط قبل أن تتمّ وجعل جوابها جملة جديدة مستأنفة !

أما د. المهنا فقد حول جملة جواب الشرط إلى جملة معطوفة ، وجعل الجملة التالية للجملة الشرطية هى الجواب المذكور : " ولو افترضنا أن تأثير الإسلام على القبائل العربية ، وحّد لغتهم ، لأنه أمدهم فى القرآن باللغة السامية الصحيحة التى لا تقبل الجدل – وحدثت نظائر لهذا فقد فعل الرومان الشىء ذاته فى فتحهم لإيطاليا وغاليا وأسبانيا – فإن من الصعب أن نتصور – قبل أن يقدم الإسلام هذا العامل الموحِّد– أنه كانت هناك لغة مشتركة تختلف عن لغات النقوش المنتشرة فى كل أرجاء شبه الجزيرة العربية " (٢ / ١١) .

214– فى ترجمة د. الجبورى : " فإن من الصعب أن نتصور بأن هنالك لغة عامة كانت قبل الإسلام تزوّد

نجدها فى جميع أرجاء الجزيرة العربية . لقد كان ينبغى أن يكون بين كل قبيلة أو مجموعة من القبائل والأخرى فروق فى قواعد اللغة ومفرداتها [215] . إن مجموعة الأب شيخو مثلا تبتدئ بشعراء عرب الجنوب ، ومع ذلك نجدهم قد نَظموا أشعارهم بلهجة القرآن ، على حين أن النقوش الجنوبية نفسها مكتوبة بمجموعة مختلفة من اللهجات ، وبعض هذه النقوش ينتمى إلى عصر قريب من عصر النبى . ومن الصعب فهم معنى هذه النصوص[216] ، إذ إن العون الذى تقدمه لنا العربية الفصحى هو عون ضئيل . ومع ذلك فحينما يروى لنا العلماء المسلمون أشعاراً لأحد ملوك حضرموت كتبها ، كما يقولون ، بالخط المسند ، فإننا نجدها مكتوبة بلهجة القرآن ، التى توقّع أن يفهمها قومه [١١٦][217] .

١١٦- الأغانى /١١/١٢٥ .

عناصر هذه الوحدة " (ص / ٧٧).

215 – تحول هذا على يد د. الجبورى إلى الآتى : " فإن القبائل المفردة ، أو على الأقل المجموعات القبلية ، كان من السهل عليها أن تميز الاختلافات فى النحو والمفردات " (ص / ٧٨). لكن المسألة ليست تمييز القبائل العربية للاختلافات المذكورة (وبالمناسبة : اختلافات بين من ومن ؟) ، بل مسألة وجود هذه الفوارق بينها .

كذلك اضطرب د. المهنا فى ترجمة هذا الجزء . وهذا نص ما قال :" وإلا لأمكن أن يكون لقبائل مخصوصة أو على الأقل لأفخاذ القبائل وبطونها فروق فى النحو والمعجم يسهل إدراكها " (٢ / ١١) . وبالمناسبة فقد عكس المترجم الفاضل المعنى فبدلا من أن يقول : " أو مجموعات من القبائل" نراه يقول : " أفخاذ القبائل وبطونها " . أى أنه بدلا من أن يجمع القبائل قد جزّأها ، إذ الأفخاذ والبطون أجزاء للقبيلة .

216– فرق بين أن يقول المؤلف : " من الصعب فهم معنى هذه النصوص " وأن يقول د. الجبورى : "ويمكن أن تفسر هذه اللهجات بشىء من الصعوبة " (ص / ٧٨) . إن مرجليوث يؤكد وجود الصعوبة ، أما المترجم فيهونها . وشتان هذا وذاك !

217– د. بدوى : " ومن المفروض أن شعبه يفهمها " (ص / ١١٩) ، وهى ترجمة غير دقيقة .

وصاحب هذه القصة هو ابن الكلبى أحـد أبـرز [218] رواة القديم . كذلك فقد كتب وختم أحدُ الحميريين فى فترة ما قبل الغزو الحبشى بيتين من الشعر، لا بلغة النقوش المعاصرة له [219] أو المتأخرة قليلا [220] عن عصره [221] ، وإنما بلغة القرآن[١١٧] . وبالنسبة لهذه الحالات فقليلٌ هم الذين يمكن أن يشتبهوا [222]

١١٧- الأغانى/ ٢٠/ ٨ .

---

218 - " one of the foremost ... : أحد أبرز (رواة القديم) " ، ومع ذلك يقول د. بدوى فى ترجمتها : " وهو من أقدم (الرواة والإخباريين) " (ص / ١١٩) ، أى أنه فهم تقدم الكلبى هنا على أنه تقدم فى التاريخ . وهو نفس ما فعله د. المهنا ، وإن كان قد استخدم كلمة أخرى ، إذ قال: " وهو واحد من علماء الرعيل الأول " (٢ / ١١) .

219 - عند د. الجبورى : " لغة عصره " (ص / ٧٨) ، وعند د. المهنا : " بلغة العصر "(٢ / ١١). وهى ترجمة غير صحيحة ، والصواب : " لغة النقوش المعاصرة له " لا لغة العصر بإطلاق ، لأن الخلاف حول لغة العصر تلك ، إذ يقول المستشرقون إنها كانت مختلفة عن لغة الشمال ، بينما تقول الأشعار إنها لم تكن كذلك .

220 - somewhat (later) . لم يترجم د. الجبورى كلمة " somewhat " هذه .

221 - عند د. بدوى : " ... لا بلغة النقوش المعاصرة له أو التالية بعض الشئ عليها " (ص / ١١٩). وحرف الجرّ الذى يأتى مع كلمة " تالية " هو " اللام " لا " على " . وقد سبق له أن قال : "يعتقدون عقائد المسيحية ويبدون عن معرفة بنظمها " (ص / ١١٧ - ١١٨) ، والفعل " أبدى " فعل متعدٍّ لا يحتاج إلى حرف جرّ . إن من الممكن المجادلة فى هذا بأن المؤلف قد اتبع أسلوب التضمين ، لكنى أعتقد أنه لكى يستخدم أحدنا هذا الأسلوب ينبغى أن يكون وراء ذلك سبب بلاغى يدعو إلى هذا . أما فتح الباب أمام اختلاط الأفعال وحروف الجرّ دون ضابط فأمر لا يهش له الضمير اللغوى .

222 - استخدمت الترجماتُ الثلاث الأخرى الفعل " شكَّ " هنا بدلا من " اشتبه " ، الذى استعملتُه أنا. صحيح أن المستشرق يقول : " doubt " (ومعناها " يشكّ ") ، لكنى أريد أن أحصر نفسى فى إطار لغتنا . " والشك " عندنا معناه عدم الاطمئنان ، وعدم الاطمئنان إلى زيف هذه الأشعار يعنى أننا نميل إلى الاعتقاد فى صحتها . وهذا طبعا عكس ما يريد مرجليوث أن يقول . أما " اشتبه " فمعناه : " دار فى ذهن الشخص أن الأمر كذا وكذا " ، وهو الملائم هنا .

فى زيف هذه الأشعار وخرافية الأحداث المتصلة بها . ومع هذا فعلينا أن نضع فى أذهاننا أن رواة هذه الأشعار الجاهلية لا يزيدون ، إن لم يقلوا ، فى أهليتهم للثقة عن أولئك الذين رووا قصائد شعراء اليمن [223] فى كتاب

---

223 - يقول مرجليوث : " Yet we have to remember that the authorities for these pre - Islamic poems are either the same as or not less trusworthy than those for sheikho's poets of Yemen " . وهنا التركيب " either ... or ... " معناه "إما .... وإما ... " ، وهو لا يستخدم إلا عندما يكون معنا أمران مختلفان . وعلى هذا ترجمتُ الجملة على البديهة بالطريقة التى ترجمتُها بها . ولكننى عندما رددّت النظر فى الأصل الإنجليزى وجدت عجبا : فمرجليوث قد استخدم التركيب المشار إليه عند الكلام عن شيئين بمعنى واحد ، لأنه لا يوجد خلاف بين قوله عن الرواة الذين يسخر منهم ويشكك فى أهليتهم للثقة : " إنهم مثل رواة الأشعار اليمنية فى كتاب شيخو أهليةً للثقة " وقوله عنهم أيضا : " لا يقلون عنهم فى هذه الأهلية " . فالمعنى واحد فى الحالتين ، وهو أنهم أيضا أهل للثقة . فما معنى استخدام "either ... or ..." إذن هنا ؟ ثم إن هذا عكس ما يقصد إليه مرجليوث ، الذى يعمل على التشكيك فى هؤلاء وأولئك من الرواة . وأظن ، والله اعلم ، أن صياغة العبارة على النحو الموجود فى النص الإنجليزى لا تؤدى ما يريد المؤلف أن يقول . فهل أخطأتُ حين ترجمتُ الجملة بالطريقة التى ترجمتها بها ؟ أرجو أن : لا . ومع ذلك فلا أكتم القارئ أن المسألة محيرة بعض الشىء . على أن الغمة ستزول فى الحال إذا حذفنا كلمة " not " من عبارة : " or not less trusworthy ".

أما المترجمون الثلاثة فقد ترجموا الكلام كما هو موجود فى النص الإنجليزى ، وقد يكون الحق فى جانبهم رغم كل هذا التحليل الذى قمتُ به فى الفقرة السابقة . على أن د. بدوى قد ترجم الجزء الأول من هذه الجملة بقوله : " علينا أن نتذكر أن رواة هذه القصائد الجاهلية هم أنفسهم إما رواة الشعراء الذين جمع شيخو شعرهم ... " (ص / ١١٩) . ولى على ذلك ملاحظتان : الأولى أن الرواة هنا ليسوا رواة لشعر كل الشعراء فى كتاب شيخو ، بل رواة لشعر الشعراء اليمنيين فقط . أى أنه قد سقطت من الترجمة كلمة " اليمنيين " . والثانية أن مرجليوث لا يقصد أن رواة القصائد الجاهلية المذكورة هم أنفسهم رواة شعر الشعراء اليمنيين فى كتاب شيخو ، بل المراد أنهم إمّا يشبهونهم فى أهليتهم للثقة (أو فى عدم أهليتهم لها ، كما قلت أنا ، إذ إن مرجليوث هنا إنما يشكك ويسخر) وإما ... " . أما د. الجبورى فقد أخطأ فى ترجمته من ناحية أخرى ، وذلك حين قال: " ... أو ليسوا أقل أمانة من أولئك الذين ذكرهم شيخو من شعراء اليمن " (ص / ٧٨) ، إذ الصواب هو : " أو ليسوا أقل أمانة من رواة قصائد الشعراء اليمنيين " . أريد أن أبين أن التفضيل هنا بين رواة ورواة لا بين رواة وشعراء .

شيخو . وقد روى صاحب " الأغانى " ، رغم نقده لما يورده من حين إلى حين ، هذه الأشعار دون أن يساوره اشتباه بشأنها . ومن المحتمل جدا أن يكون قد فعل ذلك بحسن نية [224] ، تماما مثل أولئك المناظرين المسلمين الذين يؤكدون أن العقيدة النصرانية الخاصة بألوهية المسيح سَبَبُها الخطأ فى قراءة نقطتين فوق إحدى الكلمات فى المزمور الثانى ، وأنه كان ينبغى أن يقال " نَبِىٌّ " بدلا من " بُنَىٌّ " [225] ، غير واعين أن تلك العقيدة قد عاشت قرونا طويلة قبل اختراع الأبجدية العربية ، التى سبقت بدورها اختراع النَّقط بقرن على الأقل . فَعَزْو الأشعار المكتوبة باللغة العربية الفصحى لشعراء اليمن فى الجاهلية هو، فيما يبدو ، خطأ من هذا القبيل [226] . والواقع أنه لا يوجد دليل على أنه كان فى جنوب بلاد العرب [227] أى شعراء . وحتى لو كان الأمر بخلاف ذلك فقد كان المفروض أن ينظم هؤلاء الشعراء بإحدى اللهجات الجنوبية .

وما دام تحت أيدينا هذا الدليل القاطع على سوء النية فى عدد من

---

224 - د. الجبورى : " ومن المحتمل أن يعمل هذا فى ثقة عالية " (ص / ٧٨) ، وهو كلام أقل ما يوصف به أنه بعيد عما أراد مرجليوث .

225- فى ترجمة د. بـدوى (ص / ١١٩) : " بُنَىٌّ " (بضمتين فوق الشدة).والصواب : "بُنَىٌّ" (بفتحة واحدة فوق الشدة) ، إذ كُتِبت هذه الكلمة بالحروف اللاتينية فى النص الإنجليزى هكذا : " bunayya ". ولعلها غلطة من الطابع لا من المترجم نفسه .

226 - فى ترجمة د. الجبورى : " ونسبة الأشعار فى العربية القديمة إلى الشعراء الجاهليين من اليمن ظهرت لتكون خطأ للنوع نفسه " (ص / ٧٩) . تُرى هل فهمنا شيئا ؟

227 - " South Arabia : جنوبى الجزيرة العربية / جنوبى بلاد العرب " . أمّا د. الجبورى فقد قال: " العربية الجنوبية " (ص / ٧٩) (هكذا : " فليس هناك دليل على أن العربية الجنوبية كان لها أىّ من الشعراء ") ، مما يصرف الذهن إلى اللغة العربية الجنوبية لا إلى جنوب الجزيرة .

الحالات فإننا لا ندرى ما الذى يمكن أن نقبله فى الحالات الأخرى [228] . وقد اكتشِف فى شمال بلاد العرب نقش أو نقشان بلهجة القرآن ، لكن طائفة أخرى من النقوش تكشف لنا عن ثروة من اللهجات تشبه تلك التى اكتُشِفت فى جنوب البلاد [229] . وهنا أيضا نلاحظ أنه لا وجود للشعر بناءً على معارفنا الحالية . وبما أن الإسلام قد نبت فى الحجاز فقد كان المتوقع أن تكون معرفة

---

228 - يقول د. الجبورى بلغته الغامضة وأسلوبه الركيك كعادته فى كثير من الأحيان :" وعند توفر هذا الدليل فى أضعف الإيمان من صنف هذه الاحالات فنحن لا نعلم ..." ! (ص/٧٩) .

229 - جملة " تشبه تلك التى اكتُشفت فى جنوب البلاد " عندى هى صفة لـ " ثروة (من اللهجات) " ، أى أن التشابه هو بين ثروة اللهجات هنا وثروة اللهجات هناك ، بمعنى أن عدد اللهجات هنا وهناك كثير . لكن الترجمات الأخرى تجعل التشابه (وعند د. الجبورى " التماثل " ، وليس مجرد " التشابه ") بين اللهجات هنا وهناك . وهو ما لا يمكن أن يقوله المستشرق صاحب الدراسة ، وإلا لنسف بيده نظريته ، لأنه إذا كان هناك تشابه أو تماثل بين لهجات الجنوب ولهجات الشمال فمعنى ذلك أن مجىء شعر يمنى بلغة أهل الشمال هو شىء طبيعى ، وهذا أمر ينكره مرجليوث إنكاراً مطلقا . يقول د. الجبورى : " ولكن النقوش الأخرى التى اكتشفت فى الجنوب (المفروض : " فى الشمال " ، وإن كان النص الإنجليزى يخلو من هذا الجار والمجرور) أظهرت غنًى فى اللهجات التى تماثل اللهجات التى اكتُشفت فى الجنوب " (ص / ٧٩) . وعند د. عبد الرحمن بدوى : " لكن ثم نقوشاً أخرى مكتوبة بعدد كبير من اللهجات الشبيهة بما وجد فى الجنوب " (ص / ١٢٠) . وفى ترجمة د. المهنا نقرأ : " غير أن نقوشا أخرى أماطت اللثام عن غنى لهجات تشبه اللهجات التى عُثر عليها فى الجنوب " (٢ / ١٢) .

وأخيرا ها هو ذا النص الإنجليزى أضعه بين يدى القارئ وأشرح له على الطبيعة كيف أن المترجمين الثلاثة الآخرين قد أخطأوا فهمه فيما يخص هذه النقطة . يقول مرجليوث : " but others exhibit a wealth of dialects similar to that found in the South ". وليلاحظ القارئ كيف أن مرجليوث قد قال : " ... similar to that found " ، و " that " اسم إشارة إلى المفرد ، والإشارة فيه واقعة على " wealth ". ولو كان المراد " اللهجات " لقال المؤلف : " similar to those found ... ".

المسلمين بتاريخ تلك المنطقة من بلاد العرب أكبر من معرفتهم بالجنوب [230] . لكنهم فى الواقع كانوا يعرفون من تاريخ الجنوب أكثر قليلا من غيره [231] ، لأنه قد وقعت فى الجنوب أحداث أشد أهمية لبلاد العرب أكثر مما وقع فى أى مكان آخر . ومع هذا فإن معرفتهم بجنوب بلاد العرب كانت غامضة لدرجة أنهم يَعْزُون [232] لبعض الملوك من عرب الجنوب شعراً مكتوبًا بلغة تدل الدلائل

---

230 - تتسم ترجمة د. الجبورى لهذه الجملة أيضا بالخطإ والغموض واضطراب صياغة الكلام . يقول : "ومنذ أن نشأ الإسلام فى الحجاز لابد أن المسلمين توقعوا أن يعرفوا الكثير حوله عن تاريخ ذلك الجزء من الجزيرة أكثر من الجنوب " (ص / ٧٩) . لقد فهم أن " since " التى تبدأ بها الجملة الحالية تعنى " منذ " ، على حين أن معناها هنا " بما أن " . كذلك فإن توقع معرفة الكثير عن الحجاز لم يُنْسَب فى النص الإنجليزى إلى المسلمين ، بل الذى فيه أنه كان متوقعا منهم أن يعرفوا عن الحجاز أكثر مما يعرفون عن غيره . ثم ما معنى قول المترجم إن " المسلمين توقعوا أن يعرفوا الكثير حوله (أى حول الحجاز) عن تاريخ ذلك الجزء من الجزيرة أكثر من الجنوب " ؟ لقد كان المفروض أن يكتفى بإحدى العبارتين التاليتين : " حوله " أو " عن تاريخ ذلك الجزء من الجزيرة " . وانظر أيضا إلى الركاكة فى قوله : " توقعوا أن يعرفوا الكثير حوله ...أكثر من الجنوب " .

231 - د. المهنا : " ولكنهم فى الحقيقة يعرفون إلى حد ما الكثير عن الجنوب" (٢ / ١٢) . والصواب : " يعرفون عن الجنوب أكثر من غيره إلى حد ما " .

وكالعادة نجد الغموض والركاكة فى ترجمة د. الجبورى، الذى يقول : " فى الحقيقة أنهم يعرفون بعض الشىء أكثر من الجنوب " (ص / ٧٩) ، وهو كلام لا يستطيع الإنسان تمييز رأسه من ذيله !

232 - ترجم د. الجبورى هذه الجملة كالتالى : " وكذلك فمعلوماتنا حول جنوب الجزيرة كانت غامضة جدا ، ذلك أنهم ينسبون الأشعار إلى ملوك جنوب الجزيرة بلغة كما نعرف من خلال النقوش المكتوبة ليست لغتهم " (ص / ٧٩) . ومن الأخطاء فى هذه الترجمة أنه قال : " معلوماتنا " ، والصواب " معلوماتهم "، أى معلومات المسلمين . كذلك فقوله : " كانت غامضة جدا ، ذلك أنهم ..." ينبغى أن يصحَّح إلى : " كانت من الغموض بحيث إن ..." أو ما إلى ذلك . ودعنا من ركاكة بقية الكلام.

وتصدق الملاحظة الأخيرة على قول د. المهنا : " ومع ذلك فإن معلوماتهم عن جنوب بلاد العرب غامضة جدا ، لذلك نسبوا إلى ملوك العرب من أهل الجنوب شعراً بلغة تعرف بدليل نقشى أنها لم تكن لهم " (٢ / ١٢) . كما يبدو أن هناك غلطا طباعيا فى الفعل " تعرف " (بالتاء) ، إذ ينبغى أن يغيَّر إلى " نعرف " حتى يتواءم مع ما جاء فى الترجمة وليكون له معنى .

النقوشية على أنها ليست لغتهم . وحينما قام الرواة العرب بعمل مجموعاتهم الشعرية كانت لغة القرآن قد أصبحت بفضل الإسلام هى اللغة الفصحى فى جنوب البلاد . وقد كان هذا السبب نفسه هو المسؤول عن سيادتها فى أجزاء أخرى من بلاد العرب أيضا . ولكن ليس لدينا حتى الآن [233] أى دليل على أنها كانت لغة أدبية فى أى مكان قبل مجىء القرآن .

والآن لو أننا كنا نتعامل مع نصوص نثرية لكان من الممكن التسليم بالافتراض القائل بأن هذه النصوص قد تُرْجِمَت أو على الأقل قد نُقلت تدريجيا من طور لغوى إلى طور آخر [234] ، وهو ما يشبه إلى حد ما [235] التغييرات الإملائية التى تحدث [236] تدريجيا [237] فى الأعمال المطبوعة ، وفقًا للعرف

233 – هاتان الكلمتان الأخيرتان لا وجود لهما فى ترجمة د. بدوى (ص / ١٢٠) .

234 – "والآن إذا كنا نتعامل مع الوثائق النثرية فينبغى علينا أن نقتنع بنظرية تقول بأنهم كانوا قد ترجموا أو على الأقل نقلوا تدريجيا من طور لغوى إلى طور لغوى آخر ". هكذا ترجم د.الجبورى الجملة . وكان ينبغى أن يستخدم " لو" فى مكان " إذا ". كما أنه قد وضع بدل" لكان من الممكن أن ..." عبارة " فينبغى علينا أن ..." ، وهذه غير تلك . كذلك فليس الكلام هنا عن " اقتناع بنظرية" ، وإنما عن " تسليم بفرضية ".ثم إنه لا معنى لقوله : " إنهم كانوا قد ترجموا أو على الأقل نقلوا ... إلخ "، إذ من هؤلاء الذين ترجموا ونقلوا ؟ وبغض النظر عما إذا كان الفعلان مبنيين للمعلوم أو للمجهول فكلتا الصيغتين لا تؤدى إلى أى معنى ، ذلك أن الحديث فى النص عن قصائد لا عن أشخاص .

235 – لا وجود لقوله : " إلى حدّ ما " فى أى من الترجمات الثلاث الأخرى .

236 – استخدم د. الجبورى ود. بدوى الفعل الماضى هنا : " وأدخلت بالتدريج تغييرات فى الإملاء فى الكتب المطبوعة " (ص/٧٩) ، " على نحو ما حدث من تغيير فى قواعد الإملاء ..." (ص/١٢٠)، رغم أن مرجليوث يتحدث عن ظاهرة عامة لا عن واقعة خاصة كما يوهم كلامهما .

237 – عند د. المهنا (١٢/٢) : " التغيير فى هجاء الكلمات " ، بينما هى عند مرجليوث : "التغييرات الإملائية " بوجه عام .

اللاحق[238]، دون أي سوء نية[239]. ولكن بالنسبة للشعر العربي ذي الصنعة الفنية التي لا يوجد لها نظير من حيث التعقيد في أي أسلوب آخر فإن هذه العملية هي ببساطة أمر مستحيل ، إذ كان لابد من إعادة صياغة القصائد في هذه الحالة[240]. ومن الممكن القول بأنه ، مثلما أدار الذين دخلوا في الإسلام ظهورهم لدينهم القديم لدرجة أن أصبح القرآن يعرف عن هذا الدين أكثر مما يعرف المسلمون اللاحقون ، فكذلك أدار العرب ظهورهم للغاتهم ولهجاتهم القديمة إلى الحد الذي انحصر معه الحصول على المساعدة اللازمة لقراءة النقوش وفهمها في مؤلَّفَيْن اثنين ليس إلا ، وهما المؤلَّفان اللذان وصفهما البروفيسور الراحل هارتمان بحقٍّ بغرابة الأطوار[241]. وبالمثل ، فكما أن وجود الأفكار

---

238 - د. المهنا : " متمشيا مع آخر استخدام ..." (٢ / ١٢) ، وكان ينبغي أن يقول بدلا من ذلك : " الاستخدام أو العرف اللاحق " ، لأن المؤلف قال : " later usage " ولم يقل : " the latest usage".

239 - without any violation of good faith . أما د. بدوي فقد قال : " دون أي نقص لحسن النية أو الذمة " (ص / ١٢١) ، وهي ترجمة حرفية . وعند د. الجبوري (ص/٧٩) : "وبدون أي نقص لحسن الحظ " ، ولا تعليق !

240 - يقول د. المهنا : " وقد تحتم الآثار الفنية إعادة صياغتها " (٢ / ١٢) ، أي أنه قد حول الكلام من الحتمية الحاسمة في الماضي إلى مجرد احتمال لوقوعها في المستقبل . أما د. بدوي فلا أدري ماذا يقصد بقوله في ترجمة الجملة نفسها : " إن المؤلفات إنما كُتبت لتُقرأ " (ص / ١٢١) . ذلك أنه ليست هناك أية علاقة بين هذا الكلام وبين الأصل الإنجليزي . ولست أعرف السبب في هذا ، فمن الواضح أن د. بدوي يعرف الإنجليزية معرفة دقيقة ، وترجمته هي أحسن الترجمات الثلاث، وإن وقعت فيها الأخطاء من حين لحين . ولعلها غفوة ذهنية من تلك الغفوات التي تصيبنا جميعا مهما احترزنا وفتحنا أعيننا .

241 - تخبط د. الجبوري تخبطا عنيفا في نقل هذه السطور إلى العربية فقال : " ويجب أن يلاحظ أن مجرد الاهتداء إلى الإسلام كان يلفت أنظارهم إلى دينهم القديم . ذلك لأن القرآن محيط بدينهم القديم أكثر من أي من المسلمين المتأخرين . وبالمثل في الجزيرة فإنهم يردون إلى لغاتهم القديمة

الإسلامية فى أشعار تُنْسَب إلى الجاهلية [242] دليل واضح على أنها أشعار منحولة ، فكذلك يُعَدّ استعمال اللهجة التى جعلها القرآن فيما بعد لغة فصحى سببا قويا للشك فى صحة هذه الأشعار [243] .

ولهجاتهم ، وهكذا فإن ذلك كان يساعد على فهم النقوش ومن الممكن الآن أن تكون محفوظة من قبل مؤلفين اثنين فقط ، حيث إن المرحوم البروفيسور هارتمان قد حدّد أطوارهما بحق "(ص / ٨٠) . لقد قلب د. الجبورى المعنى رأسا على عقب (أو " عقبا على رأس ". لا فرق) عدة مرات : فهو يقول إن الدخول فى الإسلام كان يلفت أنظار الداخلين إلى دينهم القديم . والصواب هو أنه كان يصرفهم عن ذلك الدين (ولاحظ كيف أن الضمير فى " أنظارهم " و " دينهم " لا يجد ما يعود عليه عنده) . والشيء نفسه ينطبق على قوله : " فإنهم يردون إلى لغاتهم القديمة ولهجاتهم " ، إذ الصحيح أن الدخول فى الإسلام قد جعلهم يديرون ظهورهم إلى تلك اللغات واللهجات . كذلك فهو يقول إن " ذلك كان يساعد على فهم النقوش " . والحقيقة أن الذى قاله مرجليوث هو عكس ذلك ، فقد رأينا أن المساعدة عنده مستحيلة ، اللهم إلا من ناحية مؤلفين اثنين لا غير . أما قوله إن "البروفيسور هارتمان قد حدد أطوارهما (أى أطوار هذين المؤلفين) بحق " فهو خطأ شنيع ، والصواب هو أن هارتمان قد وصفهما بغرابة الأطوار . ولعل المقصود أنهما اختارا تخصصا غريبا لم يتخصص فيه غيرهما . هذا ، ولا داعى للحديث عن الإهمال فى استعمال علامات الترقيم عند المترجم .

242- " ostensibly pagan works : أعمال (أى أشعار) جاهلية فى الظاهر (أى فيما يزعم الرواة) " . ولكن انظر كيف فهم المترجمون الثلاثة الآخرون كلمة " ostensibly " :

د. الجبورى : " وبالضبط فإن وجود الأفكار الإسلامية فى أشعار وثنية تبرهن بوضوح على التزييف والوضع ... " (ص / ٨٠) .

د. بدوى : " وكما أن وجود أفكار إسلامية فى أعمال واضحة الوثنية هو دليل واضح على أنها زائفة منحولة ... " (ص / ١٢١) .

د. المهنا : " وكما أن بروز الأفكار الإسلامية ظاهريا فى أشعار الوثنيين دليل واضح على الزيف والانتحال ... " (٢ / ١٣) .

والآن أدع للقارئ الحكم على ما قرأ .

243 - يقول د. الجبورى فى ترجمته : " وهكذا فإن استخدام اللهجة التى جعلها القرآن لغة فصحى تقدم أرضية الشك الخطير " (ص / ٨٠) ، مؤنثا الفعل " تقدّم " رغم أن فاعله مذكر (وهو المصدر

هذا ، وليس مستحيلا أن لغة الحجاز كانت هى لغة البلاط فى الحيرة . بَيْدَ أن الدليل على ذلك ، عدا " القصائد القديمة " ، ينقصنا فيما يبدو [244] ، إذ إن فَيَافِىَ واسعةً تفصل بين تينك المنطقتين . ومن الواضح أن المسلمين الذين

"استخدام ") ، وناسياً بقية الكلام ، وهى : "(الشك الخطير) فى صحة هذه الأشعار ". ناهيك عن العجمة فى قوله : " تقدّم أرضية الشك الخطير" .

244 - يخطئ د. الجبورى هنا فهم معنى بعض الكلمات فتتحول الترجمة إلى شيء غير قابل للفهم . يقول : " وليس من المستحيل أن تكون لغة الحجاز هى لغة بلاط الحيرة ، ولكن الدليل على هذا التفكك من خلال (القصائد المبكرة) يبدو مفقودا " (ص / ٨٠) . فقوله : " هذا التفكك " قد جعل سائر الجملة غامضا ، إذ يتساءل القارئ عبثا : أى تفكك ذلك الذى يتحدث عنه المترجم يا ترى؟ وما علاقته بالسياق المضمونى لهذه الجملة أو الجمل التى حوله ؟ لقد أخطأ الدكتور ، فيما يبدو ، فهم الكلمات التى تحتها خط فى العبارة التالية فكان ما كان : " but the evidence of this apart from the " early poems " seems wanting". لقد ظن أن معناهما "هذا التفكك" . ويمثل هذا المستوى فى فهم اللغة الإنجليزية ما كان ينبغى له أن يقدم على ترجمة هذه الدراسة ، إذ إن عمله هذا هو فضيحة بكل المقاييس . ولا شك أن القارئ قد لاحظ حتى الآن هدوئى الشديد فى التعليق على أخطائه الهائلة التى لا تكاد تُحْصَى . لكن لابد أن يفيض الكيل بالإنسان فى وقت من الأوقات . على أنى أحب أن أنبه إلى أننا جميعًا نرتكب أخطاءً عندما نؤلف، وعندما نترجم ، وعندما ننسخ ، وعندما نحاضر ، بل حتى فى أثناء كلامنا اليومى العادى . ولكن أن تكون القاعدة هى الخطأ ، والصواب هو الشذوذ على القاعدة ، وأن تكون الترجمة على هذا النحو الذى يقطع النص المترجم فى أغلب الأحايين عن الأصل الإنجليزى بحيث تنعدم الصلة بينهما على هذا النحو المزرى فأمر لا يصدقه عقل ولا يمكن تحمله .

والغريب أن الكتاب قد أعيد طبعه بنفس الأخطاء فى سنه ١٩٨٨ م ، وربما طُبع بعد ذلك أيضًا . والأغرب منه ما أخبرنا به المترجم فى نهاية المقدمة من أن الأستاذ الدكتور داود سلوم قد "قرأ الترجمة وقوّمها وأعان على حل مشكلاتها " . والذى أعرفه أن الدكتور سلوم متخصص فى اللغة الإنجليزية . وإنى لأتساءل : ترى لو لم يقرأ د. سلوم الترجمة ويقوّمها ويحل مشكلاتها فكيف كانت ستكون ؟ وهل هو راضٍ عن الترجمة على هذه الحالة الشائنة ؟

أتوا بأشعار [245] تُنْسَب إلى جميع أرجاء الجزيرة العربية قد اتبعوا دائما نفس الطريقة القائمة على جعل هؤلاء الشعراء، كلهم أو جُلّهم، يعبدون الله وليس أى إله آخر . لقد أسقطوا الظواهر المألوفة لهم على عصور ماضية لم تكن قد ظهرت فيها بعد . ويبدو أنه قد حدث شيء من ذلك أيضا فى الجغرافيا الموجودة فى هذه القصائد [246] : فعمرو بن كلثوم ، أحد أصحاب المعلقات يذكر أنه شرب الخمر " ببعلبك ودمشق وقاصرينا "، ثم يلتمس بعد ذلك "خمور الأندرينا " [247] . ويقال إن الموضعين الأخيرين قريبان من حلب . ولا ريب أن المائة والخمسين سنة التى يُفْتَرَض أن هذا الشاعر قد عاشها كانت وقتا كافيا للقيام برحلات مكثفة [248] . بَيْد أن معرفة هذه المواضع وكذلك أقاليم بلاد العرب وقبائلها على نحو ما جاء فى هذه القصيدة إنما تذكّر القارئ بالوقت الذى كانت فيه الإمبراطورية الإسلامية تشمل الشام وبلاد العرب

245- عند د. الجبورى : " نظموا قصائد " (ص / ٨٠) ، وفى ترجمة د. بدوى " يروون قصائد " (ص / ١٢١) ، أمّا د. المهنا فيقول إنهم قد " جمعوا أشعارا " (٢ / ١٣) .

246- " وشيء مثل هذا يبدو أن يكون حالة منسجمة مع جغرافية هذه القصائد ". هكذا ترجم د. الجبورى الجملة الأخيرة ، وهى ترجمة لا يتضح المراد منها .

247- د. الجبورى : " ذلك أنه التمس شرب خمرة (الأندرين) " (ص / ٨٠) . ولا موضع هنا لعبارة " ذلك أنه " ، لأنها تفسد معنى الكلام ، كما يتضح من مضاهاة ترجمته بما قلناه نحن .

248 - فى ترجمة د. يحيى الجبورى : " ولا شك أن هذا الشاعر يفترض أن تكون حياته ١٥٠ سنة قبل الإسلام ، وكان له الوقت الواسع للترحال " (ص / ٨٠) . ولكن من العسير علينا أن نفهم اقتران عبارة : " لا شك أن " بعبارة " يفترض أن تكون حياته " ، إذ إن الأولى تعنى اليقين الجازم والثانية عدم التأكد من شيء بل مجرد الافتراض . وأين هذا من ذاك ؟ علاوة على أن المترجم قد فكّك الجملة وأعاد تركيبها على نحو ينكره المؤلف .

لا الوقت [249] الذى كانت ظروف العرب فيه هى الظروف التى تصورها حولية [250] يوشع [251] المُسْتَعْمِد [252](*) حوالَى سنة ٥٠٠ م .

أما الخط البرهانى الثالث فيوجد فى " مضمون " القصائد [253] ، فإنه إذا كان الشعراء يستهلّون قصائدهم باطّراد بالمطالع الغزلية [254] لأن القرآن يقول عن الشعراء إنهم " فى كل وادٍ يهيمون " ، ثم إذا كانوا بعد ذلك يأخذون فى وصف رحلاتهم ومطاياهم لأن الشعراء ، كما جاء فى القرآن ، " يتبعهم الغاوون " ، وهو ما يشير بالتأكيد إلى أنهم هم أنفسهم غاوون ، ثم إذا انطلقوا عقب هذا فأسهبوا فى الحديث عن أفعالهم ، اللاأخلاقية فى الغالب ، بسبب ما ورد فى القرآن من " أنهم يقولون مالا يفعلون " ، فإننا على الأقل نستطيع أن

(*) the Stylite : أى الذى كان يعيش على رأس عمود – المترجم .

249 – د. بدوى : " لكن المعرفة الوثيقة بهذه الأماكن ... تذكر القارئ بالعصر الذى امتدت فيه الدولة الإسلامية ... أولى من أن تذكّر بالعصر الذى كان العرب فيه على الحال التى ... إلخ " (ص / ١٢٢) . والركاكة واضحة فيما تحته خط ، وسببها التزام المترجم بحرفية النقل هنا .

250 – " مذكرات " (الجبورى / ص ٨١) ، و " حوليات " (المهنا / ٢ / ١٣) ، و " تاريخ " (بدوى / ١٢٢) .

251 – عند كل من د. الجبورى (ص / ٨١) ود. المهنا (٢ / ١٣) : " يشوع " !

252 – عند د. الجبورى : " يشوع الناسك المسيحى " (ص / ٨١) ، وفى ترجمة د. المهنا : " الراهب يشوع " (٢ / ١٣) ، وفى كتاب د. بدوى : " يوشع العمودى " (ص / ١٢٢) .

253 – د. الجبورى : " الخط الثالث من الأدلة هو من حيث (مضمون) القصائد " (ص / ٨١) . وكما ترى ، فصياغة الجملة ركيكة .

254 – انظر كيف يترجم د. الجبورى كلمة " regularly " وأين يضعها ، حيث يقول : " فهم إذا شرعوا بالنظم بدأوا بمقاطع غزلية مطردة " (ص / ٨١) .

نتقصى مصدر هذه الرتابة التى دفعت بعض النقاد إلى القول بأن كل ما يهم فى الشعر إنما هو اللغة [255]، ما دام الشعراء جميعا يرددون نفس المعانى[١١٨]. ولكن إذا كان هذا البناء النمطى أقدم من القرآن فلا بد أن يكون مستقًى من بعض النماذج المعترف بها [256]. وقد رأينا كيف أن البحث عن هذه النماذج يعود بنا إلى آدم. والحق أن هذه القصائد تنبئ عن

١١٨- ابن رشيق / العمدة.

255 - " ونستطيع فى الأقل تتبع هذا النسق المطرد، حيث يقود بعض النقد لتوضيح كل تلك القضايا فى القصائد إلى أنها كانت بسبب اللغة". على هذا النحو ترجم د. الجبورى هذا الجزء (ص / ٨١) ، ولا أظن أحداً بحاجة إلى أن أدله على مواطن العجمة والغموض فى هذا الكلام.

أما د. بدوى فيؤخذ عليه استعمال "كان" فى ترجمة النصف الأخير من الجزء السابق، وذلك فى قوله : " ... هذا الرتوب، الذى دعا بعض النقاد إلى القول بأن كل ما يهم فى القصائد كان هو اللغة" (ص / ١٢٢) . إن هذه حرفية فى نقل الكلام الإنجليزى إلى العربية، فالإنجليزية تستخدم "كان" هنا، لأن فعل الجملة الأصلية فعل ماضٍ : "... this monotony , which led some critics to declare that all that mattered in poems was the language". أما فى الأسلوب العربى فإننا نسقط "كان" فى هذا السياق، وإلا أصبح معنى الكلام أن الذين كانت تهمهم اللغة وحدها هم الشعراء بينما الحقيقة أنهم هم النقاد.

وقد استعمل د. المهنا هو أيضا "كان"، ولكنه وضعها قبل ذلك بعدة كلمات : "... حيث أنها دفعت بعض النقاد إلى القول بأن كل الذى كان يهم فى تلك القصائد هو اللغة" (٢ / ١٣) .

هذا، وقد فكّك د. الجبورى هذه الجملة الكبرى إلى عدة جمل مستقلة، مما أبعد ترجمته عن الأصل إلى حد ما فلم تستطع اقتناص ما أراده مرجليوث بدقة، علاوة على الركاكة والغموض اللذين بيّناهما قبل قليل. وأكتفى، فى التدليل على تفكيكه للفقرة، بنقل الجملة الأولى، ويستطيع القارئ أن يقيس عليها بقية الجمل. قال : "فهم إذا شرعوا بالنظم بدأوا بمقاطع غزلية مطردة. وسبب ذلك لأن القرآن يقول : إن الشعراء فى كل واد يهيمون" (ص / ٨١) .

256 - د. المهنا : "...فيقتضى أن يعود إلى أمثلة معينة مسلّم بها" (٢ / ١٣) . و"النماذج" غير "الأمثلة" بطبيعة الحال. والترجمة أيضا غامضة.

معرفة [257] رائعة بأعضاء الفرس والناقة[258] ، وربما بعادات الحيوانات الأخرى أيضا . إلا أن هذه الأشياء ، كما نعرف ، قد درسها النحاة والشعراء أيضا . كما أن من الممكن جدا[259] أن يبدأ شاعر بدوى قصيدته بالبكاء على أطلال حبيبته أو ذكر طيفها ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف دابته [260] . لكننا لا نستطيع أن نذكر على وجه الدقة شاعراً جاهليا كانت أشعاره بمثابة أساس للتربية [261] أو كان هو مثالا يحتذيه شُدَاة الشعر جميعا . ولو كان هناك

أما د. الجبورى فإنه ، كحاله فى كثير جدا من الأحيان ، يبدو وكأنه يتكلم لغة أخرى غير العربية : " ... فيجب أن نعود إلى الوراء لنسلم بصحة النماذج المعروفة المحققة " (ص / ٨١) .

257 – عند د. بدوى : " تُبْدى عن ... " (ص / ٢٠) ، وقد علقنا على هذا الاستعمال من قبل فى الحاشية رقم 221 .

258 – د. الجبورى : " وحقا أن القصائد تظهر علما غزيرا مع معرفة بخصائص أعضاء الفرس والجمل" (ص / ٨١) . وكلمتا " مع معرفة " تشكلان زيادة مضللة بعض الشىء .

259 – سقطت من د. الجبورى عبارة : " كما أن من الممكن جدا " (ص / ٨١) .

وفى ترجمة د. المهنا : " ومن الجائز تماما أن بعض شعراء البدو كان قد بدأ قصيدة بالبكاء ...إلخ" (٢ / ١٣) ، وتحويل الفعل من المضارع إلى الماضى غير مستساغ . إن مرجليوث لا يتحدث عن حالة خاصة قد وقعت بل عن تقليد عام فى الشعر العربى القديم .

260– د. الجبورى : " وصف الناقة أو الفرس " (ص / ٨١) ، وهو ما نجده عند د. بدوى بنصه تقريبا: " وصف ناقته أو فرسه " (ص / ١٢٢) . أما د. المهنا فيقول : " وصف لحيواناته"(٢ / ١٣).

261 – سقطت هنا بعض الألفاظ من ترجمة د. المهنا فجاء كلامه كالآتى : " ولكننا لا نستطيع بالدقة أن نسمى هذا الذى شكل شعره أساسًا للتعليم " (٢ / ١٣) . وقد كان ينبغى أن يكون الكلام على النحو التالى مثلا : " ولكننا لا نستطيع ... أن نسمى هذا الشاعر الجاهلى (أو الكلاسيكى) الذى شكل شعره ... إلخ " .

أما ترجمة د. الجبورى لهذه الجملة فلا يمكن فهم ما يريد مرجليوث قوله من خلالها إلا من بُعْدٍ بعيد ومشوها. قال : " ولكن من الممكن جدا أن نقول إنه لا يمكن أن نسمى أى عمل تقليدى قديم أساسا للثقافة الشعرية التى أصبحت مثالا يحتذى من قبل الشعراء " (ص / ٨١) .

شاعر أو شعراء [262] من هذا النوع لكان القرآن فى مجادلاته قد أخذهم فى الاعتبار ، لأنهم فى هذه الحالة سيكونون هم المصدر المعتمد للأفكار السائدة حينئذ [263]. لقد كان من الممكن [264] أن يُوسَم تأثيرهم بأنه سئ ، لكن لم يكن من المستطاع القول بأنه لم يكن فى أيدى الناس من كُتُب يدرسونها [265] .

ويوجد فى القصائد الرئيسية [266] التى تُعْزَى إلى الشعراء

---

262 - " such a classic or classics : شاعر أو شعراء من هذا النوع"، لكن د. المهنا يحسب أن الكلام هنا عن " أثر أو آثار " ، ظنا منه فيما يبدو أن كلمة " a classic " لا تعنى إلا الرائع من الآثار الأدبية (أو الفنية) ، مع أن هذه الكلمة تستعمل أيضا للأدباء (والفنانين) من الطراز الأول . إن مرجليوث يتحدث هنا عن الشعراء الكلاسيكيين وليس عن الأعمال الكلاسيكية . والدليل على ذلك قوله : " but we can name ... no classic whose work formed the basis of education ". فكلمة " whose " لا تستخدم عادة إلا للأشخاص . كما أن " whose work " معناها " إنتاجه " ، فكيف يكون للأثر (وهو نفسه إنتاج) إنتاج ؟ وعلى هذا فقول المؤلف بعد ذلك : " ... such a classic " لا يمكن أن تعنى إلا " مثل هذا الشاعر " لا " مثل هذا الأثر " . وبالمناسبة فقد فهم د. الجبورى هذه الكلمة بنفس الطريقة ، إذ قال: " وإذا وجد مثل هذا المأثور أو المأثورات التقليدية ... " (ص / ٨١) .

263 - يقول د. الجبورى : " ... فإن الجدل القرآنى يجب أن يكون مأخوذا بجراء هذا ، لأنه لابد أن يكون لهم مصدر رسمى لأفكار متداولة " (ص / ٨١) ، فهل فهم القارئ شيئا ؟

264 - د. الجبورى : " إن قدوتهم ينبغى أن تكون موصوفة بالرداءة " (ص / ٨٢) . فانظر كيف تحوّل قول المؤلف : " لقد كان من الممكن أن ... " إلى " ينبغى أن تكون ... " . هذا ، وقد تحولت "الرداءة " عند د. المهنا إلى " الضعف " (٢ / ١٤) ، وشتان الأمران .

265 - جاء فى ترجمة د. الجبورى : " لكنها لا يمكن أن تكون منكورة تماما ، لأن الناس قد دوّنوها حين درسوها " (ص / ٨٢) . ترى هل هناك صلة بين هذا الكلام وكلام المستشرق البريطاني؟ كذلك جاءت ترجمة د. المهنا بعيدة عن الأصل ، إذ قال : " ولكن ليس بالإمكان إنكارها بشكل قاطع وذلك لأن الناس كان لهم كتب قد درسوها " (٢ / ١٤) . والمقارنة بين ما قلناه وما قاله د. المهنا يبين ماذا نريد أن نقول .

266 - in the main odes of early poets . ومع ذلك فقد ترجمها د. بدوى بقوله : " وفى معظم القصائد المنسوبة إلى الشعراء الأوائل ..." (ص / ١٢٣) . ولا أدرى من أين أتى بكلمة :

الجاهليين [267] ما يسمى بشعر المناسبات [268] ، وما هو تسجيل لتجارب لم تكن لتـهمّ أحدا غيـرهم أو كانت فى أحسن الأحوال تهمّ بعض أفراد قبـائلهم أيضا [269] . والواقع أنه لا يمكن أن نستبعد تأليف العربى الذى يطلق زوجته أو يستولى على بعض الإبل أو يقتل أحد أعدائه قصيدةً حول هذا الموضوع [270] . وعندما يقوم بهذه الأعمال عدة أشخاص معًا فمن الممكن [271] أن يسجلها كل منهم بهـذه الطريقة [272] . لكن هوراس كـان دقيـقا حقـا عندما قـال :" إذا لم

" معظم " هذه ، ولا لماذا لم يصف " القصائد " بـ " الرئيسية " كما فى النص .

أما د. المهنا فقد ترجم كلمة " odes " بـ " المعلقات " (٢ / ١٤) ، مع أن الكلام الذى يقوله مرجليوث هنا لا ينطبق على المعلقات فى شىء ، إذ ليس فى أية معلقة حديث عن طلاق صاحبها لزوجته ولا عن استيلائه على إبل مثلا .

267- early poets . وقد ترجمها الثلاثة الآخرون بـ " أوائل الشعراء " أو " الشعراء الأوائل " ، ملتزمين بما قاله مرجليوث بالضبط . أما أنا فقد أديتها بالمعنى ليكون المقصود واضحا للقارئ دون أى لبس .

268 – أصبحت عبارة " ما يسمى بشعر المناسبات " عند د. الجبورى جملة اعتراضية نصها : " وهى مشهورة تماما " (هكذا : " فى القصائد الرئيسية التى تنسب إلى الشعراء الأوائل وهى مشهورة تماما ، فيها تسجيل للخبرات التى كانوا مهتمين هم أنفسهم بها أو على الأفضل بعض رجال البادية منهم " / ٨٢) .

269 – د. الجبورى : " أو على الأفضل بعض رجـال البـادية منهم " (ص / ٨٢) ، مع أن الحديث عن " tribesmen " لا عن " bedouins " .

270 – د. الجبورى : " وحقا لا يمكن أن نجحد إمكانية أن العرب الذين يطلقون زوجة أو يسلبون الإبل أو يذبحون العدوّ أن ينظموا قصيدة فى الموضوع " (ص / ٨٢) . وهى ترجمة ركيكة ، وذلك ظاهر فى قوله مثلا : " لا يمكن أن نجحد أنّ العرب ... أنْ ينظموا قصيدة ... " ، إذ استعمل " أنّ " و " أنْ "، وكل منهما تغنى عن الأخرى بل ينبغى هنا أن تزيحها .

271 – يقول د. الجبورى : " فينبغى أن يسجل كل منهم تجربته فى هذا المجال " (ص / ٨٢) ، وذلك بدلا من "فمن الممكن أن يسجل كل منهم ... " .

272 – ترى كيف ترجم د. المهنا هذه الجملة ؟ إليك ما قاله بدءاً من الجملة السابقة : " ولا سبيل حقا

تَتَغَنَّ القصائد بعملك الطيب فأى ثناء ستفوز به ؟ " . ولابد أن يكون التسجيل على الورق أو ما يشبهه ، وإلا كان مصير هذه الكتابات الضياع(273) . وحين يكون ما يرويه لنا حُفّاظ الشعر شيئا على شكل حوار(274) ، أى مجموعة من الأشعار يردّ فيها شاعر على شاعر آخر ، فمن المحتمل جدا أن يكون ذلك كله بالذات مجرد تأليف خيالى ، إذ لا يمكننا أن نقول عن الشاعرين المتنافسين فى هذه الحالة إن كلا منهما كان يتخذ من الخطوات ما يحفظ به شعر الآخر ، بحيث تكون هناك حاجة لتدخل طرف ثالث ، على حين أننا لو افترضنا أن كل ذلك قد صدر عن عقل واحد لكان أمامنا على الأقل شىء يتسم بالبساطة وسهولة المقارنة (275) .

إلى إنكار احتمال أن ينظم العربى الذى طلق زوجته ، أو أغار على جمل ، أو قتل عدوا قصيدة فى الموضوع ، حيث أن كثيرا من الناس كانوا منغمسين فى تلك العملية ، وقد يدون كل واحد منهم تجاربه بهذه الطريقة " (٢ / ١٤) . والآن انظر كيف فك جملة : " وعندما يقوم بهذه الأعمال عدة أشخاص معًا فمن الممكن أن ... " إلى جملتين أولاهما مرتبطة بالجملة السابقة بـ " حيث أن " وثانيتهما جملة مستأنفة ، مما باعد كثيرا بين الأصل والترجمة .

273- د. الجبورى : " ... وإلا فإن مثل هذا التأليف لم يجد الفرصة للحفظ " (ص / ٨٢) . وواضح أن " لم " قد حلت هنا محل " لن " . ولو كان هذا الكلام لأحد المترجِمَيْن الآخرَيْن لقلت إنه فى الغالب خطأ طباعى . وعند د. المهنا : " ... وإلا فإن مثل هذا النظم لا حظّ له من البكاء (١٤/٢) . وواضح أن " البكاء " تصحيف لـ " البقاء " .

274 – د . المهنا : " ومع أن من ضمن الأشياء ، التى نقلها العلماء إلينا شيئا يأخذ شكل حوار متتابع ... " (٢ / ١٤) . والصواب : " وحين يكون ما يرويه لنا العلماء (أو حُفّاظ الشعر) شيئا ... " ، لأن الأصل الإنجليزى يخلو تماما من معنى الاستدراك الموجود فى أول كلام المترجم : " ومع أن " ، إذ يبدأ بالظرف " when " ، الذى يعنى : " وحين / وعندما " .

275 – فى ترجمة د. الجبورى لهذه الفقرة تتمثل كل العيوب التى وجدناها عنده من ركاكة وبعد تام عن غرض المؤلف وغموض وتفكيك للجمل وحرفية فى نقل الكلام الإنجليزى ... إلخ . يقول : " إن ما

كما تفسّر لنا فرضيةُ التأليف الخيالى الحالاتِ التى تكون الحكايات المصاحبة فى ' للأشعار مناقضة للخبرة الإنسانية (276) . ومن ذلك أن صاحب "الأغانى" ، حين يورد عددا من الأشعار المرتجلة فى إحدى المسابقات الشعرية بين النابغة الجَعْدى والعَجّاج والأخطل (١١٩) ، يذكر أن عمر النابغة لابد أن

١١٩- الأغانى ١٢٩/٤ .

نقله الرواة شىء اتخذ صيغة المناظرة ، أى التسلسل الذى يجيب فيه الشاعر شاعرا آخر ، أن احتمال أن يكون جميع ذلك محض قصص أمر عظيم ، خاصة وأننا لا نستطيع أن نثق تماما بالشعراء المتنافسين، ذلك لمعرفة الخطوات التى بها تحفظ منجزات كل منهما ، وإن إدخال الفريق الثالث أمر لابد منه ، هذا إذا افترضنا أن الجميع يصدرون عن ذهنية واحدة ، فنحن فى الأقل نملك شيئا قبلنا بسيط وسهل الموازنة " (ص / ٨٢) . وسوف ألجأ إلى المقارنة بين ترجمة د. الجبورى لبعض الكلمات والعبارات فى هذه الفقرة وترجمتى ، مع إيراد ترجمته أولا ثم التقفية عليها بترجمتى :

١ – إن ما نقلة الرواة شىء اتخذ صيغة المناظرة .

١أ – وحين يكون ما يرويه لنا حفّاظ الشعر شيئا على شكل حوار .

٢ – خاصة وأننا لا نستطيع أن نثق تماما بالشعراء المتنافسين ذلك لمعرفة الخطوات التى بها تحفظ منجزات كل منهما .

٢أ – إذ لا يمكننا أن نقول عن الشاعرين المتنافسين فى هذه الحالة إن كلا منهما كان يتخذ من الخطوات ما يحفظ به شعر الآخر .

٣ – وإن إدخال الفريق الثالث أمر لابد منه .

٣أ – بحيث تكون هناك حاجة لتدخل طرف ثالث .

٤ – هذا إذا افترضنا أن الجميع يصدرون عن ذهنية واحدة .

٤أ – على حين أننا لو افترضنا أن كل ذلك قد صدر عن عقل واحد .

٥ – قَبْلنا : before us .

٥أ – أمامنا / بين أيدينا .

276 – حين يقرأ الإنسان ما قاله د. الجبورى فى ترجمة هذه الجملة يشعر أنه يقرأ كلامًا سريانيا . يقول: " إن احتمال أن تكون الحكايات ثم الروايات قد روّجت للأحوال التى تشارك بها القصص

يكون ٢٢٠ سنه آنذاك ، ويبدى اقتناعه بهذا [277]. وهناك من جعلوا عمره ١٨٠ سنة ، لكن ما دام من المؤكد أنه قد بلغ هذا العمر فى حياة النبى فلا بد أن يكون هذا أقل من عمره الحقيقى [278] . والآن حينما نقرأ المسابقة التى كانت بين هوميروس وهزيود فإن ترتيب الحوادث التاريخية لا يهمنا حينئذ .

---

277 - سأورد هنا ترجمة د. الجبورى للسطور الماضية ، وسوف يرى القارئ تفكك الكلام وعدم اكتمال الجملة الرئيسية : " لذا فإن مؤلف كتاب الأغانى الذى أورد عددا من الأشعار ارتجلت فى مباراة شعرية حيث اشترك فيها الشعراء : النابغة الجعدى والعجاج والأخطل ، وقد قدر بأن النابغة هذا عاش ٢٢٠ ، وصرح أبو الفرج نفسه ، بأنه مقتنع بهذا التقدير " (ص / ٨٢) .

ومؤكد أن القارئ قد لاحظ على الفور أن خبر " فإن " لا وجود له .ثم ما معنى قول المترجم : "وصرح أبو الفرج نفسه "، رغم أن الكلام قبل ذلك كان كلام أبى الفرج ، ولم يُذكَر أحد آخر معه يوجب النص على أن صاحب التصريح هو أبو الفرج نفسه لا ذلك الشخص الآخر ؟

278- عكس د. الجبورى (ص / ٨٣) المعنى فجعل التصريح بأن عمر النابغة ١٨٠ سنة مجاوزا للحقيقة ، على حين أنه فى الواقع أقل منها .كما أنه يعبر عن بلوغ النابغة هذه السن بقوله : " لكن كما احتفل هو يقينا بميلاده الـ ١٨٠ فى زمن الرسول، كان هذا التصريح المجاوز للحقيقة مهما".

وإذا كان مفهوما أن يقول المؤلف البريطانى بالإنجليزية : " He has quite celebrated his 180th birthday in the time of the Prophet" ، وهى عبارة مجازية بطبيعة الحال، فإننا حين ننقلها حرفيا إلى العربية فى حديثنا عن النابغة الجعدى يصبح الأمر مضحكا ، إذ إن العرب والمسلمين لم يعرفوا الاحتفال بأعياد الميلاد إلا فى العصر الحديث تقليدا للغربيين . فكيف نجعل أحد الصحابة يحتفل بعيد ميلاده فى عصر الرسول ؟ لم يبق إلا أن نقول إن أصدقـ ، ومعارفه وأهل بيته كانوا يهتفون وهم يطفئون الشموع المغروسة فى التورتة : " سنة حلوة يا جميل " !

وقد استخدم د. بدوى أيضا هذا التعبير المضحك عند ترجمة هذه الجملة (ص / ١٢٤) . أما د. المهنا فيقول إن النابغة " كان قد أشاد فعلا ببلوغه سن المائة والثمانين عاما فى عهد النبى " (٢ / ١٤) . ولا أظن أن الشاعر " قد أشاد ببلوغه سن المائة والثمانين " فى عهد الرسول ، وإنما المقصود ببساطة هو أنه كان قد بلغ هذه السن من قبل فى حياة الرسول ﷺ . هذا كل ما هنالك ، والسلام !

ذلك أننا نعرف أن الأمر كله خيال فى خيال . ولكن إذا كان الشخص الذى رواها لنا بـ ن نية هو نفسه مصدرنا الرئيسى بالنسبة لحياة الشاعرين فعندئذ، وعندئذ فقط ، يكون ارتيابنا ، بالغـاً ما بلغت شدته ، أمرا مفهوما[279] .

وهذا مجرد مثال، وهناك كثير غيره. وقد نستطيع أن نطمئن إلى روايات " الأغانى "[280] إذا ما تأكدنا أنه ينقل عن مواد مكتوبة[281] . وعلى هذا فلو كان لدينا مجموعة القصائد التى أمر بجمعها الخليفة المهدى[282] لكان بمستطاعنا الاطمئنان إلى أنها كانت موجودة منذ ١٥٨ هـ[283] . ولو كان

---

279 - د. الجبورى : " ... فنحن لا نستطيع إلا أن نكون مرتابين أيضًا "(ص / ٨٣) . وأعتقد أنه قد ظن أن " too " الموجودة قبل " sceptical " تعنى "أيضًا". وعلى أية حال ، فالترجمة غير دقيقة .

280- د. الجبورى : " بيانات (الأغانى) " (ص / ٨٣) . وهى كلمة غير مناسبة للمقام ، و"الأغانى" ليس كتابًا ثوريا حتى يقال إنه يحتوى على بيانات ومنشورات وما أشبه .

281 - هذه هى ترجمة د. الجبورى للجملة كلها : " ربما نستطيع أن نثق ببيانات الأغانى فهى توضح حتى الآن بأنهم اعتمدوا على المواد المكتوبة " (ص / ٨٣) . وأترك للقارئ الحكم بنفسه على مدى ابتعادها عن الأصل .

أما د. المهنا فيقول : " وربما نستطيع أن نطمئن إلى روايات الأغانى بقدر ما تكون واضحة ومعتمدة على مواد مدونة " (٢ / ١٤) . والعبارة التى تحتها خط هى ترجمة خاطئة ، والصواب أن تقول : " وربما تستطيع أن نطمئن إلى روايات الأغانى إذا كان واضحًا أنها تعتمد على مواد مدوّنة : ... so far as is clear that ..." .

282 - انفرد الدكتور يحيى الجبورى بترجمة كلمة " made " إلى " نُظمت " (هكذا : " مجموعة القصائد التى نُظمت بأمر الخليفة المهدى " / ص ٨٣) . والخليفة المهدى لم يأمر بنظم مجموعة قصائد ، وإنما أمر بجمع طائفة من الأشعار القديمة .

283- in existence as early as 158 A.H. . وقد ترجمها د. الجبورى خطأ فقال : " وهى أسبق وجوداً من سنة ١٥٨ هـ " (ص / ٨٣) .

جامع القصائد إنسانا صادقا وذا عقليـة ناقدة إلى حد معقول [284] ، فإن من الممكن أن نثق به إذا أخبرنا أنه قد حصل على مادته من وثائق أقدم من ذلك كثيـرا . أمـا لو كـان لدينا ، بدلا من هذه اليـقظة العـقليـة وذلك الصدق ، حكايات طويلة عن رجال عاشوا مائتين من الأعوام ومجاميع شعرية مدفونة فى القصور [285] وهياكل عظمية هائلة الحجم مع ألواح عند رؤوسها [286] ، فإن لنا الحق حينئذ فى رفض كل شىء والقول بأنه مزيف منحول . ولو أننا ، بدلا من المواد المكتوبة ، وجدنا المؤلف يعتمد على النقل الشفوى [287] طوال مـدة من شأنها أن يُنْسَى خلالها أى شىء محفوظ فى الذاكرة لتأكد لنا مرتين أن ما يقوله لا يمكن الأخذ به فى أى موضوع [288] .

فإذا كان الشعر الذى يقال إنه جاهلى مشكوكا فيه إذن من الناحيتين الخارجية والداخلية [289] ، فإننا نكون بذلك قد عدنا الى قضيـة بداية الشعر

---

284 – "reasonably veracious and critical" : صادقا وذا عقلية ناقدة إلى حد معقول ". ومع هذا يترجمها د. الجبورى على النحو التالى : "بذا شخصا معقولا صادقا وناقدا" (ص / ٨٣) .

285 – د. المهنـا : " مدفونة تحت أمكنـة " (ص / ١٥) ويبدو أن الأمر قـد اختلـط عليـه فقـرأ " places " بدلا من " palaces " .

286 – د. الجبورى : " مع الألواح المنقوشة على واجهاتها " (ص / ٨٣) ، وهو خطأ بيّن .

287 – لم يستطع د. المهنا التقاط الخيط الخاص بتركيب هذه الجملة فترجمها كالآتى : " وبدلا من أن يعتمد مؤلفنا على مواد مدوّنة نجده يعتمد على الرواية الشفهية " (٢ / ١٥) . وبهذه الطريقة تحول الكلام من شرط افتراضى إلى شىء وقع فعلا ، وهو ما لم يقله مرجليوث .

288 – لنتأمل معًا العجمة فى ترجمة د. الجبورى للجزء الأخير من هذه الجملة : " فبإمكاننا أن نشعر بتأكيد مضاعف بأن هذه البيانات ما كانت موثوقة فى أى موضوع " (ص / ٨٣) . ومرة أخرى نراه يترجم " statements " فى هذه السياق إلى " بيانات " (انظر هامش رقم 280) .

289 – لا أدرى ماذا يقصد د. المهنا بقوله فى ترجمة هذا الجزء : " وإذا كان الشعر الجاهلى – فى الظاهر جاهليا – مشكوكا فيه – إذن – بالبرهانين الخارجى والداخلى ... " (٢ / ١٥) . إن

العربى : أهو شعر قديم جدا رغم أن الآثار الشعرية[290] التى فى حوزتنا تنتمى فى معظمها إلى ما بعد الإسلام[291] ؟ أم هل ينتمى جميعه إلى ما بعد الإسلام بوصفه تطورا للأساليب الموجودة فى القرآن ؟ إن هذه المسألة تبدو شديدة الصعوبة .

فمن ناحية يبدو الأمر متصلا مستمرا ، فالشعراء الأمويون يأتون بعد شعراء عصر النبى والصحابة ، الذين يتلون بدورهم شعراء الجاهلية . لكن بعض الدواوين القديمة ، كديوان حسان بن ثابت مداح النبى[292] مثلا ، لاتكاد توحى بأية ثقة . أما دواوين شعراء بنى أمية فإن من الصعب التشكيك فى صحتها[293] . ثم إن بعض الفنّيات الشعرية تكمن ، فيما يبدو ، وراء

تركيب الكلام فى عبارته مضطرب جدا ، إذ ما معنى أن يكون الشعر الجاهلى – فى الظاهر جاهليا – مشكوكا فيه؟

290- د. الجبورى : " الآثار التذكارية " ! (ص / ٨٣) ، إذ يظن أن كلمة " monuments " هنا تعنى الآثار العمارية مثل المعابد والتماثيل وما إلى ذلك ، فى حين أن المقصود بها فى هذا السياق هو ببساطة الآثار الشعرية .

291 – انظر إلى التركيب العجيب لهذا الجزء من الجملة فى ترجمة د. الجبورى : " ... مع أن الآثار التذكارية التى نملكها هى فى الجزء الأغلب ما بعد الإسلام " (ص / ٨٣) . ترى ما معنى أن هذه الآثار هى ما بعد الإسلام ؟ لقد كان يمكن أن يتحقق لها معنًى لو أنه قال مثلا : " ... مع أن الآثار التذكارية ... تنتمى فى الجزء الأغلب منها إلى ما بعد الإسلام " . وقد كرّر الأستاذ المترجم تركيبه هذا فى الجملة الاستفهامية التالية ، مما يدل على أن المسألة ليست سهواً أو تسرعًا ، بل على أنه لا يشعر أن فى الكلام على هذا النحو شيئا .

292 – د. المهنا : " شاعر النبى " (٢ / ١٥) . وبهذه الطريقة ضاع المعنى الذى أراده مرجليوث حين استعمل لهذا الصحابى الجليل كلمة " encomiast : المدّاح " ، وكأن النبى عليه السلام كان واحداً من ملوك العرب الذين يغدقون الأموال على الشعراء جريا وراء مدحهم لهم وتمجيدهم إياهم بالحق والباطل التماساً للشهرة وتثبيتا للملك والسلطان .

293- د. المهنا : " ولكن من الصعب أن نهزّ دواوين الشعراء الأمويين" (٢ / ١٥) . وقد نسى أن يترجم عبارة " the genuineness (of) " (أم تراها سهوة من الطابع ؟). من هنا يحسر

مثيلاتها من العبارات الموجودة فى العهد القديم [294]. ومن هنا تبدو فرضية قرض العرب (القدماء) للشعر فرضية مغرية ، وإن لم يكن فى وسعنا التأكد من وجود أية أبيات شعرية فعلا من الفترة السابقة على الإسلام[295] .

القارئ بغرابة التركيب وقلق المعنى .

294 – كعادة مرجليوث فى كثير من الأحيان نراه يلقى هذه العبارة موجزة دون أن يوضح ماذا يقصد بها أو يقدم أية شواهد عليها . ورغم ذلك فمن المؤكد الذى لا يقبل النقاش أن ترجمة د. الجبورى لها ترجمة خاطئة . قال : " ... فضلا عن أن قليلا من الصنعة الفنية للشعر تبدو كاذبة وراء مقاطع من النوع نفسه، وقد حصل مثل هذا فى العهد القديم (التوراة) " (ص / ٨٤). لقد ظن أن "to lie " هنا معناها " يكذب " . وهذا خطأ فاحش ، إذ لا علاقة للكلام هنا بالكذب ، فضلا عن أن وجود " behind " بعدها بهذه الطريقة يقطع كل صلة للفعل " to lie " بهذا المعنى تماما . كذلك فـ " phrases " لا تعنى أبداً " مقاطع " كما ترجمها د. الجبورى . ثم إن السؤال الطبيعى هنا هو : " وراء مقاطع من النوع نفسه أين ؟ ". ذلك أن المترجم قد مزّق أواصر الجملة ، موجدا بذلك جملة مستقلة هى : " وقد حصل مثل هذا ... " . وأخيرا فليس العهد القديم هو " التوراة " ، لأنه إذا كانت التوراة هى ما أنزل على موسى عليه السلام فإن معظم أسفار ذلك الكتاب خاصة بتاريخ بنى إسرائيل بعد موت هذا النبى ، ومن ثم فلا يمكن أن تدخل بأى حال من الأحوال فى " التوراة " . وهذا طبعا إذا صدّقنا أن أسفار العهد القديم الخاصة بالعصور الممتدة من لدن خلق الكون إلى وفاة موسى عليه السلام هى هى نفسها التوراة التى أنزلت على ذلك النبى الكريم . وهو ما لا يمكن التسليم به (على الأقل فى جوانب كثيرة منها) ، ولكن هذه مسألة أخرى .

أما د. المهنا فقد ترجم العبارة المشار إليها بقوله : " ويبدو أيضا أن قليلا من الصفات للشعر تمتد إلى ما راء عبارات من نفس النمط موجودة فى العهد القديم " (٢ / ١٥) . لكن مرجليوث فى قوله : " a few (of technicalities) " لا يقصد كلمة " قليل " بل يريد " عدداً (من التفصيلات الفنية) " ، علاوة على أن قول د. المهنا: " تمتد إلى ما وراء " قد يصلح ترجمة لـ " to stretch / spread beyond " مثلا . أما لـ " to lie behind " فلا .

295 – على النحو التالى ترجم د. الجبورى الجزء الأخير من هذه الفقرة : " لذلك فإن النظرية القائلة بأن العرب قد نظموا القصائد فى الجاهلية نظرية مدهشة حقا ، فنحن لا نستطيع أن نكون متأكدين فيما إذا كنا نملك فعلا أى بيت هو أسبق من الإسلام " (ص / ٨٤) ، وهو ما يعنى أن الإدهاش الذى فى النظرية المذكورة سببه أننا " لا نستطيع أن نكون متأكدين ... إلخ ". وهذا غير صحيح البتة ،

ومن الناحية الأخرى ، فـفضلا عن عدم وجود شعر فى النقوش العربية فإننا نلاحظ أن القرآن يخلو [296] من أية إشارة إلى الموسيقى [(١٢٠)] . وعبثا

١٢٠- هناك ثلاثة نصوص يُفْتَرَض أنها تشير إلى الموسيقى (الإسراء/٦٤، ولقمان /٦ [(297)] ، والنجم/٦١) / تلبيس إبليس/٢٤٦ . لكن الإشارة [(298)] غير واضحة .

فمرجليوث لم يقل هنا ، بل لم يقل إن هذه النظرية (أو بالأحرى " الفرضية ") مدهشة (بالمعنى الذى فهمه د. الجبورى) ، وإنما قال : " attractive : جذابة / مغرية ". والواقع أن جملة " لا نستطيع أن نكون متأكدين ... " لا يمكن أن تكون تعليلا لهذا الإدهاش المزعوم (ولا حتى للإغراء الموجود فى تلك الفرضية) ، بل هى مجرد استدراك . أى أن هذه الفرضية جذابة ، لكننا لا نستطيع أن نتأكد ... إلخ . ويبقى قول د. الجبورى : " متأكدين فيما ... " بما فيه من وضع لحرف الجر " فى " فى غير موضعه ، إذ إن الفعل " تأكد " يأخذ " مِنْ " لا " فى " .

296 - يقول د. الجبورى : " ... فإننا نلاحظ أن القرآن لم تكن فيه أية إشارة إلى الموسيقى " (ص / ٨٤) . وقوله : " لم تكن فيه أية إشارة ... " يوحى بأنه لم يكن فيه مثل هذه الإشارة أولا ثم أصبحت فيه الإشارة المذكورة . وهذا كلام خطير سببه ركاكة عبارة المترجم . وإذا كان الأصل الإنجليزى قد استخدم صيغة المضارع من الفعل " to have " هنا: "the Qur'an has no allusion to music " ، فكيف يجعله المترجم العربى فى الزمن الماضى ؟

297 - عند د. الجبورى : " ١٧ / ٦٦ ، ٣١ / ٥ " (ص / ٨٤) ، وهو نفس ما نجده عند د. بدوى "الإسراء / ٦٦ ، لقمان / ٥ " (ص ١٢٥ / هـ ١) ، وهو خطأ تابع فيه المترجمان ما قاله مرجليوث دون تمحيص. والصواب أنهما الآية الرابعة والستون من " الإسراء " (وليست السابعة والستين كما عاد د. الجبورى بعد ذلك وقال (ص ١٢٠ - ١٢١ / هـ ١٤٣) ، موضحا أن ترقيم مرجليوث لآيات القرآن تنقص رقما دائما ، مع أنه هنا على العكس يزيد رقمين) ، والسادسة من "لقمان " . أما د.المهنا فرغم تصويبه الخطأ الخاص برقم الآية فى سورة " لقمان " فإنه بالنسبة للنص الأول يقول : " النحل : ٦٧ " . ولا أدرى كيف يكون ذلك ، فليس فى هذا الموضع من سورة "النحل" أى شىء يمكن أن يقال إنه إشارة إلى الموسيقى .

298 - فهم د. الجبورى كلمة " reference " هنا خطأ ، ظانا أن المقصود بها " المرجع " (ص /٨٤)، مع أن معناها " الإشارة " كما ترجمناها .

ننظر فى ذلك الفهرس المفيد الذى وضعه د. ستانتون للقرآن عن كلمتى «موسيقى» و « غناء» . أما كلمة « رتّل»(*) الموجودة فى ذلك الكتاب فلا يمكن فى الحقيقة أن يكون معناها « يغنّى » ، ما دامت قد أُسْنِدت إلى الله(299) سبحانه (الفرقان/٣٢) ، بل لا بد أن يكون معناها «رتّب» (300) أو شيئا من هذا القبيل . كذلك فإن كلمة « المزامير» ، التى يُفْهَم من اسمها فى السريانية واليونانية (301) أنها تعنى الألفاظ التى تصاحبها الآلات النفخية أو الوترية (302) ، قد تحولت فى القرآن إلى « الزبور»(**) ، ومعناها مكتوبات أو

(*) أعتقد أن مرجليوث يقصد " رتّل" ، مادام قد ذكر فى مقابل هذا الفعل المصدرَ الإنجليزى لا فعل الأمر ، ولكنه كالعادة يخطئ فى نطق الكلمات العربية حتى السهلة منها .

(**) يخطئ مرجليوث أيضا فى نطق هذه الكلمة ، إذ يجعلها مضمومة الزاى . ومثل هذه الأخطاء تشكل ظاهرة عند كثير من المستشرقين .

---

299 – فى ترجمة د. المهنا : " ... لأنها استخدمت من الذات الإلهية " (٢ / ١٥). وهى ترجمة تجمع بين الركاكة وعدم وضوح المراد منها . أما ترجمة د. الجبورى فهى أشنع ، إذ قال : "منذ أن استعملت فى الوجود الإلهى " ! (ص / ٨٤) .

300- أخطأ د. الجبورى فى ترجمة " set in order : يرتّب / ينظّم " فقال : " ينفّذ "(ص / ٨٤) ، رغم أنه لا علاقة البتة بين " رتّل " و " نفّذ " .

301- د. المهنا : " وتعني المزامير بوضوح – من خلال أسمائها السريانية والإغريقية –..." (٢ / ١٥). وكلمة " أسمائها " هى ترجمة حرفية لقول مرجليوث : " their ... names ". لكن الجمع فى الإنجليزية ، كما نعرف ، يبدأ من اثنين . وما دامت عندنا هنا لغتان هما السريانية واليونانية فمعنى ذلك أن الكلام عن " اسمى " المزامير فى تينك اللغتين . وقد أفردنا نحن الكلمة ، إذ إن هذين الاسمين هما فى الحقيقة اسم واحد بلغتين مختلفتين ، وكذلك فعل كل من د. الجبورى (ص / ٨٤) ود. بدوى (ص / ١٢٦) .

302 – د. الجبورى : " آلات هوائية وترية " (ص / ٨٤) . أما كيف تكون الآلات الموسيقية هوائية (أى آلات نفخ ، كما نقول فى مصر ، أو آلات نفخية كما قلت أنا حتى لا أضطرّ إلى تكرير كلمة

« كُتُب». والحق أن تواريخ دخول الموسيقى[303] إلى المجتمعات الإسلامية[304] مذكورة فى كتاب « الأغانى» ، وهى تأخذنا إلى عصر بنى أمية ، إذ يقال إنه فى سنه ٦٥هـ قام شخص يدعى ابن مِسْجَح[305] بنقل البربطية والإسطوخوسية من الروم[306]، وكان قد بدأ دراسة الموسيقى عندما مر بالفرس وهم يعيدون بناء المسجد الحرام بعد تدميره فى تلك السنة فسمع غناءهم[١٢١]. كما أدخلت

١٢١- الأغانى / ٣/٨٤ .

"آلات" عقيب ذلك فأقول : " أو آلات وترية ") ووترية فى ذات الوقت فعلم ذلك عند الله ! مع أن المؤلف يقول : " آلات هوائية أو وترية " ، مما يدل على أنه يقصد نوعين مختلفين من الآلات لا نوعا واحدا .

303 – فى النص الإنجليزى " texts " . وقد ترجمتُها إلى " مكتوبات " ، لأن " الزبور " ، كما جاء فى المعاجم ، هو الكتاب المزبور (أى المكتوب) ، فـ " فَعُول " فيه بمعنى " مفعول " (انظر مثلا "لسان العرب " لابن منظور " و " محيط المحيط " للبستانى / مادة " ز ب ر ") . ومن هنا لم أحب أن أترجم الكلمة المذكورة بـ " النصوص " كما فعل غيرى ، وآثرت عليها كلمة " مكتوبات " (ج " مكتوب " ، بمعنى " (كتاب) مزبور ") .

304 - فى ترجمة د. المهنا : " تواريخ تقديم الموسيقى إلى المجتمعات الإسلامية " (٢ / ١٥) . وكلمة " تقديم " هنا قلقة بعض الشىء .

305- عند كل من د. الجبورى (ص / ٨٤) ود. المهنا (٢ / ١٥) : " ابن مسجح " مباشرة ، دون عبارة " شخص اسمه " أو " رجل يُدْعَى " مثلا كما فى النص الإنجليزى .

306 – عند د. الجبورى : " من اليونان " ، مع أنه نقل نص كتاب " الأغانى " فى ذلك الموضوع ، وفيه أن مسجحا قد نقل ذلك عن " الروم ". فكلمة " الروم "هى الأليق فى هذا السياق ، إذ إنها الكلمة التى كان يستخدمها العرب . أما د.. المهنا فقد قال : " عن الإغريقية " ، رغم أن الكلام عن أمة الإغريق (التى كان العرب يسمونها " الروم " كما قلنا) لا عن لغتها " الإغريقية " . وعلى أية حال ، فالموسيقى تُنْقَل من أمة إلى أمة لا من لغة إلى أخرى ، لأن لها رموزها المستقلة التى لا علاقة لها بالرموز اللغوية ، ووسيلة فهمها مشتركة بين الناس جميعا ، وهى الأذن ، التى لا يتطلب الأمر من الإنسان إلا أن يُصغيها لا أكثر .

رائقةُ المغنيـةُ الغناءَ إلى المدينة(307) فى ذلك الوقت تقـريبـا [١٢٢] . ومـع ذلـك فـهناك أسمـاء أخرى فى هذا المجال(308) . وبالنسبة للكلمتين المذكورتين فإن أولاهمـا تعنى « العـزف على الجنك»(309) ، أمـا الثانية فـغامضـة المعنى . ويعتقـد مســتر فـارمـر ، وهــو حجة وثيقة فـى هذا الشأن ، أنها تعنـى

١٢٢- المرجع السابق /١٦/١٣ .

307 - يقول د. المهنا هنا : " (وفى الفترة ذاتها على وجه التقريب) كانت المغنية رائقة تغنى أهل المدينة " (٢ / ١٥) . وفرق كبير بين أن يقول المستشرق البريطانى إن رائقة المغنية قد أدخلت الغناء إلى المدينة ، وأن يقول د. المهنا إنها كانت تغنى أهل المدينة .

308- there are , however , other claimants . وقد ترجمها د. الجبورى ترجمة مقاربة ، وإن كان قد أضاف عبارة " فى هذا الشأن " فى آخر الجملة . قال : " وعلى أية حال فهناك زاعمون آخرون فى هذا الشأن " (ص / ٨٥) . وفى ترجمة د. بدوى : " ومع ذلك توجد دعـاوى أخرى " (ص / ١٢٦) . ولكن ما معنى هذا وذاك ؟ لا أعتقد أن المراد من الكلام واضح .ثم جاء د. المهنا فربط هذه الجملة بالتى تليها ، ظنًا منه أن ذلك سيكشف عن معناها ، فقال : " ومن ناحية أخرى فهناك مدّعون آخرون يدّعون أن أولى الكلمتين اللتين سبقت الإشارة إليهما تعنى بوضوح ... إلخ " (٢ / ١٥) . وهو ، يقينا ، مخطئ فيما صنع .

وقد حاولت بدورى أن أزيح الغموض عن هذه الجملة الشديدة الإيجاز فقلت : " ومع هذا فهناك أسماء أخرى فى هذا المجال " ، أى هناك مُغَنّون آخرون يُنْسَب إليهم إدخال الغناء أيضا إلى بلاد العرب غير مسجح ورائقة .

309- harp - playing . وقد ترجمتُها بـ " العزف على الجُنْك " ، وهى الكلمة المستعملة فى الكتب العربية القديمة . أما الدكتور عبد الرحمن بدوى فقد استخدم اللفظة المعاصرة قائلا : " العزف على الهارب " (ص / ١٢٦) . ومن قبله ترجمها الدكتور الجبورى بـ " عزف - القيثار " (ص /٨٥). وهى ترجمة صحيحة أيضا ، وإن كنت أستغرب فصله بين الكلمتين بشرطة ! إن ذلك مفهوم فى اللغة الإنجليزية ، حيث يتقدم المضاف إليه على المضاف فتدل هذه الشرطة على أننا أمام تركيب إضافى . ولو عُكِس تركيب الكلمتين لحذفت هذه الشرطة وحل محلها الحرف " of " (هكذا : " the playing of the harp") . فهل يعقل أن يصل التقليد الأعمى إلى هذا الحد فيضع أستاذ جامعى متخصص فى العربية وآدابها شرطة بين المضاف والمضاف إليه فى لغته ؟

طريقة أرسْتِكْزِينوس .

إن هذه الروايات التى أوردها صاحب « الأغاني»[310] تتوافق جيدا مع الظاهرة التى لاحظناها ، وهى خلو القرآن من الإشارة إلى الموسيقى[311] ، رغم أنها عند معظم الأمم تمثل ملحقا مهما فى العبادات الجماعية .

كما كان المتوقع من أمة محاربة كالأمة الإسلامية أن تتنبه الى أهمية الموسيقى بالنسبة للأعمال العسكرية[312] . ولكن إذا كان إدخال الموسيقى فى المجتمع الإسلامى قد تم فى العصر الأموى ، فهل يمكننا أن نتصور أن العرب قد عرفوا قبل ذلك الأوزانَ[313] بالاطراد والاتساع الموجودين فى أشعارهم ؟

---

310 - مرة أخرى أيضا يترجم د. الجبورى كلمة " statements " فى هذا السياق بـ " البيانات " ، حيث يقول : " إن بيانات الأغانى هذه ..." (ص / ٨٥). وقد كررنا قبلا أن هذه الترجمة غير مناسبة .

311 - ترجم د. الجبورى هذا الجزء ، كعادته فى كثير جدا من الأحايين ، ترجمة ركيكة كالآتى : " ... تبدو منسجمة تماما مع الظاهرة الطبيعية التى لوحظت فى غياب الإشارة إلى الموسيقى فى القرآن " (ص / ٨٥) ، إلى جانب زيادته كلمة " الطبيعية " التى وصف بها " الظاهرة " والتى لا وجود لها فى كلام مرجليوث .

أما ركاكة العبارة فى ترجمة د. بدوى فهى من نوع آخر ، إذ تحمل طابع العجمة . قال : " ... تتفق تماما مع الظاهرة التى لاحظناها – وهى الخلو من الإشارة إلى الموسيقى فى القرآن " (ص / ١٢٦) . ولو أنه قال مثلا : " وهى انعدام الإشارة إلى الموسيقى فى القرآن " أو " وهى خلو القرآن من الإشارة إلى الموسيقى " لزال هذا الطابع الأعجمى من تركيبه .

312 - " وكنا نتوقع أن أهميتها العسكرية معترف بها فى مجتمع عسكرى كالمجتمع الإسلامى " (د.المهنا / ٢ / ١٦) . لكن تركيب الكلام يتطلب بعض التعديل ليصبح سائغا فى الذوق اللغوى العربى (هكذا مثلا: " كنا نتوقع أن تكون أهميتها العسكرية معترفا بها ... ") .

313 - لم يقل أحد من العرب أو المسلمين إن العرب قبل العصر الأموى (وبالذات فى الجاهلية) قد عرفوا " العَرُوض " ، ومن ثم فلا يمكن أن يكون سؤال مرجليوث الإنكارى هو كما جاء فى ترجمة د. الجبورى : " ... هل نستطيع أن نتصور أن العروض موجود لدى العرب من قبل ؟ "(ص/٨٥)،

أقرب من ذلك إلى طبيعة الأشياء ، فيما يبدو ، أن يكون الرقص هو الأصل الذى تفرعت عنه الموسيقى ثم الشعر ، وإن كان انفصال الشعر عن الموسيقى يأخذ عادة وقتا طويلا . وتومئ بعض الأوزان العربية ، فيما يبدو ، إلى الرقص أو الموسيقى أو الاثنين معا .

ولقد كان وجود القرآن ، الذى يحتوى على أولِيّات النثر المسجوع[314] والوزن الشعرى ، هو السبب فى تطور هذين الفنين حين عرف العرب الموسيقى نظريا وعمليا . ولم يكن من غير الطبيعى آنئذ أن يتصور العرب أن الشعر قديم قدم الجاهلية [315]. وكانت اللهجة القرآنية قد أصبحت لغة من لغات

ودعنا من الركاكة المتمثلة فى قوله : " موجود " بدلا من " كان موجودا " . إن " العروض " هو العلم الذى يدرس ، ضمن ما يدرس ، أوزان الشعر ، وليس هو الأوزان نفسها . فكيف يخلط بينهما د. الجبورى بهذه الطريقة ؟

314- " أُسُس السجع النثرى " (د. الجبورى / ص ٨٥) . وهى ترجمة غير دقيقة ، على الأقل فى هذا السياق ، لما تؤدى إليه من لبس ، فالنص الإنجليزى يتحدث عن " rudiments : مبادئ أولية " لا عن " fundamentals : أسُس " . كذلك فإن قوله : " السجع النثرى " تعبير غريب فى العربية والإنجليزية على السواء .

وفى ترجمة د. بدوى : " (وهو يحتوى على) مبادئ أولية للنثر المسجوع ... "(ص / ١٢٧) ، بتنكير " مبادئ " ، بينما هى فى النص الإنجليزى معرفة . وفرق بين التعريف وبين التنكير ، ال... يعنى " بعض " المبادئ فقط لا كلها .

ويبقى د. المهنا ، الذى أخطأ خطأ فاحشا حين ترجم هذه الكلمة إلى " بقايا (من النثر المسجوع) " (٢ / ١٦) .

315 - and the projection of the art into pre - Islamic antiquity would not be unthinkable. وقد ترجمها الأساتذة السابقون كالآتى :

" وينبغى ألا يكون ظهور هذا الفن فى الآثار الجاهلية غير ممكن التصور " (د. الجبورى / ص٨٥) .

" وإسقاط الفن على العصر الجاهلى لن يكون غير مفهوم " (د. بدوى / ص ١٢٧) .

البلاط [316]. ومع نشوء البلاط ظهرت وظيفة شاعر البلاط . وقد صَبَّ رؤبة ابن العجّاج مدائحه فى ثانى خلفاء بنى العباس فى بحر الرَّجَز [*] [317] ، الذى يُعَدّ بمثابة نقطة فى وسط المسافة بين الشعر والنثر . وقد رأينا من قبل [318] كيف أكد أحد الثقات الكبار [319] أن العجاج ، والد هذا الشاعر ، كان أول من

(*) rejez (بكسر الراء والجيم) ، وهو شاهد آخر على عدم إحسان المستشرقين لنطق كثير من الكلمات العربية ، حتى الشائع منها .

" وليس من غير المتصور ظهور هذا الفن فى العصور الجاهلية القديمة " (د. المهنا / ٢ / ١٦) .

وبالمقارنة بين كل من هذه الترجمات الثلاث والأصل الإنجليزى يتضح أنها قد ابتعدت جميعها عنه على نحو أو على آخر .

صحيح أننى قد تصرفت فى ترجمتى ، لكنى حرصت حرصا قويا على أن يكون المعنى هو هو نفسه فى النص الأصلى مع الوضوح الشديد .

316- a court - language . وقد ترجمها د. الجبورى على النحو التالى : " (إن لهجة القرآن كانت قد أصبحت) اللغة الرسمية الفصحى " (ص / ٨٥) . أما عند د. المهنا ف " (أصبحت لغة القرآن فيما بعد) لغة البلاد " ، بالإضافة إلى قوله : " لغة (القرآن) " لا " لهجة (القرآن) " كما فى الأصل .

317 - " وقد جاء مديح رؤبة للخليفة العباسى الثانى بوزن الرجَز ، منتصف المسافة بين الشعر والنثر" (د. الجبورى / ص ٨٥) . والعبارة ، كما ترى تفتقر إلى التماسك والإحكام .

318- as has been seen . وقد قلت فى ترجمتها : " وقد رأينا من قبل (كيف أن ...) " ، وكان يمكن أيضا أن تقول : " وكما رأينا من قبل (فقد ...) " . أما د. الجبورى فقال : " كما يُرَى " (ص/٨٥ ، مع ملاحظة أن ضبط الحروف من عندى) ، وهى ترجمة غير صحيحة ، فقد صبّ مرجليوث الفعل فى صيغة المضارع التام ، بينما صبّه المترجم فى صيغة المضارع المطلق غير المحدّد بزمن ، وهذه الصيغة لا تصلح هنا .

وفى ترجمة د. المهنا نجده قد ابتعد تمامًا عن معنى النص الأصلى ، إذ قال : " (ويؤكد أحد العلماء الكبار) – حسبما يعتقد – ... " (٢ / ١٦). ويبدو أنه نسى أن الفعل هو" to see " وليس " to think " أو " to believe " . وحتى لو كان الأمر على النحو الذى تصورت أنه فهمه عليه فإن التركيب بوضعه هذا ليس تركيبا صحيحا .

319 – د الجبورى : " ... فإن شيوخ الرواة يؤكدون (أن والد هذا الشاعر ...) " (ص / ٨٥ – ٨٦).

نظم أكثر من بيتين فى هذا البحر الذى هو أقل البحور نصيبا من الفن . ولذلك يبدو مدهشا [320] أن تُنْسَب القصائد الطويلة المصبوبة فى أوزان شعرية أصعب إلى فترة سابقة على هذه .

ومن شأن البحث فى صحة الدواوين المنسوبة إلى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين أن يتجاوز بنا حدود هذه الدراسة[321] . ويبدو الدليل الذى توصلنا إليه بخصوص المسألة الرئيسية كافيا لوضع كل ما يقال إنه شعر جاهلى ،

وهو خطأ ، فالحديث عن " أحد " الشيوخ الكبار(أو " أحد " العلماء الثقات) ، وليس عنهم كلهم .

320 - " it seems remarkable that ... : ويبدو من الغريب / المدهش / العجيب أن ..." .
يريد مرجليوث أن يعبر عن استغرابه ودهشته من أن العجاج ، الذى كان يعيش فى العصر الأموى، لم يكن يستطيع أن ينظم فى بحر الرجز الضئيل الحظ من القيمة الفنية إلا البيتين فقط ، بينما يدعى الرواة أن الشعراء فى صدر الإسلام وفى الجاهلية (أى حين لم تكن الموهبة الشعرية عند العرب قد تطورت التطور الذى رأته بعد ذلك فى العصر الأموى) كانوا ينظمون القصائد الطويلة (وليس بيتين فقط) فى بحور شعرية أكثر تعقيدا وأرقى من الناحية الفنية من بحر الرجز بمراحل. ولكن د. الجبورى ود. المهنا لا ينتبهان لذلك كله ويترجمان هذا التعبير على النحو التالى : " ومن الجدير بالذكر أن (القصائد الطويلة كانت تنظم بأوزان أكثر صعوبة فى العصور المتقدمة) " (د.الجبورى / ص ٨٦) ، " ومما يجدر ذكره يبدو أن (القصائد الطويلة ...)"(د. المهنا / ٢ / ١٦) . ولا أدرى ماذا يعمل الفعل " يبدو " فى هذا الموضع من ترجمة د. المهنا ، إذ هو مرتبط بـ "remarkable " لا بالفعل الذى بعدها .

321 - An inquiry into the genuineness of the diwans ... would exceed the limits of this paper . لكن لم يستطع الدكتور يحيى الجبورى أو الدكتور عبد الله المهنا أن يلتقط معنى الفعل " would " ، فقال الأول : " إن البحث فى صحة الدواوين .. ينبغى أن يتجاوز حدود هذا البحث " (ص / ٨٦) ، وقال الثانى : " إن البحث فى حقيقة دواوين عصر الخلفاء الراشدين ... قد يتعدى حدود هذه الدراسة " (٢ / ١٦) . ويمكن فهم معنى هذا الفعل فى التركيب الذى نحن بصدده وأمثاله إذا قدرنا جملة شرطية محذوفة (هكذا : " If we tried to make an in quiry into the diwans ... , such an inquiry would exceed the limits of this paper ") ، ومعناه أننا إذا حاولنا أن نقوم بمثل هذا البحث فإنه سيتجاوز

وربما أيضا كل الشعر السابق على العصر الأموى ، موضع الشك . لقد كانت الممالك العربية الجاهلية الوارد ذكرها فى النفوش ذات مستوى حضارى رفيع[322] ، ومع ذلك فما من دليل على أنها كانت تعرف الشعر . فهل يمكن الاعتقاد بأن البدوى المتخلف كان يعرفه ، وبهذا الشكل الراقى الذى ينسبه اليه الرواة المسلمون ؟[323] وبوجه عام فإن الاحتمال الصحيح يعضد ، فيما يبدو ، الفرض[324] القائل بأن الشعر والنثر المسجوع كليهما قد تطورا بالدرجة الأولى عن القرآن[325] ، وأن الانتاج الأدبى قبله لم يكن أكثر منه فنية ، بل

حينئذ حدود هذه الدراسة . ولما كانت جملة الشرط المذكورة محذوفة ، فإن قولنا : " ومن شأن كذا أن ... " يؤدى معناها ، وهو ما فعلتُه ، وفعله كذلك الدكتور عبد الرحمن بدوى ، وإن اتخذ بناء الجملة عنده وضعا مختلفا إلى حدٍّ ما : " والبحث فى صحة دواوين شعر عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموى من شأنه أن يتجاوز حدود بحثنا هذا " (ص / ١٢٧) .

322 – highly civilised . وقد جاءت ترجمة د. المهنا أقوى من الأصل ، إذ قال عن هذه الممالك إنها " كانت فى ذروة الحضارة " (٢ / ١٦) .

323 – د. المهنا : " فهل نستطيع أن نصدق أن البدو غير المتحضرين كان عندهم شعر على أى شكل ، فضلا عن هذا الشكل المتقن الذى يصدقهم فيه علماء الإسلام القدامى " (٢ / ١٦) . وقوله : "يصدقهم فيه ... " هو ترجمة خاطئة لـ: wherewith the Moslem archæologists ..." " credit them . والصواب هو ما قلناه . أمّا على حسب ترجمة د. المهنا فيكون معنى الكلام أن أولئك البدو المتخلفين هم الذين ادعوا هذا الشعر لأنفسهم فصدقهم العلماء المسلمون فى هذه الدعوى. فانظر كيف أخذتنا ترجمة د. المهنا كل هذه المسافة بعيدا عن مرمى كلام مرجليوث !

324 – " ويظهر على وجه العموم أن الراجح فى جانب ما سبق افتراضه ... " (د. المهنا / ٢ / ١٦) . وقوله : " الراجح فى جانب ما سبق افتراضه " ينقصه رونق البلاغة العربية .

325– ها هى هذه بقية العبارة فى ترجمة د. المهنا : " ... وهو أن كلاً من الشعر والنثر المسجوع مشتقان فى الغالب من القرآن " (٢ / ١٦) . وأحب أن أنبه إلى أن الخبر فى هذه الجملة ، فى حدود معرفتى ، ينبغى أن يكون مفردا (هكذا : " ... وهو أن كلاً من الشعر والنثر المسجوع مشتق ... إلخ ") . وهذا يختلف عما عندى ، لأن كلمة " كليهما " فى ترجمتى هى توكيد لاسم " أن " المثنى (الذى هو " الشعر والنثر المسجوع ") ، فلذلك جاء الخبر بالتثنية هو أيضا .

العكس هو الصحيح .

وقد يكون من الممكن[326] مقارنة شاعر القبيلة بالشاعر الرعوى وتكون له نفس الصلة بالواقع[327] . ولقد كان مؤلف « سِفْر الحكمة » صريحا دونما داع عندما قال (٢٥/٣٨) :

كـيف يحـصل على الحكمـة أو كـيف يكون شـاعـرا الذى يمسك بالمحراث[328] .

ويفتخر بالمنخس

ويسوق البقر ويتردد فى أعمالها

---

326 - بدلا من " وقد يمكن أن ... " (كما عندى مثلا) أو " ولعل من الممكن أن ... " (كما فى ترجمة د. المهنا / ٢ / ١٦) نجد د. الجبورى يقول : " ربما ينبغى أن ... " (ص / ٨٦) .

327- يقول د. بدوى : " وله (أى للشاعر القبلى) نسبة إلى الواقع مماثلة " (ص / ١٢٨) ، أما د.المهنا فيقول إنه " يحمل علاقة مماثلة للواقع " (٢ / ١٦) . والملاحظ أن د. بدوى قد استبدل بكلمة "صلة " كلمة " نسبة " ، مما غمّض المعنى إلى حدّ ما . أما د. المهنا فقد ترجم العبارة ترجمة حرفية ، إذ النص الأصلى يقول : " bear a similar relation to reality ... " ، وبدلا من أن يقول الأستاذ الدكتور : " له علاقة ... " قال : " يحمل علاقة ... " ، وهى عبارة غير مستساغة . وكذلك نراه يقول : " ... علاقة مماثلة للواقع " ، أى أن العلاقة تماثل الواقع . وهذا خطأ شديد ، والصواب هو أن الشاعر القبلى له علاقة بالواقع تشبه علاقة الشاعر الرعوى بذلك الواقع .

328 - السطور الأربعة التالية مأخوذة من " سفر الحكمة " ، أحد أسفار العهد القديم غير المعتمدة عند أهل الكتاب . ولم يلتزم د. الجبورى فقط بهذه السطور التى اقتبسها مرجليوث ، بل بدأ النص قبل هنا بقليل ، وذلك على النحو التالى :

" الكاتب يكتسب الحكمة فى أوان الفراغ

والقليل الاشتغال يحصل عليها

كيف يحصل على الحكمة الذى يمسك المحراث ... إلخ " .

وحديثه فى اولاد الثيران ؟

ومع ذلك ، فيبدو أن رأيه على صواب . ومامن أحد يظن أن فرجيل أو ثيوكريتوس كان راعيا للغنم أو المعز ، فقد كانا فى الواقع رَجُلَىْ علم وثقافة «يتظاهران»[329] بأنهما راعيا غنم ومعز . وقد كان هذا فعلا هو حال أصحاب المعلقات بعد إجراء التعديلات الضرورية : فمن الواضح مثلا أن طَرَفَة بن العبد كان إنسانا متعلما ، إذ كان يعرف الجسور البيزنطية[330] ، والملاحة فى نهر دجلة ، وكذلك فى الخليج الفارسى أو فى البحر الأحمر على الأرجح . وبرغم وفاته قبل الهجرة بسبعين عاما ونَيِّف فقد اقتبس من القرآن عبارة لم يفهم معناها . ففى الآية ٤٤ من سورة « النمل » نجد أن ملكة سبإ لما رأت الصرح حسبته[331] لُجّة [332] وكشفت عن ساقيها ، فشرح سليمان الأمر قائلا إنه «صَرْحٌ مُمَرَّد من قوارير» . وطبيعى أن يظن بعض المسلمين أن معنى « صرح ممرد » : « برج مشيد من زجاج »[333] ، ولكن يبدو واضحا أن المعنى الحقيقى

329 – د. بدوى : " إنهما رجلان مثقفان متعلمان " يحاكون " رعاة الضأن والماعز " (ص / ١٢٨) . ولا أظن هذه الغلطة اللغوية (المتمثلة فى كتابة " يحاكون " بدل " يحاكيان ") إلا سهواً .

330 – د. بدوى : " الجسور البوزنطية " (ص / ١٢٨) .

331 – د. الجبورى : " فهو يأخذ عبارة من القرآن ... عن ملكة سبإ ، متخيلا أنها تخطو فى البركة " (ص / ٨٧). فأنت ترى أنه قد ذكَر " متخيلا " ، ظنا منه ، فيما أرجح ، أن المتخيِّل هو طرفة . والحقيقة أن ملكة سبإ هى التى تخيلت أن القصر لجة فكشفت عن ساقيها . وذلك واضح أشد الوضوح من الآية القرآنية المذكورة فى النص ، فكيف فات د. الجبورى ذلك ؟

332 – a Pool . وقد ترجمتها بـ " لجة " حسبما جاء فى القرآن . ويمكن ترجمتها إلى " بركة " مثلا. أما د. المهنا فقد ترجمها إلى " حوض ماء " (٢ / ١٧) ، ولست أظن هذه الكلمة تعطى المعنى المطلوب على وجه الدقة .

333 – " ولكن سليمان يشرح ذلك بأنه " صرح ممرد " ليس من زجاج " (د. الجبورى / ص ٨٧) . وهنا يخالف النص الانجليزى والنص القرآنى معًا . ولعل المترجم قد ظن أن " out of glass "

« مملس» ، وهو وصف من شأنه أن ينطبق على القصر البلورى المفروض أن سليمان كان يملكه[334]، وليس على أى[335] قصر عادى . ومن ثم فعندما يشبّه طَرَفة فَخِذَىْ ناقته ببابى « مُنيف مُرَّدَ» (سطر ١٠) يكون من الصعب تجاهل الاستنتاج الذى يقول إنه كان يفكر فى الآية القرآنية التى وردت فيها كلمة «ممرد» صفةً للصرح الخاص الذى شيده سليمان . ومعنى هذا إذن أن ثقافته كانت تشمل دراسة القرآن ، الذى لم ينزل إلا بعد مرور نَيِّف وستين عاما على تاريخ موته المفترض[336] . وهذا مِثْل « دنيا » عمرو بن كلثوم ، الذى حُدِّدت وفاته بسنة ٦٠٠م ، والذى يتضح من استعماله لهذه الكلمة أنه كان على علم بالعقيدة القرآنية التى لم يُعلَن عنها إلا بعد وفاته[337] بحوالى اثنى عشر

معناها أنه من خارج الزجاج ، ثم فهم أن المقصود : " من شىء غير الزجاج " !

334 - ترجم د. الجبورى عبارة " Solomon's supposed crystal palace " هكذا : " القصر الذى شيده سليمان " (ص / ٨٧) . وهى ، كما يرى القارئ ، لا توجد فيها عبارة " المفروض أنه" ولا كلمة " الزجاجى " .

أما د. بدوى فقال : " قصر سليمان المفترض أنه من البلور " (ص / ١٢٨). وهذه الترجمة تصحّ لو كانت العبارة الإنجليزية كالآتى :" Solomon's supposedly crystal palace " حيث تكون " supposedly " ظرفا متعلقا بـ " crystal " . أما فى عبارة الأصل فإن كلمة "supposed" إنما تصف " القصر البلورى " ، أى أن المفترض هو القصر كله وليس مجرد كونه من بلور .

335 - سقطت من ترجمة د. بدوى كلمة " أىّ " هذه .

336 - ترجم د. الجبورى هذه الجملة بكلام لا علاقة له بما يقول مرجليوث ، إذ قال : " (إن ثقافة طرفة قبل ذلك الوقت تشمل دراسة القرآن) . وعمل طرفة هذا على أى حال قد أذيع حوالى ستين سنة بعد وفاة طرفة المفترضة " ! (ص / ٨٧) .

337 - د. الجبورى : " الذى أعطيت وفاته على أنها سنة ٦٠٠ م " (ص / ٨٧) ، وهى ترجمة حرفية غير مستساغة .

عاما[338] .

وإذا بدا لنا أن من الأفضل تعليق الحكم فى مسألة بداية الشعر العربى وهل يعود الى الأزمنة السحيقة أو إلى ما بعد مجىء القرآن[339] ، فإن السبب يكمن فى الطابع المحيّر[340] للبرهان الذى بين أيدينا . إننا فى أمان ما تعاملنا مع النصوص . وباستطاعتنا أن نطمئن إلى القرآن فيما يتعلق بوضع العرب الذى نزل عليهم فى عصر النبى . أما بالنسبة لتاريخ الشعر العربى فإن علينا الاستعانة بمتخصصين آخرين يتحدثون عن عصور وأوضاع لم يكن لهم بها أية

---

338 - يقول د. الجبورى : " ولكنه باستعماله هذه الكلمة قد أعرب عن علم مع اعتقاد بالقرآن ، وأول ما ذاع هذا الشعر حوالى اثنى عشر عاما بعد وفاته " (ص / ٨٧) ، وهى ترجمة شنيعة الخطإ . وقوله : " أَعْرَبَ عن علم مع اعتقاد بالقرآن " هو ترجمة حرفية وركيكة لعبارة displays ... " acquaintance with the doctrine of the Qur'an " . لقد فاته أن "acquaintance with " معناها " علم بكذا " لا " علم مع كذا " . كذلك ليس فى النص الإنجليزى ما يمكن أن يترجَم بـ " هذا الشعر " ، وإنما الكلام فى الجملة عن القرآن نفسه ، إذ يقول مرجليوث إن بيت عمرو ابن كلثوم ينبئ عن معرفة به رغم أنه لم ينزل إلا بعد وفاته بنحو اثنى عشر عاما (وليس " عشرين عاما " كما جاء فى ترجمة د. بدوى / ص ١٢٩ . وهى من سهوات الترجمة العجيبة) .

وكما ظن د. الجبورى أن الذى أذيع لأول مرة إنما هو " هذا الشعر " (يقصد شعر عمرو بن كلثوم، مع أنه لم يسبق ذكرٌ لشعر ذلك الشاعر) ، فكذلك ظن د. المهنا أن المقصود هو كلمة "دنيا". إذ يقول : " وأول ما عُرِفت هذه الكلمة كانت بعد وفاته بما يقرب من اثنى عشر عاما " (١٧/٢).

339- لا بأس من أن نزود القارئ هنا بمثال آخر على ركاكة العبارة وعجمة التركيب وغموض المعنى فى ترجمة د. الجبورى . قال : " إذا وعلى سبيل السؤال ، هل عاد نظم الشعر العربى إلى الوراء ، إلى الآثار البالغة فى القدم أو يكون متأخرا بعد القرآن ؟ " (ص / ٨٧) .

340 - د. بدوى : " الطابع المميز " (ص / ١٢٩) . وأرْجَح الظن أن الطابع قد أخطأ قراءة كلمة "محيِّر" وجعلها " مميِّز " ، وذلك لتشابه الكلمتين .

خبرة [341] . وكانت ثقافتهم سببا فى أن يفترضوا كثيرا من الأشياء التى كان لا بد أن تضللهم [342] . وعندما نريد الحكم على رواياتهم فمن الممكن أن يحملنا الشك فيها أبعد مما يجوز ، ولكن من الممكن أيضا أن نطمئن إليها أكثر مما ينبغى .

إبريل ١٩٢٥م

341 – د. الجبورى : " وهى فى أغلب أحوالها تتكلم عن أزمان وأحوال أولئك الذين هم أنفسهم ليس لهم خبرة " (ص / ٨٨) ، وهى ترجمة خاطئة كما هو واضح من المقارنة بينها وبين النص الإنجليزى (أو فى ضوء ما قلتُه أنا فى ترجمتى) ، فضلا عن أن المراد منها غير مفهوم .

342 – د. الجبورى : " وإن ممارستهم وخبرتهم قد جعلتهم يظنون كثيرا وقد ضللهم ذلك " (ص / ٨٨) ، ولا تعليق !

نظرية عجيبة ونتائج أعجب

فى هذه الدراسة التى بين أيدينا يأتى المستشرق البريطانى بشىءٍ عَجَبٍ لم يقل به أحد من قبله لا بين العرب ولا بين المستشرقين ، وهو أن الشعر الجاهلى والإسلامى اختراع متأخر ليس له ظل من الحقيقة ، أى أن مئات القصائد والمقطوعات التى نقرؤها على أنها إنتاج شعرى قاله شعراء ينتمون إلى العصر الجاهلى وإلى صدر الإسلام إنما هى من نظم طائفة من الكذابين الوضاعين فى العصر العباسى كان هِجِّيراهم اختراع شخصيات لم يكن لها وجود ، والبحث لكل منها عن اسم وملامح جسدية ونفسية وعلاقات أسرية واجتماعية وإنسانية خاصة به ، ونَحْله عدة مئات من أبيات الشعر تتميز بسمات أسلوبية وفنية ومضمونية ونفسية لا يشاركه فيها غيره . وهذه الشخصيات بدورها تُعَدّ بالعشرات وربما بالمئات . وهى ، كما ترى ، مهمة تبدو مستحيلة لا تُصَدّق .

وهذه النظرية العجيبة ليس لها إلا معنى واحد ، وهو أن الأمة الإسلامية فى ذلك الوقت كانت كلها أمة من الكذابين أو مزيجا من الكذابين والأغبياء ، وإلا فما معنى أن يُصنَع كل ذلك الشعر المنسوب إلى الجاهلية وصدر الإسلام فى العصر العباسى بعد أن لم يكن لشىء منه وجود من قبل وتتواطأ الأمة كلها فلا ينبس أحد من أفرادها ، حكاما أو محكومين أو علماء أو صناعا أو تجارا أو زراعا أو جنودا أو أعيانا أو فقهاء أو وعاظا ، بما حدث أو ببعضه ولو على سبيل الجمجمة والتلميح البعيد ؟ ما معنى ألا يكون هناك شىء من هذا الشعر أو ذاك إلى أن انصرم جزء من القرن الهجرى الثانى ثم فجأة تنام الأمة

وتصحو فإذا هناك رَجَزٌ وشعر جاهلي وإسلامي ورُجّاز وشعراء جاهليون وإسلاميون ، ومع ذلك كله يرين الصمت على الجميع فلا يؤرق أحدَهم ضميرُه وينطق بشيء يهتك به ستار هذا الصمت الآثم ؟ إن الأمة بهذا الموقف إما أن تكون كلها أمة من الكذابين أو الكذابين والأغبياء المغفلين . فهل هذا معقول ؟ هل هناك أمة ، بالغا ما بلغ انحطاطها الخلقي والعقلي ، يمكن أن تتدهدى إلى هذا الدرك الأسفل الذي تريدنا نظرية مرجليوث أن نصدق أن أمتنا قد انحدرت إليه في تلك العصور ؟ وهل يُعقَل ، لو صح هذا ، أن أحدا لم يتنبه أو يفكر في التنبيه إلى هذا منذ ذلك الحين حتى الآن إلا ذلك الأعجمي البريطاني من دون الناس أجمعين ، عربا ومستشرقين ، وغير هؤلاء وأولئك من العالمين ؟

لقد كانت هناك عقول جبارة كالنظّام وابن المقفع والجاحظ والقاضي عبد الجبار والمعَرّيّ [١] وأبي حيان التوحيدي وإخوان الصفاء ، ونفوس ورعة كأئمة الفقه الأربعة وأئمة الحديث ومفسري القرآن وابن المبارك وابن حزم ، فكيف سكت هؤلاء وهؤلاء ؟ إن المعتزلة وإخوان الصفا مثلا لم يتركوا شيئا إلا وتناولوه بالتقليب والتمحيص غير مراعين لشيء حرمة أو قداسة إلا حرمة الحقيقة وقداسة الوصول إليها ، فلماذا سكتوا في هذه القضية بالذات دون غيرها من القضايا ، وهي ليست بالقضية التي تبعث على التحرج والتأثم كقضية الألوهية والذات والصفات ، والعدل والتوحيد ، وظاهر نصوص الوحي

---

(١) كتب المعرى " رسالة الغفران " ، وفيها كلامٌ كثير عن عدد من شعراء الجاهلية والإسلام وغيرهم واستشهادٌ بأشعار لهم . ولابن شهيد رسالة " التوابع والزوابع " ، وفيها مثل ذلك . ولو كانا يشكان في شعر الجاهلية وصدر الإسلام ما ذكرا شيئا منه ولا أحدا من شعرائه ، ولا عنّيا نفسيهما بدراسة المسائل النقدية واللغوية المتصلة به . بل لقد ذكر المعرى أيضا في رسالته عددا من رواة الشعر القديم (الزائف في رأى مرجليوث) ، كالأصمعي وأبي عبيدة .

وباطنها ، والحقيقة والشريعة ، وغيرها من القضايا التى تعج بها كتبهم ودراساتهم وتشهد بشجاعتهم وتقحمهم ؟

كذلك كان هناك الشعوبيون ، فكيف سكتوا عن هذه الكذبة البلقاء فلم يهتكوا ستر زيفها ويطعنوا العرب بذلك فى الصميم ، إذ يبينون للدنيا جميعا أن تاريخهم القديم كله تقريبا مؤسسٌ على باطل وضلالٌ فى ضلال ؟ إن الشعوبيين لم يكادوا يتركون شيئا يعتزّ به العرب إلا شككوا فيه أو حقروه وجعلوه أضحوكة : ابتداء بطعامهم ، وانتهاءً بأنسابهم وأصلهم البعيد. فلم سكتوا عن هذه المخزاة الكبرى التى ما كان الحديث عنها ليكلفهم نبشا فى ماض أو تعملا فى اصطياد حجة يفلجون بها عليهم ، إذ هى أمر يقع على مرأى ومسمع من الجميع كل يوم ولا يستطيع العرب فيه مكابرة ؟

أكان بشّار مثلا سيسكت عن هذه المخزاة عندما تهكم به أحد الأعراب ، إذ رآه ينشد فى مجلس من المجالس شعره فقال : " ما للموالى وللشعر ؟ " ، فردّ عليه بقصيدة كاوية لم يدع فيها لونا من ألوان التحقير إلا صبّه على رأسه وعلى رؤوس الأعراب من أمثاله ؟ لقد كان المنطقى ، لو كانت دعوى مرجليوث صحيحة ، أن يقول له : بل ما لكم أنتم يا عرب وللشعر ولستم فيه إلا مُحْدَثى نعمة ؟

ثم لقد كان هناك أيضا اليهود والنصارى والمجوس ، وفيهم الكتّاب والشعراء . ترى لِمَ لَمْ يتكلموا ويقولوا إن هذا الشعر المنسوب للجاهلية والإسلام هو شعر صُنِع صُنْعًا بعد عصوره المزعومة بأزمان ولم يكن له قِدَمًا وجود ؟

وفضلا عن ذلك فقد كان لطائفة من شعراء الجاهلية والإسلام أحفاد فى العصر العباسى ، وبعض هؤلاء الأحفاد كانوا شعراء أبناء شعراء ، فكيف لم يحدث أن اعترض أى منهم على ما يقال عن جدودهم إذا كان هؤلاء الجدود مخترعين أو كان الشعر المنسوب إليهم مزيفا منحولا ؟ ومن هؤلاء حفيد زهير ابن أبى سلمى [١]، وحفيد عمرو بن كلثوم [٢]، وحفيد النَّمِر بن تَوْلَب [٣] ، وأولاد وأحفاد النعمان بن بشير ، الذى كان هو وأبوه وعمه وجده شعراء ، وكان هو وأبوه من أصحاب النبى عليه السلام [٤] ، وغيرهم . وبالمناسبة فقد كان حماد الرواية مولى مُكْنِف بن زيد الخيل [٥] ، وزيد الخيل شاعر جاهلى إسلامى كما نعرف .

كذلك ما الذى دفع العرب إلى اختراع الأشعار ونحلها لطائفة من الصحابة إذا كانت آيات القرآن (على الأقل فى الظاهر) قد ذمّت الشعر والشعراء ولم تستثن منهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظُلموا ، ما دامت طائفة من هذه الأشعار غير داخلة فى أبواب الخير ، بالمعنى المباشر على أقل تقدير ، لما فيها من هجاء وغزل ومفاخرة بالأنساب ؟

---

١ - انظر " تجريد الأغانى " / ٢ / ١ / ١٤٨٢ .

٢ - هو العتابى الشاعر المشهور . انظر ابن قتيبة / الشعر والشعراء / ١ / ٢٣٦ ، ٢/٨٦٣ ، وتجريد الأغانى / ٢ / ١ / ١٤٧٠ .

٣ - انظر خبراً عن حماد بن ربيعة بن النمر بن تولب (وكان معاصرا للأصمعى) فى " الشعر والشعراء " / ١ / ٣١٠ .

٤ - انظر فى ذلك كله " تجريد الأغانى " / ٢ / ١ / ١٦٨٣ ، ١٦٨٥ .

٥ - انظر ابن قتيبة / الشعر والشعراء / ١ / ٢٨٦ .

وما الذى جعلهم يخترعون شعراء من اليهود والنصارى فى الجاهلية يحضون على الخير فى أشعارهم ، مضيفين بذلك مجدا تالدا لمن ليسوا بإخوان لهم فى الدين ؟

وما الذى دفعهم إلى تزييف شعر على ألسنة المشركين واليهود فيه تطاول على نبيهم عليه السلام وسبٌّ له ولدينه وأصحابه وتشبيب بالحرائر المسلمات ، كما هو الحال مثلا فى أشعار ابن الزِّبَعْرَى وأبى سفيان بن الحارث وكعب بن زهير قبل إسلامهم ، وكعب بن الأشرف وأمية بن أبى الصلت ، اللذين ماتا كافرين ؟

ولماذا يخترعون شعرا فيه مِساس بأبى بكر رضى الله عنه على ألسنة المرتدين ، كما فى بعض أشعار الحطيئة؟

لماذا يفعلون كل هذا إذا لم يكن للشعر فى حياتهم فى تلك الفترة التى صنعوه لها وجود أصلا ؟ إن هذا لهو العَتَه بعينه !

رواية الشعر الجاهلى والإسلامى

ومن مزاعم مرجليوث العريضة أيضا إنكاره أن يكون للشعر رواة فى الجاهلية أو فى الإسلام . والحق أنه لا أساس لهذه الدعوى ، التى تكذّبها الوقائع التاريخية والشواهد الشعرية التى لن نورد منها شيئا من شعر الجاهلية وصدر الإسلام حتى لا نقع فى المصادرة على المطلوب ، بل ستكون شواهدنا من الشعر الأموى والعباسى .

وأنا فى الحقيقة لا أدرى لم ينكر مرجليوث وجود رواة للشعر فى القديم. لقد كانت الأمية غالبة على العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وكان التسجيل الكتابى محصوراً فى نطاق ضيق ، ومن ثم كان من الطبيعى أن تنشط الذاكرة نشاطا قويا لكثرة الاعتماد عليها . وقد بادر العرب عند مجىء الإسلام إلى حفظ القرآن والحديث ، ولم يجدوا فى ذلك صعوبة . ولا شكّ أن حفظ الشعر العربى أسهل كثيرا بسبب مؤازرة الوزن والقافية للذاكرة فى هذه العملية .

وإن الاختلاف فى رواية الشعر الجاهلى والإسلامى لهو أكبر دليل على الدور الواسع الذى نهضت به الذاكرة فى حفظه ونقله من جيل إلى جيل . ولو كان هذا الشعر قد صُنِع كله فى العصر العباسى كما يريد مرجليوث أن يوهمنا لما وُجِدت فى روايته أو فى نسبته كل هذه الاختلافات ، لأن العصر العباسى كان عصر كتابة وتسجيل بالقلم والورق فى المقام الأول ، فمن الطبيعى أن يسجله مزيفوه كتابةً ، ومن ثم يصعب طروء الاختلاف على روايته .

والآن نضع تحت بصر القارئ الكريم الشواهد الشعرية التالية التى تتحدث عن الرواية فى العصر الأموى والعباسى ، وهى مجرد أمثلة عارضة .

يقول جرير :

وإنى لقوّالٌ لكلّ غريبةٍ وَرودٍ إذا السارى بليلٍ ترنّما
خَرُوجٍ بأفواه الرواة كأنها قَرَى هُنْدُوانى إذا هُزّ صمّما [1]

ويقول الفرزدق :

تغنى يا جرير لغير شىء وقد ذهب القصائد للرواةِ
فكيف تردُّ ما بعُمّان منها وما بجبال مصر مشهّراتِ ؟ [2]

ويقول النابغة الشيبانى الشاعر الأموى :

وأشْوَسَ ذى ضغنٍ تراه كأنه، إذا أنْشَدَتْ يومًا رواتي،مُخَنَّقُ [3]

ويقول ابن ميادة ، وهو من مخضرمى شعراء الدولتين :

قِسْنِي إلى شعراء الناس كلهمو وادعُ الرواة إذا ما غبَّ ما احتلبوا [4]

ويقول مروان بن أبى حفصة الشاعر العباسى " فى قوم من رواة الشعر لا يعلمون ما هو ، على كثرة استكثارهم من روايته " :

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيّدها إلا كعلم الأباعر [5]

---

١ - شرح ديوان جرير / ٥٤٤ .

٢ - " النقائض " لأبى عبيدة / ٦٢ .

٣ - ديوان نابغة بنى شيبان / ٣ .

٤ - تجريد الأغانى / ١ / ١ / ٢٦٧ .

٥ - شعر مروان بن أبى حفصة / ٥٨ .

ويقول المتنبى :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى ... إذا قلتُ شعرا أصبح الدهر منشدا [١]

فإذا كان الشعر فى العصر العباسى ، وهو العصر الذى بلغت فيه الحضارة والثقافة والكتابة عند العرب أوج ازدهارها ، يعتمد ، فيما يعتمد عليه فى الانتشار ، على الرواة (ومثله فى ذلك العصر الأموى)، فما بالنا بالعصر الجاهلى وعصر صدر الإسلام ؟

من هنا يسهل تماما فهم الشغف العظيم الذى كانت قبيلة تَغْلِب تروى به نونية شاعرها عمرو بن كلثوم الجاهلى :

ألا هُبّى بصحنك فاصْبِحينا ... ولا تُبْقى خمور الأندرينا

فى هجاء عمرو بن هند والافتخار بقتله ، حتى قال بعض الشعراء زاريا على تغلب هذا الشغف الذى رآه قد جاوز الحدّ ودخل فى باب السخف :

ألهى بنى تغلبٍ عن كل مكرمةٍ ... قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ

يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرجال لفخر غير مسؤومِ [٢]

هذا ، وقد احتفت كتب الأدب والنقد واللغة بالرواة الذين أخذ عنهم العلماء ما عندهم من شعر ، وقصت علينا أخبارهم وطرائفهم ونوادرهم ، وصورت شخصياتهم ، وذكرت أسماءهم وأنسابهم ، وحدّدت الظروف التى تم

---

١ - ديوان أبى الطيب المتنبى / ٣٦١ .

٢ - انظر ابن قتيبة / الشعر والشعراء /١/ ٢٣٤-٢٣٦ .

الأخذ فيها عنهم . وقد كانت عملية الأخذ هذه تتم تحت سمع الناس وبصرهم . فكيف يجوز لمرجليوث أن يشكك فى ذلك كله بمثل هذا الاستخفاف غير العلمى ؟

معنى "الشعر" فى القرآن

ولنفترض جدلا أننا سايرنا مرجليوث فى نظريته العجيبة ، فماذا يا ترى نحن فاعلون فى النصوص القرآنية المتعددة التى تتحدث عن وجود الشعر والشعراء فى عصر النبى عليه السلام وقبله ؟ إن مرجليوث يفاجئنا هنا بشىء لم يكن ليخطر على بال أحد . ألا وهو أن الشعر الذى يتحدث عنه القرآن ليس هو الشعر الذى نعرفه الآن ، بل هو مجرد نبوءات وأقاويل عرافين تتسم بالغموض وتخلو مما يعرف الآن بالوزن والقافية . وهو ، كما ترى ، كلام أشبه بسمادير السكارى . لماذا ؟

أولا : لأن الآيات التى تتحدث عن هذا الموضوع لا تقبل هذا التفسير الذى لم يرد ، فضلا عن ذلك ، فى أى من كتب التفسير أو اللُّغة أو غيرها ولا يمكن أن يكون كل المفسرين واللغويين والمؤلفين العرب قد تواطأوا على التضليل أو أنهم كانوا جميعا جهلاء لا يعرفون هذا الذى عرفه مرجليوث من دون البشر أجمعين .

وإن آيات سورة " الشعراء " وحدها لكفيلة بنسف هذا الشطط المرجليوثى نسفا ، فهى بعد أن ذمت الشعراء المبطلين عادت فاستثنت من حكمها عليهم الشعراء" الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظُلِموا " . فهل يا ترى نفهم من هذا أن القرآن يقبل أن يكون المؤمن عرافا ؟ وكيف تجتمع العرافة مع الإيمان والعمل الصالح ؟ إن الإسلام قد حارب الكهانة والعرافة محاربة عنيفة وحمل على من يدّعون علم الغيب حملة شعواء ، وكل هذا يهدم دعوى مرجليوث هدما ! ثم ما معنى انتصار العرافين

من بعد ما ظُلِموا ؟ أما تفسير الايات على أن المقصودين بالذم هم شعراء المشركين الذين كانوا يشتمون النبى والمسلمين ، وأن المقصودين بالاستثناء هم حسان وكعب وابن رواحة ، الذين كانوا يناضلون عن دينهم ونبيهم عدوان أولئك الشعراء ، فهو وحده التفسير المستقيم .

ثانيا : أتحدى أى إنسان أن يأتى لنا بشاهد من أى مجال على أن الشعر كان يعنى عند العرب فى أى وقت هذا الذى يقوله مرجليوث . وفضلا عن ذلك فقد كان " العرافون " معروفين للعرب بهذا الاسم ، فلماذا يترك القرآن الكريم هذه التسمية الشائعة ويسميهم تسمية أخرى لا يستخدمها أحد ؟ ألا إن هذا لَلغزٌ محيّر ليس له من حل ! ثم كيف فات الذين اخترعوا الشعر الجاهلى والإسلامى (حسب نظرية مرجليوث) أن يستعملوا كلمتى " الشعر " و"الشعراء" فى شىء من هذه الأشعار المنحولة بهذا المعنى الذى يدعيه ذلك المستشرق ؟ إن بين أيدينا مئات المقطوعات والقصائد التى يتهمها مرجليوث بأنها موضوعة وضعا ، وأتحدى أى إنسان أن يدلنا منها على شاهد واحد وردت فيه كلمة " شعر " بهذه الدلالة .

وثالثا : ها هى ذى الأحاديث النبوية ، وفى كثير منها كلام عن الشعر والشعراء ، وكلها بالمعنى الذى نعرفه .

ورابعا : لو كان الشعر فى القرآن معناه العرافة والتنبؤ بالغيب فمعنى ذلك أن الشعر المذموم فى القرآن ليس هو الشعر الذى نعرفه ، فلماذا لم يحدث أن نحل وُضّاع الشعر فى العصر العباسى بعضًا منه للنبى عليه الصلاة والسلام؟ إن قوله عليه السلام للشعر فى هذه الحالة لن يصادم آية

سورة " يس " التى يقول المولى سبحانه فيها : " وما علّمناه الشعر وما ينبغى له " ، لأن الشعر الذى لم يُعَلّمه الرسولُ ليس هو الشعر المعروف بل العرافة والكهانة وادعاء الاطلاع على الغيب .

أما استغراب مرجليوث أن محمدا ، الذى لم يكن يعرف شيئا عن فن الشعر (كما يقول) ، كان يعى أن نصوص الوحى الذى ينزل عليه لم تكن شعرا ، على حين أن المكيين ، الذين كانوا فيما يبدو يعرفون الشعر عند سماعهم أو رؤيتهم له ، يظنون أنها كذلك ، فهو استغراب لا معنى له . ذلك أن القرآن لم يقل إن الرسول عليه السلام كان لا يستطيع أن يتعرف على الشعر إذا ما سمعه ، بل قال إن الله لم يعلّمه هذا الفن الأدبى ، وهذا غير ذاك . إننى مثلا أشتغل بالبحث الأدبى ، ولم يعلمنى الله ولا علمنى أهلى النجارة مثلا أو الحدادة أو البناء أو صناعة التماثيل أو الرسم أو الفلاحة ... إلخ ، ورغم ذلك فإننى أستطيع بكل سهولة أن أتعرف على أعمال النجارة والحدادة ولوحات الرسم والبيوت والعمارات والتماثيل والحقول والنباتات حين أراها . ولو أن كل إنسان لم يتعرف من الأشياء إلا على ما تعلّمه لاستحالت الحياة تماما . أمّا اتهام الكفار للرسول بأنه شاعر فهو لجاج وعناد ليس إلاّ . وهذا مشاهد فى كل عصر وبيئة ، إذ ما أكثر الذين يتهمون خصومهم بما يعلمون هم قبل غيرهم أنه غير صحيح . ولو أن المشركين كانوا صادقين فى دعواهم بأن القرآن ليس إلا شعرا من الشعر ، فلماذا عادَوْا النبى وقرآنه كل ذلك العداء المسعور ؟ لقد كانت الجزيرة ممتلئة بالشعراء ، ولم يحدث أن وقف العرب من أحد منهم هذا الموقف الذى وقفته قريش ومَنْ حولها من النبى عليه السلام .

فلم انكسرت القاعدة فى حالة النبى وحده ؟ لمه ؟ هذا هو السؤال ! وهو مثل اتهامهم له بالكهانة . فقد كان الكهان موجودين فى كل مكان فى أرجاء الجزيرة العربية ، وكان العرب يقصدونهم طلبا للنصح والإرشاد ، ولم يحدث أن عادَوْهم أو آذَوْهم أو تآمروا على قتلهم أو فكروا فى محاربتهم . فلم شذ الأمر فى حالة النبى وحده ؟ لمه ؟

ويعتمد مرجليوث ، فى محاولة الإيهام بأنه لم يكن هناك شعر فى الجاهلية وصدر الإسلام ، على أن العرب لم يكونوا يعرفون آنئذ الموسيقى ، فكيف عرفوا قبل ذلك الأوزان والقوافى بهذا الاطراد والاتساع الموجودَيْن فى الشعر الجاهلى والإسلامى ؟ ودليله على ذلك هو قوله إن القرآن يخلو تماما من الإشارة إلى الموسيقى والغناء . والواقع أنه دليل عجيب : فلنفترض أن القرآن فعلا يخلو من الإشارة إلى ذلك ، فهل ينهض هذا برهانا على أن العرب لم يكونوا يعرفون فن الموسيقى والغناء ؟ إن الأمم البدائية فى مجاهل إفريقيا مثلا تعرف دق الطبول والتصفيق بالأكف وضرب الأرجل فى الأرض والصفير بالفم ، وهذا كله موسيقى . أفيصحّ إذن أن يقال إن العرب ، وقد كانوا بالقطع أرقى من الأمم المذكورة بمراحل شاسعة ، كانوا يجهلون الغناء والموسيقى ؟ إنه ما من أمة من الأمم إلا وعندها موسيقى وغناء . فلماذا يشذ العرب عن سائر البشر ؟

على أن القرآن لا يخلو فى الحقيقة من الإشارة إلى الموسيقى : ففيه أن صلاة المشركين عند البيت الحرام لم تكن " إلا مُكَاءً وتَصْدِيَة " [١] ، أى صفيرا

١- الأنفال/ ٣٥ .

وتصفيقا . وفيه أيضا حكاية لما وقع ذات جمعة من بعض المسلمين الذين كانوا ينصتون لخطبة الرسول عليه السلام فسمعوا طبولا ومزامير كانت تصاحب إحدى القوافل التجارية العائدة من رحلتها ، فكان أن تركوا المسجد وانصرفوا لاستقبال التجار العائدين . والآية التى تحكى ذلك موجودة فى آخر سورة "الجمعة" ، وهى تسمى الطبل والزمر " لهواً " [١] . وفيه كذلك ذكر لـ "تأويب" داود عليه السلام ، الذى كانت تشاركه فيه الطيور والجبال [٢] . وقد كان الوحى الذى نزل على داود هو " الزبور " ، الذى يتمحل مرجليوث الشبهات تمحلا ليوهمنا أن معناه فى القرآن هو " الكتاب " فقط . فإذا لم يكن فى "تأويب" داود توقيع وتنغيم ، فلماذا كانت تشاركه الطيور تأويبه ؟ إن أصوات الطيور هى النغم بعينه ، ولا يُعْقَل أن الطيور كانت تشاركه مجرد القراءة من " كتاب " !

وفى الأحاديث النبوية الصحيحة ذكر متكرر للغناء والموسيقى . بل إن الرسول عليه السلام قد رخّص باللهو والضرب بالدّفّ فى الأعراس والأعياد كما هو معروف . كما كانت العرب تعرف الحُداء منذ القديم ، وهو لون من ألوان الغناء .

وفى الشعر الجاهلى إشارات كثيرة للموسيقى والقيان المغنيات تغلب البساطة والسذاجة عليها ، مما يدل على صدقها . ولو كان هذا الشعر كله من صنع العصر العباسى ، كما يزعم مرجليوث ، لجاء الغناء والموسيقى فيه أرقى

---

١ - الجمعة / ١١ .

٢ - [illegible]أ / ١[illegible]

من ذلك كثيرا ، لأن واضعيه كانوا سيصورون هذا الفن كما يعرفونه ، أو لضربوا صفحا عن الإشارة إليه في ذلك الشعر مادام معروفا أن العرب فى جاهليتهم وفى أوائل الإسلام كانوا يجهلون هذا الفن . ويستطيع من يريد أن يرجع مثلا إلى كتاب " الملاهى وأسمائها من قِبَل الموسيقى " للمفضل بن سلمة النحوى (ت ٢٩٠ هـ) ، وسوف يجد فيه شواهد من الشعر الجاهلى على معرفة العرب بهذا الفنّ . كما أن ابن خردازبه ، وهو فارسى الأصل ، وكان فوق ذلك مجوسيا ثم أسلم (ت ٢٩١ هـ) ، قد وضع كتابا فى " اللهو والملاهى " أكد فيه معرفة العرب للغناء منذ جاهليتهم الأولى وأخذهم بعض الآلات الموسيقية عن الفرس قبل الإسلام بزمن طويل [١] . وقد نصصتُ على أنه كان فارسيا وأنه كان مجوسيا ثم أسلم ، لكى يتبين للقارئ أنه لم يكن هناك ما يدفعه إلى أن يحابى العرب أو أن يضيف إلى معارفهم فى الجاهلية ما كانوا يجهلونه .

---

١ - صدر الكتابان عن الهيئة المصرية العامة للكتاب فى مجلد واحد عام ١٩٨٤م بعنوان " كتاب الملاهى وأسمائها من قبل الموسيقى " بتحقيق غطاس عبد الملك خشبة .

مسألة اللهجات

ويقف مرجليوث عند اختلاف اللهجات بين القبائل العربية فى الجاهلية وكذلك بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، متصورا أن ذلك يمكن أن يقوم دليلا على زيف الشعر الجاهلى ، إذ يسأل عن السر فى أن ذلك الشعر قد صُبَّ فى قالب لغوى واحدٍ لا ينبئ عن وجود اختلافات لَهْجية .

ونحن بدورنا نجيب فنقول إنه هو نفس السر فى وجود أدب عربى واحد من المحيط إلى الخليج الآن مكتوب بنفس اللغة رغم اختلاف اللهجات بين كلّ شعب عربى وآخر ، بل بين كل منطقة وأخرى ، بل أحيانا بين القرية والقرية المجاورة لها كما هو الحال مثلا بين قريتنا كتامة الغابة وقرية شِفا ، اللتين تكادان أن تكونا بلدة واحدة بسبب امتداد العمران [1] . لا بل إن الأمر الآن لهو أشد وأعقد ، إذ كان العرب فى الجاهلية شعبًا واحدًا ، ولم تكن هناك فواصل بين منطقة وأخرى كما هو الحال الآن بين الشعوب العربية ، التى أصبح لكل منها منذ وقت طويل حدوده الدولية وجنسيته وحكومته وعَلَمه ونشيده وقوانينه التى تختلف عن مثيلاتها لدى الشعوب العربية الأخرى .

ليس ذلك فقط ، فإن كثيرا من علماء الدين الشيعة فى إيران يؤلفون بالعربية برغم الاختلاف الحاد بينهم وبين العرب فى الجنسية والمذهب الدينى ، كذلك فإن عددا من علماء الدين الباكستانيين يكتبون مؤلفاتهم بلسان الضاد ، كأبى الحسن الندوى مثلا ، وهم أبعد من نظرائهم الإيرانيين عن العرب ولغتهم،

١- تبلغ حدة الاختلاف فى اللهجات المحلية بين قطر عربىّ وآخر فى بعض الأحيان درجة هائلة ، حتى ليصعب التفاهم بين طرفى الحديث فى لقاءاتهما الأولى صعوبة مزعجة .

فماذا يقول مرجليوث فى هذا ؟ أم تراه سينكر ضوء الشمس الباهر فى رائعة النهار ؟

كذلك فمن المعروف أن لعدد كبير جدا من العرب المحدثين إبداعات ومؤلفات بالإنجليزية والفرنسية رغم أنهم ليسوا إنجليزا ولا فرنسيين . ومن هؤلاء جبران خليل جبران وفيليب حِتّى وجورج حنين وجويس منصور ومحمد مصطفى بدوى وعفاف لطفى السيد ووليد فرعون ومحمد ديب وقاسم أمين . فهل علينا أن نكابر هنا أيضا وننكر هذا الواقع الذى يفقأ عيون المكابرين ؟

هذا ، ولا يزال يوجد فى بعض الدول العربية الآن أقليات تتحدث كل منها فيما بينها بلغة خاصة بها تختلف تماما عن اللغة الرسمية للدولة التى تعيش فى ظلالها ، كأهل النوبة فى مصر ، والأكراد فى العراق ، والبربر فى الجزائر . ومع ذلك فإن مثقفيهم يبدعون أدبهم ويكتبون أبحاثهم باللغة العربية. فماذا يقول مرجليوث فى هذا أيضا ؟

ولقد كان عرب الشمال وعرب الجنوب فى الجاهلية يختلطون ببعضهم البعض فى التجارة والحجّ والمصاهرة والحروب ، ولم نسمع أنهم كانوا يحتاجون إلى من يترجم بينهم .

ثم جاء الإسلام وقامت له دولة فى المدينة ودخل كثير من أهل اليمن وعمان فيه ، ومع ذلك لم تُسجَّل ولو حادثة واحدة يُفْهَم منها بأى وضع من الأوضاع أنهم قد صادفتهم عقبة فى فهم القرآن أو قامت بينهم وبين الرسول عليه السلام أو رسله وعمّاله إليهم أو مسلمى عرب الشمال بعامة أية مشكلة

من مشاكل التفاهم اللغوى . ويكفينا أن نشير فى هذا الصدد إلى الوفود اليمنية التى زارت المدينة كغيرها من وفود الجزيرة فى العام التاسع للهجرة (عام الوفود) ، وهذا كله مسجَّل فى كتب التاريخ والسيرة والحديث . وكان بعض الأفراد من كل وفد يقومون بين يدى النبى وصحابته خاطبين أو منشدين شعرهم . وإنى لأتحدى أى إنسان أن يأتى لنا بخبر من الأخبار يشير إلى أنه كان بين وفود اليمن وبين المسلمين فى المدينة أى حاجز لغوى .

ثم إن بعض أهل اليمن قد ارتد عن الإسلام بعد انتقال النبى ﷺ . وكان أكبر زعمائهم فى ذلك هو الأسود العنسى ، الذى فصّلت كتب التاريخ أخباره وأخبار الحروب التى دارت بينه وبين من بَقُوا على دينهم من أهل بلده ومن أهل الشمال معًا ، وكيف أن طائفة من هؤلاء وأولئك قد وضعوا خطة لقتله والتخلص من طغيانه واستبداده وعدوانه الغاشم على الأرواح والأعراض. ولم نسمع قطُّ أنه كانت هناك أية مشاكل لغوية : لا بين المتحاربين بعضهم وبعض من جانب ، ولا بين المسلمين اليمنيين والشماليين من جانب آخر .

ثم إن معظم شعراء الجاهلية ذوى الأصول اليمنية إنما كانوا يعيشون فى الشمال ، الذى كان أسلافهم قد هاجروا إليه منذ زمن بعيد . فحتى لو كانت لغة الجنوب تختلف هذا الاختلاف الجذرى الذى يصوره مرجليوث ، لقد كان هؤلاء الشعراء يعرفون لغة أهل الشمال بحكم العيش وسطهم كل هذا الوقت الطويل . وإذن فلا مشكلة .

ولقد كان بين الشعراء العرب فى العصر العباسى ، وهو العصر الذى

يزعم مرجليوث أنه قد صُنِع فيه الشعر الجاهلى صُنْعا ، شعراء كبار ذوو أصول يمنية كالسيد الحميرى ودِعْبِل وأبى الشِّيص وأبى تمام والبحترى والمتنبى . فكيف سكت هؤلاء وأمثالهم فلم ينبس أحد منهم بكلمة واحدة عن هذا ولو فى ساعة سهو أو فى فلتة من فلتات اللسان ؟ إن هذا ، وايْمِ الله ، لغريب أشد الغرابة !

وعلى أية حال فإن الشعر الجاهلى لا يخلو من شواهد الاختلافات اللهجية بين القبائل . وقد تكفلت كتب النحو القديمة بحفظ هذه الشواهد ، التى نجدها أيضا فى شعر صدر الإسلام والعصر الأموى ، بل والعصر العباسى أيضا ، كما هو الأمر فى حالة المتنبى شاعر العربية الكبير ، الذى كان حريصًا على ترصيع شعره بهذه الأشياء رغبة فى التفرد ولفت الأنظار وإدلالا بمعرفته بغريب اللهجات والاستعمالات . وذلك أمر لا أظننى بحاجة إلى إفاضة القول فيه ، فهو من الشهرة بمكان . وهو ما نجده الآن أيضا فى إبداعات الشعراء والقصاصين العرب أحيانا ، إذ قد تقابلنا هنا أو هناك لفظة أو صورة أو تركيب مما يميز لهجة شعب عربى عن آخر .

وعلى أية حال فقد حسم القرآن الكريم هذه القضية ، إذ تكرَّر فى الوحى المكىّ منذ فترة مبكرة أنه نزل « بلسان عربى مبين » ، وهو ما يعنى بلا أدنى شكّ أو جدال أنه كانت للعرب في الجاهلية لغة قومية تعلو فوق اللهجات المختلفة ، وإلا لقال القرآن إنه جاء بلسان قرشى أو مكّى ، أو حجازى على أوسع تقدير . وهذا دليل لا يستطيع أحد نقضه بأى حال .

الوثنية فى الشعر الجاهلى

ويدّعى مرجليوث فيما يدعيه أن الجاهليين يَظْهرون فى شعرهم وكأنهم مسلمون موحدون ، وهذا مخالف للواقع ، إذ كانوا مشركين وثنيين .

والحق أن فى الشعر الجاهلى نصوصًا غير قليلة تتحدث عن الأصنام وبيوتها وكُهّانها ، وكذلك عن الرهبان والتماثيل والكنائس والأعياد النصرانية والصلبان والنواقيس ، إلى جانب كلامه عن الكعبة والحج والهَدْى والقَسَم بالله أيضا . وليس فى هذا أدنى غرابة ، فالجاهليون رغم وثنيتهم كانوا يؤمنون بإله فوق جميع الآلهة هو الله سبحانه وتعالى . وهذا ما تؤكده النصوص القرآنية الكثيرة التى لا يمارى فى صدق تصويرها للواقع التاريخى مرجليوث أو غير مرجليوث .

وفوق ذلك فهناك أشعار كثيرة تصور الحروب التى كانت بين الإسلام والوثنية فى عصر الرسول عليه السلام ثم بينه وبين النصرانية والمجوسية بعد ذلك . ترى ماذا يفعل مرجليوث مع هذا اللون من الأشعار التى تهدم ما قاله من أساسه ؟

ومن يُرِد أن يطّلع على الأشعار الجاهلية التى تذكر الأصنام وبيوتها وكهانها وما يتعلق بذلك يمكنه أن يرجع إلى كتاب " الأصنام " لابن الكلبى مثلا . وقد ذكر مرجليوث نفسه أن المرزبانى قد وضع كتابا هائلا خصصه للشعراء الجاهليين ودياناتهم ونِحَلهم . أما أشعار المعارك التى كانت بين الإسلام والوثنية ، وكذلك أشعار الفتوح الإسلامية التى تصور الصراع بين

المسلمين وبين الروم النصارى ، وكذلك بين المسلمين وبين الفرس المجوس ، فمن المستطاع مطالعة كثير منها فى كتب المغازى والتاريخ .

هذا فى القديم ، أما فى العصر الحديث فنرشح للقراءة فى هذا المجال المجلد الضخم الذى خصصه د. جواد على من كتابه المشهور فى تاريخ العرب لأديان الجاهليين وأصنامهم وكُهّانهم وبيوت عبادتهم ومعتقداتهم ، وكذلك كتاب د. أحمد الحوفى " صورة الحياة العربية فى الشعر الجاهلى " ، الذى يشتمل على فصل كبير عن نفس الموضوع ، إلى جانب كتاب " Religious Trends in Pre - Islamic Arabic Poetry " لحافظ غلام مصطفى . وللدكتور النعمان القاضى دراسة مهمة عن شعر الفتوح الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين .

أما ما ادعاه مرجليوث تهكما من أن الشعر الجاهلى يدل على أن أصحابه كانوا مسلمين لا يعرفون إلا التوحيد ، فإننا لا ننكر أن هناك أشعاراً نُحِلت للجاهليين تصور المعتقدات الإسلامية . ولكن هذا لا ينبغى أن ينسينا أن بعض الجاهليين كانوا موحدين فعلا ، ومنهم الطائفة المسماة بـ " الحنفاء " فضلا عن أن الوثنيين أنفسهم ، كما هو معروف ، كانوا يؤمنون بالله سبحانه ، فإذا سئلوا عن الأوثان أجابوا : " ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلْفَى " كما جاء فى القرآن الكريم ، الذى لا يشك مرجليوث أو غيره ، ولا يستطيعون أن يشكوا ، فى أنه ينقل الحقائق التاريخية كما وقعت .

كما أننا لا نستبعد أيضا أن يكون قد سقط من الذاكرة العربية ، فيما

سقط من شعر الجاهلية ، بعض الأشعار الوثنية ، أو يكون الرواة المسلمون قد حذفوا بعضا اخر من هذه الأشعار [١] . لكن هذا شيء ، والقنز إلى أن الشعر الجاهلي كله مصنوع شيء آخر ، إذ إن عدم اشتمال الشعر الذى وصلنا عن الجاهلية على جانب من جوانب حياة تلك الفترة ، أو بالأحرى عدم إبرازه هذا الجانب إبرازا شديد الوضوح ، لا يدل بالضرورة على أن هذا الشعر برمته سنحول ، لأن هذا شىء وذاك .

على أننى أحب أن أنبه إلى أن تهكم المستشرق البريطانى بما فى أشعار عنترة من معانٍ إسلامية لا يمكن تفسير ورودها فى شعر جاهلى إنما يصيب مرجليوث قبل غيره . ذلك أن هذه الأشعار لم يقل بجاهليتها ولا بنسبتها إلى عنترة أحد من العلماء والرواة الذين يظن مرجليوث أنهم قد وضعوها فى العصر العباسى ، إذ إنها قد وُضِعت بعد ذلك بأزمان ، ابتداءً من عصر العزيز بالله الفاطمى من قِبَل مؤلفى سيرة عنترة . وأحيل القارئ هنا إلى الفصل الذى عقدته لذلك فى كتابى " عنترة بن شداد - قضايا إنسانية وفنية " . ومثل هذه المسألة لا يمكن أن تفوت باحثا محترما .

---

١ - هناك أيضا من الكتاب الذين تناولوا هذه المسألة فى عصرنا من يرى أن الكلام عن الدين (بالمعنى الذى يقصده مرجليوث) ليس من الموضوعات التى يتسع لها صدر الشعر كثيرا . ومن هنا لا يوجد فى الشعر الجاهلى كلام مستفيض عن أديان العرب فى الجاهلية .

أسئلة لا إجابة لها

وهناك عدد من الأسئلة يثور في الذهن ولا تمكن الإجابه عنه لو صحت نظرية مرجليوث . ومن هذه الأسئلة : كيف أخلى أولئك الوُضّاع المفترَضون الشعرَ الجاهلي من التغزل بالمذكر مثلا ، وقد كان هذا الفن شائعا في العصر العباسي شيوعا كبيرا ؟ لقد كان الجاهليون بوجه عام يسرفون في شرب الخمر ويتمدحون به ويلعب الميسر وتفريق ما يكسبونه منه على المحتاجين ، كما كانوا يعكفون على الأصنام . وكان كثير منهم لا يجد في الزنا معابة ... إلخ . وهذا أمر طبيعي ، فالقوم لم يكن لهم كتاب سماوي ولا كان بين ظَهْرانَيْهم نبي يدعوهم باسم السماء إلى التوحيد ومكارم الأخلاق. وقد انعكس هذا كله في شعرهم على نحو أو على آخر ، فكيف أعفاهم أولئك الوضاعون المتوهَّمون من أن تكون فيهم فاحشة اللواط وأن يكون بين شعرائهم من يصور هذه الفاحشة على نحو ما فعل بعض الشعراء العباسيين المعاصرين لأولئك الوضاعين المزيِّفين ؟ أيكون رأيهم في أولئك الوثنيين المتخلفين عنهم بأشواطٍ أفضلَ من الحال التي يرونها حولهم ؟ أيكون هؤلاء الجاهليون الذين لم يكونوا يتبعون دينًا سماويا أعز عليهم من أنفسهم حتى يَسْمُوا بهم عن تلك القاذورة التي كانت تلطخ قطاعا من مجتمعهم هم ، وهو مجتمع يعلن إيمانه بالإسلام وتمسكه بالقرآن ، الذي يجرّم هذه الفاحشة تجريما قطيعا ؟

وبالمثل فإن الشعر الجاهلي يخلو تماما من ذكر السوءات والعورات

والأستاه والأدبار والأيور والفروج [١] ، التى يعج بها الشعر العباسى .

وما قلناه عن شعر الغلمان والسوءات ينطبق إلى حد كبير على فن المديح، الذى كان شائعا فى العصر العباسى ، عصر تزييف الشعر الجاهلى عند مرجليوث ، وكان وجوده مع ذلك شاحبا لدرجة تقترب من العدم فى الشعر الجاهلى . فكيف نفسر ذلك أيضا ؟

وإذا كان الشعر الجاهلى مصنوعا كله صنعا فى العصر العباسى، فكيف ضيع علماء ذلك العصر وقتهم وجهدهم فى دراسته لتمييز الصحيح منه عن المنحول ، وهم الذين كانوا يعرفون أنه مزيف موضوع ؟ إن هذا ، لو صحت نظرية مرجليوث ، هو العبث والسفه والضلال بعينه . وقوم على هذا الشاكلة لا يمكن أن يكون مكانهم إلا فى مستشفيات المجانين ! فهل كان المسلمون والعرب فى العصر العباسى من البلاهة وسخف العقل إلى هذا الحد ؟

وإذا كان الشعر الجاهلى كله منحولا ، فكيف سوّلت عقول العلماء فى نفس العصر الذى نُحِل فيه هذا الشعر لهم أن يصنفوه صنفين : صنفًا يمكن الاستشهاد به فى اللغة والنحو لأن أصحابه كانوا بعيدين عن المراكز الحضارية والاتصال من ثَمّ بالأعاجم ، وصنفًا لا يمكن الاستشهاد به لانخرام هذا الشرط فيمن نظموه ؟ إن هذه مثل الطامّة السابقة أو أطمّ منها !

ليس هذا فقط ، فقد رأيناهم يقفون بالشعر الذى يمكن الاستشهاد به عند أواخر القرن الثالث ، وهذا يشمل الشعر الجاهلى والإسلامى والأموى وبدايات

---

١ - اللهم إلا أبيات النابغة (أو الأبيات المنسوبة إليه) فى وصف المتجردة ، إذ وقفت قليلا عند عضو

الشعر العباسى . ولما كان الشعر الجاهلى والإسلامى مصنوعا طبقا لقول مرجليوث فمعنى ذلك أنهم يقبلون الاستشهاد بالشعر الذى يعلمون أنه شعر قد زيّفه نفر من معاصريهم لم يكونوا من أعلام الشعر آنذاك ، وفى ذات الوقت يرفضون الاستشهاد بشعر الأعلام كلهم تقريبا . فهل هذا مما يستسيغه العقل أو مما يصدر عن العقلاء ؟

ثم لو كان الشعر الجاهلى صناعة عباسية فلم كان كل هذا الاختلاف فى فهم كثير من ألفاظه وتعبيراته وصوره ؟ لقد كان المفروض حينئذ ألا يصعب على علماء ذلك العصر تفسير شىء منه ما دام واضعوه ناسًا من معاصريهم، بالضبط مثلما لم يشكّل شعر بشار ومسلم وأبى العتاهية وأبى نواس وابن الرومى وأمثالهم من الشعراء العباسيين صعوبة لأولئك العلماء .

كذلك إذا كان الشعر الجاهلى والإسلامى مزيفا موضوعًا ، فلم عنّى أنفسَهم العلماءُ فى العصر الذى زُيِّف فيه ، وهو العصر العباسى ، فى تقويم ذلك الشعر وترتيب أصحابه المخترَعين الموهومين طبقات طبقات وألفوا فى ذلك الكتب ؟ ولم أرهقوا أنفسهم فى النص على أسبقية كل منهم فى هذه العبارة أو تلك الصورة أو هذا المنحى ، فقالوا مثلا إن امرأ القيس هو أول من بكى فى الدِّمَن ، وأول من شبَّه الخيل بالعصا واللِّقْوة والسباع والظباء والطير ، وأول من قيّد الأوابد ، وأول من شبه شيئين بشيئين فى بيت واحد فأحسن التشبيه[1] ، وإن طَرَفة بن العبد هو أول من ذَكَر الأُدْرة (وهى تضخم الخصية) فى

---

١ - الشعر والشعراء / ١ / ١٢٨ ، ١٣٣ .

شعره[١] ، وأول من طرد الخيال[٢] ، وإن أوس بن حجر ينفرد من بين الجاهليين بجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية فى بيت واحد[٣] ، وإن عدى بن زيد أول من شبه أباريق الخمر بالظباء[٤] ، وإن نُعَّات الخيل المجيدين من شعراء العرب ثلاثة هم أبو دُؤاد الإيادى وطُفَيْل الغَنَوى والنابغة الجعدى[٥] ، وإن لَبيد بن ربيعة العامرى هو أول من شبه الأباريق بالبط[٦] ، وإن الشَّمَّاخ (وهو من الشعراء المخضرمين) من أوصف الشعراء للقوس والحُمُر الوحشية[٧] ، وإن ابن أحمر الباهلى (وهو مخضرم أيضا كالشماخ) قد أتى فى شعره بأربعة ألفاظ لا تُعْرَف فى كلام العرب ، وهى " ماموسة " (للنار) و " بابوس " (أى حُوار الناقة) و " بَنَّس " (بمعنى " تأخَّر ") و " الأرْنَة " (وهو ما لُفَّ على الرأس) ، وإنه أكثر بيتِ شعرٍ آفاتٍ[٨]، وإن يزيد بن خذّاق أول من ذم الدنيا فى شعره[٩] ، وإن ابن مُقْبِل (وهو من المخضرمين كذلك) من أوصف العرب لقِدْحٍ حتى قيل : " قِدْح ابن مُقْبِل "[١٠] ... إلخ ؟

١- المرجع السابق / ١ / ١٩٥ .

٢ - السابق / ١ / ١٩٦ .

٣- السابق / ١ / ٢٠٦ .

٤- السابق / ١ / ٢٣٠ .

٥- السابق / ١ / ٢٣٨ .

٦- السابق / ١ / ٢٨٤ .

٧- السابق / ١ / ٣١٦ .

٨- السابق / ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨ .

٩- السابق / ١ / ٣٨٦ .

١٠- السابق / ١ / ٤٥٧ .

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل ذهب هؤلاء العلماء إلى رصد ما أخذه الشعراء الأمويون والعباسيون من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام ، أى اتهام شعراء حقيقيين بالأخذ ، بل وبالسرقة ، من شعراء لم يكن لهم وجود. ومن ذلك نصُّهم على أخذ كُثَيِّر والطِرِمّاح وذى الرُّمّة بعض معانى زهير[١] ، وأخذ الكميت من المرقِّش معنى من معانيه[٢] ، واستيحاء الطِّرماح إحدى صور لبيد الشعرية [٣] ، وأخذ ابن أبى ربيعة وابن مُقْبِل وذى الرمة والطِرِمّاح صورةً من صور المثقب العبدى [٤] ، وسرقة الكميت بن زيد أبياتا من امرئ القيس بن عابس الكندى (وكانت له صحبة) [٥] ، وأخذ مروان بن أبى حفصة (الشاعر العباسى) معنى لأحد موالى تمام بن العباس بن عبد المطلب[٦] ، وأخذ الخُرَيْمى (وهو شاعر عباسى أيضا) أحد معانيه من عبد الله ابن العباس [٧] ، ونسج علىّ بن جَبَلة (وهو من الشعراء العباسيين أيضا) على منوال بيت للأسعر الجُعْفى [٨] . ونفس الشىء فعله أشجع السّلمى (الشاعر العباسى) مع بيت للخنساء [٩] .

١- السابق / ١ / ١١١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

٢- السابق / ١ / ٢١٣ .

٣- السابق / ١ / ٢٨١ .

٤- السابق / ١ / ٣٩٦ - ٣٩٨ .

٥- السابق / ٢ / ٥٨١ .

٦- السابق / ٢ / ٧٦٤ - ٧٦٥ .

٧- السابق / ٢ / ٨٥٤ .

٨- السابق / ٢ / ٨٦٧ .

٩- السابق / ٢ / ٨٨٥ .

كذلك كيف ذهب بعض علماء اللغة والنقد فى العصر العباسى إلى القول بتفوق شعر الجاهلية على الشعر الذى قيل فى الإسلام ، ومنه الشعر الذى قاله أعلام العصر العباسى ، إذا كان الشعر الجاهلى نفسه مصنوعًا وضعه أشخاص عباسيون ليسوا من أعلام الشعر فى عصرهم ؟ ويرتبط بهذا أنهم كانوا شبّهون أعلام الشعر الأموى بنظرائهم فى الجاهلية : فجرير مثلا يُشْبِه الأعشى، والأخطل يشبه النابغة ، والفرزدق يشبه زهيرا [١] .

كذلك ما دامت المسألة ليست إلا تلفيقا فى تلفيق ، فلماذا لم يضع هؤلاء الملفقون أحسن الشعر على ألسنة كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابن عوف والزبير وطلحة وخالد وحمزة وجعفر وأسامة ... إلخ، وذلك حتى تتم صورتهم المثالية بجمعهم ، إلى جانب صلابة العقيدة ومتانة الخلق وسموّ النفس وشجاعة القلب ، التفوق فى قول الشعر ؟

ولقد كان لعدد من الشعراء المنسوبين (على زعم مرجليوث) للجاهلية وصدر الإسلام ألقاب عُرِفوا بها وغطّت فى معظم الحالات على أسمائهم الأصلية ، مثل " الملك الضّلّيل " و " المرقّش " و " الممزّق " و " المهلهل " و "مزرّد " و " المثقّب " و" المخبّل " و " النابغة " و " المتلمس " و " تأبط شراً" و " الأعشى " و " أفنون" و " الحطيئة " و " أبى الغول " ... إلخ . فلم عنّى علماء العصر العباس أنفسهم بذكر هذه الألقاب ومحاولة تفسيرها من وقائع حياة أصحابها أو من أشعارهم ما داموا يعلمون أن هؤلاء الشعراء لم يكن لهم

١- السابق / ١ / ٤٦٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٣ على الترتيب .

وجود حقيقى ؟

ثم سلاسل الأنساب الطويلة لهؤلاء الشعراء ، ما الذى جعل علماء العصر العباسى يتعبون أنفسهم فى صنعها ما دام الأمر كله كذبا فى كذب ؟ ولم هذه الاختلافات فيها إذا كانت مخترَعة اختراعًا كما يدعى المستشرق البريطانى ؟

وكيف نفسر إهداء الرسول عليه السلام سيرين أخت مارية القبطية لحسان ابن ثابت ، الذى أنجب منها ابنه عبد الرحمن ، وكان قد أرسل بهما إليه على سبيل الهدية المقوقسُ عظيم القبط رداً على رسالته التى دعاه فيها إلى الإسلام؟ إن كتب السيرة والحديث والتاريخ والأدب وغيرها متضافرة على أنه ﷺ قد أهداه إياها مكافأة له على تجنيد أشعاره فى خدمة الدين والأمة ، فهل عند مرجليوث تفسير غير هذا ؟ إن حسان ، رضى الله عنه ، لم يكن من علماء الصحابة ولا من محاربيهم ولا كان رئيس قومه حتى يعامله الرسول هذه المعاملة الخاصة ، فلا داعى إذن لتنكُّب التفسير الذى أجمعت عليه كل المصادر لا لشىء سوى العناد الفارغ الذى لا يؤدى إلى شىء ، إذ ما الذى يجعل الكتّاب العرب والمسلمين يتركون كل تفسير آخر ويُجْمِعون على هذا ؟ وما مصلحتهم فى ذلك ؟

كذلك كيف تَأَتّى لأولئك الملفقين أن يصنعوا شعرا لعصرين اثنين كاملين يحتويان على مئات الشعراء الذين يعكس شعر كل واحد منهم شخصيته المتميزة عن شخصيات الآخرين ؟ فامرؤ القيس مثلا ابن ملك من الملوك

منصرفٌ إلى النساء والصيد لا تشغله أمور العيش ، وطرفة شاب طائش مغاضب لقبيلته لا يهمه إلا الخمر والقمار والتفكر فى أحوال الحياة والموت ، وزهير شيخ رزين حكيم همّه إقرار السلم بين عبس وذبيان ، وعنترة فارس شجاع يجمع فى شخصه بين الحرية والعبودية وتشغله مسألة إثبات ذاته بين قومه ولفت أنظارهم إلى شجاعته والتودد إلى عبلة ابنة عمه ، والشَّنْفَرَى وتأبّط شراً وعُروة بن الورد شعراء قد خلعتهم قبائلهم وكوّنوا عصابات تقطع الطريق فى الصحراء وتعيش عيشة اشتراكية ... إلخ . وكل شعر من أشعار هؤلاء له خصائصه الأسلوبية والمضمونية والنفسية المتميزة عن خصائص غيره ، فكيف تأتى كل ذلك لحفنة من الوضاعين فى العصر العباسى ؟ ثم لماذا يفعلون ذلك ، وهو على هذا النحو الذى يحاول مرجليوث أن يقنعنا أو بالأحرى أن يوهمنا به ليس إلا عبثا فى عبث ؟ وفضلا عن ذلك فإننا بين حين وآخر نرى فى شعر شاعر جاهلى ذكراً لشاعر جاهلى آخر ، كمخاطبة عَبِيد بن الأبرص فى نونيته لامرئ القيس ، وذكر قيس بن الخطيم لخداش بن زهير ، وذكر ابن يعفر لكعب بن مامة وأبى دؤاد ، وذكر الحارث بن حِلِّزة للمرقش ، وذكر عمرو بن كلثوم للمهلهل وكُلَيْب[1] ، وذكر الشماخ للقيط بن يعمر ، وهكذا ...[2] فكيف ، لو كان هذا الشعر كله موضوعًا ، يمكن أن تخطر تلك الأمور ببال واضعيه ؟

كما نجد فى حالات كثيرة قرابات تربط بين هذا الشاعر وذاك ، كالقرابة

---

١ – انظر " الروائع من الأدب العربى " – إشراف ومراجعة د. يوسف خليف / ١ / ١٦٢ ، ٥١١ ، ٤١٢، ٢٥٩ ، ٢٦٧ على الترتيب .

٢ – ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى / ١٣٦ .

بين أوس بن حجر وزُهَيْر وكعب وبجير ابنى زهير ، ومزرّد والشماخ (وكانا أخوين) ، والمرقش الأكبر والمرقش الأصغر (وكانا أخوين أو عمّا وابن أخ) ، ومهلهِل وكُلَيْب (وهما أخوان) ، ومهلهل وامرئ القيس (وكانا خالا وابن أخت) ، ومهلهل وعمرو بن كلثوم (وكانا جدا وحفيدا) . وذلك فضلا عن العلاقات الشخصية التى كانت قائمة بين بعضهم وبعض كما تذكر الروايات والأشعار الجاهلية ذاتها .

وإذا كان الشعر الأموى يمثل أولية الشعر العربى فكيف تحقق له منذ بدايته الاكتمالُ الذى هو عليه فى الموسيقى والصورة والدقةُ فى العبارة والفكرة ؟ إن هذا لهو الإعجاز بعينه .

ثم كيف نفسِّر مثلا شيوع الوقوف على الأطلال فى هذا الشعر إن لم يكن هذا تقليدا شعريا جاهليا سار فيه الأمويون على درب الجاهليين ؟ ذلك أن معظم شعراء العصر الأموى كانوا من أهل الحاضرة ، أى الذين يسكنون فى بيوت من الحجر لا من الشَّعر ، ومن ثم فلم يكونوا يعرفون فى حياتهم الشخصية الأطلال حتى يهتموا بها كل هذا الاهتمام بحيث تصبح هاجسًا شعريا ملازما لهم لا يستطيعون منه فكاكا، بخلاف شعراء الجاهلية ، الذين كانوا من أهل الوبر ، وكانت قبائلهم وقبائل حبائبهم كثيرة الارتحال انتجاعًا للماء والكلإ ، ومن هنا وُجدت الأطلال عندهم وكانت لها أهمية كبيرة فى حياتهم العاطفية فوصفوها وبكوها فى أشعارهم ، ثم أصبح ذلك الوصف والبكاء مع الأيام تقليدا شعريا راسخا فى القصيدة العربية ورثه الأمويون فيما ورثوه عن شعر الجاهلية وجَرَوْا عليه رغم أن معظمهم ، كما قلت ، كانوا من

أهل الحضر لا المدر . بهذا يستقيم تفسير ظاهرة الوقوف على الأطلال فى الشعر الأموى . أما إن قلنا إنه لم يكن للعرب شعر فى الجاهلية فإن هذا التفسير يصبح صعبا .

وأيضا فإن جَعْل العصر الأموى هو بداية الشعر العربى سيخلق مشكلة لا أدرى كيف يحلها مرجليوث ، وهى أن كثيرا من شعراء الجاهلية قد امتد بهم العمر فعاشوا جزءا من حياتهم فى العصر الأموى وأنتجوا بعضا من أشعارهم فيه ، كالنابغة الجعدى وليلى الأَخْيَلِيّة وعمرو بن شأس وسُوَيْد بن أبى كاهل وفضالة بن شريك والحُطَيْئة . والسؤال الآن هو : ماذا يفعل مرجليوث مع هؤلاء الشعراء وأمثالهم؟ هل سيقبل شعرهم الذى قالوه فى العصر الأموى ويرفض ما قبله ؟ لكن الشعر الذى نظموه فى عصر بنى أمية قد نظموه وهم كبار فى السنّ ، وبعضهم نظمه فى شيخوخته . فهل يُعْقَل أنهم لم يقولوا شعراً البتة قبل ذلك ثم فجأة قالوه بعد أن تقدم بهم العمر ، وعلى غير مثال سابق (ما دام مرجليوث ينفى وجود شعر قبل ذلك) ؟ ألا يرى القارئ حرج هذا المأزق الذى وضع مرجليوث نفسه فيه ؟

وهل من الممكن أن نصدق أن أوائل من نظموا شعرا فى العصر الأموى قد كانوا من التواضع ونكران الذات والزهد فى الشهرة بحيث لم يحدث أن وَجَد أىٌّ منهم فى نفسه أدنى رغبة فى النص على ريادته ؟ إن ذلك يناقض الطبيعة البشرية كما نعرفها ويعرفها كل الناس . إن عقبة بن رؤبة بن العجاج لم يطق أن يقول بشار أمامه إنه ليس أقل منه فى ميدان الرَّجَز وأعلن فى زهو غاضب أنه وأباه قد فتحا باب الغريب والرجز (ولعله يقصد تطويل الأراجيز ،

وتطويعها لموضوعات الشعر المختلفة كالقصائد ، وحشوها بالغريب من الألفاظ والعبارات)[١] . وفى عصرنا هذا رأينا عددا من الشعراء فى البلاد العربية يدّعى كل منهم ريادته للشعر الحر . وهذان مثالان يجزئان عن غيرهما ، فكيف شذّ روادُ الشعر العربى القديم عن هذه القاعدة ؟

ويتخبط مرجليوث فى بحثه من موضع إلى آخر ، فبينما نراه يوثّق كل الشعر الأموى إذا به يقول إن الأمور قد تطورت على النحو التالى : القرآن بأسلوبه المسجوع أولا ، ثم الرجز ثانيا ، ثم القصائد ثالثا . ومعروف أن هناك من الشعراء أصحاب القصائد الطويلة فى العصر الأموى من سبقوا الرجّازيْن اللذين ذكرهما ، وهما العجاج ورؤبة ابنه ، فما العمل إذن مع هذا التخبط ؟

ليس ذلك فحسب ، فالمفروض على حسب نظرية مرجليوث أن دلالة كلمتى " شعر " و " شاعر " على المعنى الذى نعرفه الآن لم تظهر إلى الوجود إلا بعد أن تطور الرجز إلى شعر وقصائد . أما قبل ذلك فقد كانت الكلمتان تعنيان " العِرافة " و " العرّاف " . فما القول فى أن الرجازين الذين جعلهم مرجليوث روادا للشعراء سابقين عليهم قد استخدموا هاتين الكلمتين فى معناهما المعروف ؟ يقول مثلا أبو النجم الراجز معاصر العجّاج :

إنى وكُلّ شاعر من البشرْ ... شيطانه أنثى وشيطانى ذكَرْ

فما رآنى شاعر إلا استترْ ... فِعْل نجوم الليل عاينَ القمَرْ [٢]

---

١ - انظر " تجريد الأغانى " / ١ / ١ / ٣٨٤ .

٢ - الشعر والشعراء /٢/٦٠٣ .

ويصف رؤبةُ أبا نُخَيْلة الراجز ، الذى كان يهاجى أباه العجاج ، بـ " الشاعر الخياط " [١] . كما نجد لفظة " الشاعر " بهذه الدلالة أيضا فى بيت للكذاب الجرمازى ، وكان معاصراً للعجاج أيضا " [٢] ... إلخ . أمن المنطقى أن نقول إن دلالة الكلمتين قد سبقت بروز مدلوليهما إلى الوجود ؟ الحق أنه ليس أمامنا ، إذا صدقنا مرجليوث ، إلا مدابرة المنطق على هذا النحو المضحك !

١- المرجع السابق /٢/٢/٦٠٢ .

٢- السابق /٢/٦٨٥ .

الإشارة إلى شعراء الجاهلية وصدر الإسلام في الشعر الأموي والعباسي

وهناك دليل قاطع مفحم لا يستطيع مرجليوث أن يرد عليه بحرف ، وهو أننا نجد في أشعار العصر الأموي ذكراً متكررا لشعراء جاهليين وإسلاميين . وقد اختصصتُ الشعر الأموي هنا بالاستشهاد لأن هذا الشعر قد قاله أصحابه قبل أن يخترع المزيِّفون (حسب زعم مرجليوث) ما اخترعوا من شعر وينسبوه إلى الجاهلية وصدر الإسلام . فليس من سبيل البتة للمكابرة بأن هؤلاء الشعراء حين أشاروا إلى هذا الشاعر أو ذاك من شعراء الجاهلية والإسلام إنما كانوا متأثرين بالجوّ السائد . وكذلك لا سبيل إلى الادعاء بأن هذه الأشعار الأموية منحولة ، فمرجليوث ، كما رأينا ، لا يشك في الشعر الأموي ، بل يعدّه بداية الشعر العربي الحقيقي . ثم إن أحداً من علمائنا لا يشك بالذات في هذه الشواهد الذي سنسوقها الآن ولا في الشعر الأموي بعامة .

وسوف نجتزئ هنا ببعض الأمثلة ، وهي تغني عن غيرها . يقول الأحوص ذاكراً النهدي ، وهو عبد الله بن العجلان أحد الشعراء المحبين في الجاهلية ، وكان يحب امرأة اسمها هند :

لو قاس عروةُ والنهديُّ وَجْدَهما ... لكان وَجْدِي بسُعْدَى فوق ما وَجَدا[1]

---

(١) شعر الأحوص الأنصاري/١٠٥ .

ويقول أيضا :

فـعـــروةُ سَنّ الحب قـبلى إذ شَقَى بعفراء ، والنهدىّ مات على هندِ [١]

ويقول قيس بن ذريح فى ذلك :

فـمـا وجـدتْ وجدى بهـا أمٌّ واحـدٍ ولا وجد النهدىّ وجدى على هندِ [٢]

ويقول أيضا :

وفى عــروةَ العـذرىّ إن متُّ أسوةٌ وعمرو بن عجلانَ الذى قتلتْ هندُ [٣]

ويذكر جميلُ النهدىّ والمرقش معًا قائلا :

قد مـات قبلى أخو نهدٍ وصاحبه مرقّشٌ،واشتفى من عروةَ الكَمَدُ [٤]

ويقول الأحوص مشيرا إلى حسان بن ثابت :

أصـبحتُ للأنصـار فـيـمـا نابهم خَلَفًا وللشــعـراء من حـسّانِ [٥]

ويخاطب كُثَيِّر عمر بن عبد العزيز مذكّرا إياه بأن النبى عليه السلام كان يعرف للشعر قدره ويكافئ عليه :

١- المرجع السابق /١٠٧ .

٢- السابق / ١١٥ (بالهامش) .

٣- تجريد الأغانى / ١ / ٣ / ١٠٦٨ .

٤- شعر الأحوص الأنصارى /١٠٥ (بالهامش) .

٥- المرجع السابق / ٢٠٥ .

وقــبلك مـــا أعطى هُنَيْدَةَ جِلَّةً | على الشعر كعبًا من سَدِيسٍ وبازِلِ
رســول الله المســتــضــاء بنوره | عليه سلامٌ بالضُّحَى والأصائلِ [١]

ويذكر الكميت بن زيد الأسدى كعب بن زهير والحطيئة فى شعره قائلا :

ومــا ضــرّها أن كــعــبــا ثَوَى | وفــوزٌ من بعـــده جَرْوَلٌ ؟ [٢]

ويقول جرير ملمحًا إلى هجاء الحطيئة والمخبّل السعدى للزِّبْرِقان بن بدر :

سأذكــر مـا قـال الحطيـئـة جـاركم | وأحدث وسْمًا فوق وسم المُخَبَّلِ [٣]

ويفاخر الفرزدق بوراثته الشعرَ عن عدد من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام قائلا:

وهَبَ القصائدَ لى النوابغُ إذ مضَوا | وأبو يزيدَ وذو القــروح وجــرولُ
والفـحل علقـمـةُ الذى كـانت له | حُلَلُ الملوكِ ، كـــلامُه لا يُنْحَلُ
وأخــو بنى قــيس، وهنّ قـتلنه، | ومــهلهل الشــعــراء ذاك الأول
والأعــشــيــان كـلاهمـا ومـرقّش | وأخــو قـضــاعــة قـوله يُتَمَثَّلُ
وأخـو بنى أسـدٍ عَبـيدٌ إذ مـضى | وأبـو دُوَادٍ قـــــولـه يُتَنَخَّـلُ
وابنـا أبـى سُلْمَى زُهيـــرٌ وابنـه | وابن الفُرَيْعــة حين جـدّ المِقْوَلُ

١- الشعر والشعراء / ١ / ٥٠٧ ، وتجريد الأغانى / ١ / ٣ / ١٠٨٩ .
٢- الشعر والشعراء / ١ / ١٥٣ ، ١٥٦ .
٣- شرح ديوان جرير / ٤٥٩ .

والجعفرىّ ، وكان بشرٌ قبله لى من قصائده الكتاب المجْمَلُ

ولقد ورثتَ لآل أوسٍ منطقا كالسمّ خالط جانبيه الحنظلُ

والحارثىّ أخو الحماس ورثته صَدْعًا كما صدع الصفاةَ المعولُ [١]

يقول سراقة البارقى مفاخرا كفخر الفرزدق معاصرِه ، وموردا بعض عباراتٍ من أشعار من ذكر من الشعراء :

ولقد أصبتُ من القريض طريقةً أعيت مصادرُها قرينَ مهلهلِ

بعد امرئ القيس المنوّه باسمه أيام يهذى بالدخول فحوملِ

وأبو دُوَادٍ كان شاعر أمّةٍ أفلت نجومهمو ولمّا يأفُلِ

وأبو ذؤيبٍ قد أذلّ صِعابَه لا ينصبنّك رابضٌ لم يُذلّلِ

وأرادها حسّانُ يوم تعرضتْ بَرَدَى يُصَفّق بالرحيق السلسلِ

ثم ابنُه من بعده فتمنعتْ وإخال أن قرينه لم يَخْذُلِ

وبنو أبى سُلْمَى يقصّر سعيُهم عنّا كما قصُرَتْ ذراعا جرولِ

وأبو بصير ثم لم يُبْصر بها إذ حلّ من وادى القريض بمحفلِ

واذكر لبيدًا فى الفحول وحاتما سيلومك الشعراء إن لم تفعلِ

ومعقّرا فاذكر وإن ألوى به ريبُ المنون وطائرٌ بالأخْيَل

١- النقائض / ٢٠٠ - ٢٠١ .

وأميـة البحـر الذى فى شعـره حكَمٌ كوحى فى الزبور مفصَّلٍ [١]

ويصف جِرَانُ العَوْدِ ناقته ضاربا المثل فى سرعة العَدْوِ بسُلَيْك بن السُّلَكة أحد الشعراء الصعاليك الجاهليين :

رأت وَرَقًا بيضًا فشدّتْ حَزِيمَها لها فهى أمضى من سُلَيْكٍ وألطف [٢]

ويمدح المضرِّبُ بن كعب بن زهير مصعبَ بن الزبير، مشبِّها نفسه بجدّه زهير الشاعر الجاهلى الكبير :

إنى لأحبس نفسى وهى صادية عن مصعبٍ ، ولقد بانت لى الطُّرُقُ

رُعْوَى عليه كما أرْعَى على هَرِمٍ جَدِّى زهيرٌ ، وفينا ذلك الخُلُقُ [٣]

وما دمنا فى الحديث عن ابن كعب بن زهير فلا ينبغى أن يفوتنا ذكر البردة التى باعها أحفاد كعب لبعض خلفاء بنى أمية بمبلغ طائل ، وهى البردة التى كان قد خلعها النبى عليه السلام على كعب إعجابا منه بالقصيدة الرائعة التى ألقاها هذا الشاعر بين يديه حين جاءه تائبا نادما على ما كان قد بدر منه من شعر مسىء فى حقه عليه السلام . إن قصة هذه البردة لهى من الشهرة والاستفاضة فى تاريخ الإسلام بحيث لا أظن أحداً يستطيع أن يكابر بنكرانها . وهى ، مثل الجارية التى أهداها النبى عليه السلام لحسان ، دليل على أن كعبا كان شاعرا ، أى أنه كان فى عصر النبى شعر وشعراء .

١- ديوان سراقة البارقى / ٦٤ - ٧١ .

٢- الشعر والشعراء / ٢ / ٧٢١ .

٣- تجريد الأغانى /١/٣/١٢٤٠ .

هذا ، وقد جرى الشعراء العباسيون أيضا على هذه السنّة ، فأصبحنا نقابل أحيانا أسماء شعراء الجاهلية وصدر الإسلام فى الشعر العباسى على نحو ما رأينا فى شعر العصر الأموى . ومن شواهد ذلك الأبيات التالية لأبى تمام :

كن قَرَاكم صَفْحَه من لم يزل   وأبوه فيكم رحمةً وغياثا

عفٌّ الإزار تنال جارةُ بيته   إرفاده وتجنُّبُ الإرفاثا

عمرو بن كلثومٍ بن مالكٍ ، الذى   ترك العُلَى لبنى أبيه تراثا [١]

*****

أذكَرتَنا الملك المضلَّل فى الهوى   والأعشيَيْن وجَرْوَلا ولبيدا

حَلَّوا بها عُقَد النسيب ونمنموا   من وشيها رجَزًا بها وقصيدا [٢]

*****

عمرو بن كلثوم بن مالكٍ بن عتَّا   ب بن سعدٍ سهمكم لا يسهمُ [٣]

وهذه الأبيات أيضا ، وهى للبحترى :

١- ديوان أبى تمام/٦٥ .

٢- المرجع السابق /٨٧ .

٣- السابق/٢٧٣ .

لو أن ليلى الأخيلية شاهدت أطرافه لم تُطرِ آل مُطرِّفِ [١]

*****

فكأنما إذ قُمْتَ قام حطيئةٌ للشعر ، أو للحمل قام الأحنفُ [٢]

*****

قد كان عنترةُ الفوارس نجدةً يكفُ النجيعَ ، وعُروةَ الصعلوكا [٣]

*****

يا امرأ القيس لو رأيت حَبيك الـ ـشِّعر يُغْذَى بماء لفظ ركيكِ
لبكيتَ الدماء للأدب الغـ ـض بفيض من الدموع سفيكِ
ولأبكيتَ طرفةً وزهيراً ولبيدا وقرم آل نَهيكِ
وبكى النابغان من فرط وجدٍ ثم صنّاجة القريض المَحُوكِ
أين شمّاخُ والكميت وذو الر مة وصّاف مَهْمَهٍ ونبيكِ ؟ [٤]

*****

وكذاك طرفةُ حين أوجس ضربةً فى الرأس هان عليه قطعُ الأكحلِ [٥]

*****

١- ديوان البحترى / ٣ / ١٤١٣ .
٢- المرجع السابق / ٣ / ١٤٢٥ .
٣- السابق / ٣ / ١٥٧٢ .
٤- السابق / ٣ / ١٥٨٩ - ١٥٩٠ . " وقرم آل نهيك " هو حُمَيْد بن ثور .
٥- السابق / ٣ / ١٧٣٩ .

دعاك والسيف يغشاه ، فمن بدنٍ بغير رأسٍ ، ومن رأسٍ بلا بَدَنِ

فلم تكن كابن حُجْرٍ حين ثار ولا أخى كليب ولا سيف بن ذي يزنِ

ولم يُقَلْ لك فى وترٍ طَلَبْتَ به : " تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لبنِ " (١)

كذلك الأبيات التالية ، وهى لمروان بن أبى حفصة :

إن الغوانى طالما قتَّلننا بعيونهنّ ولا يَدِينَ قتيلا

أرْدَيْنَ عروةَ والمرقّش قبله كُلٌّ أصيب وما أطاق ذهولا

ولقد تركن أبا ذؤيبٍ هائما ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرا وجميلا (٢)

وللسيد الحميرى أبيات يهجو فيها سوّار بن عبد الله بما حدث من بعض أفراد قبيلته حين وفد وفدهم على رسول الله ﷺ فى العام التاسع للهجرة من صياحهم عليه من وراء الحجرات ومفاخرتهم له بما عندهم من شعراء :

وأين من كان ينادى من وراء الحجراتِ:

يا هناه ، اخرج إلينا إننا أهل هناتِ

مدْحُنا المدحُ ، ومن نَرْ مِ يُصَبْ بالفاقراتِ ؟ (٣)

كذلك فللمتنبى بيت لا يثبت صحة الشعر الجاهلى فقط بل يجعله هو المثال الأعلى لفن الشعر :

١- السابق / ٤ / ٢٣٤٨ . والشطرة الأخيرة من البيت الأخير هى من شعر أمية بن أبى الصلت .

٢- شعر مروان بن أبى حفصة / ٧٧ . والمختار من كتاب الكامل للمبرد / ١٨٢ - ١٨٣ .

٣- تجريد الأغانى /١/٢/ ٨٨٠ .

مـــا نال أهلُ الجـــاهليـــة كلهم شعرى، ولا سمعت بسحرىَ بابلُ [١]

وهكذا فبدلا من أن يستنكر الشعراء العباسيون تزييف عدد من علماء عصرهم للأشعار ونسبتها إلى أشخاص جاهليين وإسلاميين حقيقيين أو مصنوعين (كما يريد منا مرجليوث أن نعتقد) نراهم يتحدثون عن أشعار الجاهلية والإسلام حديث المسلم بها المؤمن بصحتها الذى لا تدور بذهنه خالجة من خوالج الشكّ فى وجودها ووجود أعلامها . وهذا هو الموقف السليم ، إذ ليس هناك ما يدعو إلى اتخاذ موقف مخالف [٢] .

---

١ - ديوان أبى الطيب المتنبى / ١٦٦ .

٢- يرى القارئ أننى ركّزت على الأسس التى أقام عليها مرجليوث نظريته العجيبة وتركت التفاصيل التى أوردها فى دراسته فلم أتعرض لها . والسبب فى ذلك أن هناك باحثين آخرين قد سبقوا فردوا على هذه التفاصيل ، وبينوا ما فيها من تهافت ، موضحين أن معظم الروايات التى استشهد بها مرجليوث تعضيدا لفكرته إما أنها ضعيفة لا يُعْتَمَد عليها ، أو أنه قد انتقل بها من الخصوصية إلى العموم ، أو لم يفهمها كما ينبغى .

المصادر والمراجع

١- ابن خردازبه /اللهو والملاهى (ملحق بكتاب المفضل بن سلمة المسمى "كتاب الملاهي وأسمائها" / تحقيق غطاس عبد الملك خشبة . / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٤م) .

٢- ابن قتيبة / الشعر والشعراء / تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر / دار المعارف .

٣- ابن واصل الحموى / تجريد الأغانى / مطبعة مصر / القاهرة / ١٩٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٤- أبو تمام / ديوان أبى تمام / المركز العربى للبحث والنشر / القاهرة .

٥- أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى / النقائض/ط . الصاوى / ١٣٥٨هـ .

٦- الأحوص / شعر الأحوص الأنصارى / جمع وتحقيق عادل سليمان جمال/ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر/ القاهرة / ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٧- البحترى / ديوان البحترى / تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفى/ ط٣ / دار المعارف .

٨- جرير / شرح ديوان جرير / تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوى / مكتبة محمد حسن النورى بدمشق ، والشركة اللبنانية للكتاب ببيروت.

٩- حسين نصار / المختار من كتاب الكامل للمبرد / وزارة الثقافة والإرشاد القومى/ القاهرة .

١٠- سراقة البارقى / ديوان سراقة البارقى / تحقيق حسين نصار / لجنة

التأليف والترجمة والنشر / ١٩٤٧ م .

١١- الشماخ بن ضرار / ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى / تحقيق وشرح صلاح الدين الهادى / دار المعارف .

١٢- المتنبى / ديوان أبى الطيب المتنبى / تحقيق وتعليق د. عبد الوهاب عزام/ الهيئة العامة لقصور الثقافة / الذخائر (١) .

١٣- مروان بن أبى حفصة / شعر مروان بن أبى حفصة / جمع وتحقيق د. حسين عطوان / ط٣/ دار المعارف .

١٤- المفضل بن سلمة / كتاب الملاهى وأسمائها ، وملحق به موجز فى «اللهو والملاهى » لابن خردازبه / تحقيق غطاس عبد الملك خشبة / الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٨٤م.

١٥- نابغة بنى شيبان / ديوان نابغة بنى شيبان / دار الكتب المصرية / القاهرة /١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

١٦- د. يوسف خليف (مشرفا)/ الروائع من الأدب العربى / الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة / ١٩٨٣ .

17- Hafiz Ghulam Mustafa, Religious Trends in Pre-Islamic Arabic Poetry, Asia Publishing House, Bombay.

النص الإنجليزى لدراسة مرجليوث

The Origins of Arabic Poetry[1]

By D. S. MARGOLIOUTH

THE existence of poets in Arabia before the rise of Islam is certified by the Qur'an, which contains one Surah named after them, and occasionally alludes to them elsewhere. Among the descriptions of the Prophet given by his opponents there was "a Jinn-ridden poet" (xxxvii, 35), to which he replies that he has brought the truth. In another passage (lii, 29) the suggestions that he was a *kāhin*, a *jinn*-ridden man, and a poet are offered as alternatives. Since those who described him as a poet said they would wait to see what would happen to him (lii, 30) it might be inferred that poets were in the habit of foretelling the future. Elsewhere he asserts that his language is not that of a poet, but rather of an honourable messenger (lxix, 41), and that God had not taught him poetry, which would have been of no use to him (xxxvi, 69); his utterances were "statement and clear lesson", whence we should infer that poetry was obscure. These hints about the poets are summarized in the Surah that bears their name (xxvi, 224, foll.), where we are told that they are followed by the misguided, rave in every valley, and say what they do not do. The sequel might seem to except certain pious bards from this condemnation, but the style of the Qur'an renders it uncertain whether this exception really applies to bards. From what precedes it might be inferred that the demons descend on poets; for it is asserted that they descend on every guilty fabricator, to whom they communicate rumour, mostly mendaciously. This seems to

[1] The subject of this paper was treated by Ahlwardt in a monograph called *Bemerkungen über die Aechtheit der alten arabischen Gedichte*, Greifswald. 1872, and by Sir C. Lyall in the Preface to vol. ii of his *Mufaddaliyyāt*. The former is not very confident, and calls attention to some of the matters which have been discussed rather more fully below; Sir C. Lyall deals chiefly with the character of the transmitters, which he rates rather more highly than the present writer.

refer to the practice ascribed elsewhere to the demons (xxxvii, 10) of eavesdropping at the heavenly councils, an offence for which they are punished by being fired at with shooting stars. And this again brings the poets into connexion with prophecy.

If by poetry the same be meant as in the later literature, we are confronted with a slight puzzle: Mohammed, who was not acquainted with the art, was aware that his revelations were not in verse; whereas the Meccans, who presumably knew poetry when they heard or saw it, thought they were. We should have expected the converse. Perhaps we might infer that a poet was in general known rather by his matter than by the form of his utterances; whence the repudiation points not to the absence of regularity in the form of the utterances, but to the nature of the matter communicated. Yet the text "we have not taught him poetry" certainly implies the existence of some artifice which distinguished the poetic style, and which had to be learned.

However, the tone of this last text seems decidedly different from that of the others. In the others the poetic gift is repudiated; the Qur'an is thought to be poetry, and the charge is rebutted. But here it would rather seem as though the absence of poetic artifice was excused; it is no longer something which the audience find there when it ought not to be there, but something which they desiderate, and whose absence is justified.

The passages cited are to some extent at least in accordance with later ideas. Poets at times repudiated solemn engagements on the ground that the Qur'an declared them to be liars by profession.[1] They not only admitted that they were inspired by Jinn, but could at times name these internal monitors.[2] Though the words "they rave in every valley" are probably metaphorical, and mean "they exercise their imagination on all subjects indiscriminately",[3] they can also

[1] *Aghānī*, ed. 2, xiii, 48, 23.
[2] *Letters of Abu'l-'Alā*, 66, 25.
[3] Rāghib Ispahānī.

be rendered "they philander in every valley", and in accordance with this, most poems commence with an erotic situation wherein the poet does what has been described. The Prophet himself is represented in some stories as displaying the very crassest ignorance of the poetic art,[1] and according to one tradition asserted that a man's inside had better be filled with anything rather than with poetry;[2] yet verses were actually attributed to him,[3] occasionally he appears as a critic of poetry,[4] and a reciter of it,[5] and there is a familiar tradition wherein he bestows his approval on it.

In the very considerable mass of pre-Islamic inscriptions which we now possess in a variety of dialects there is nothing whatever in verse; a fact which is especially noteworthy in the case of the funereal inscriptions, since most literary nations introduce verse into compositions of this sort. Thus Latin literature commences with the epitaphs of the Scipios which are in Saturnian metre. Of the recently discovered though at present unintelligible Lydian inscriptions a goodly number are in metre. From the old Arabic inscriptions then we should not have guessed that the Arabs had any notion of metre or rhyme, though in many respects the civilization which they represent was highly advanced. When, however, the Qur'an speaks of poetry as something requiring teaching, it is reasonable to suppose that it refers to these artifices, which imply acquaintance with the alphabet, since the Arabic rhyme means the repetition of the same group of consonants, and with a grammatical system, since the metre depends on the difference between long and short syllables and the association of certain terminations with certain senses.

Perhaps then what the evidence of the Qur'an entitles us to assume is that before its appearance there were among the Arabs certain fortune-tellers, known as "poets"; their

[1] *Agh.* xiii, 64; xx, 2.
[2] *Musnad* of Ibn Hanbal, ii, 331.
[3] Baiḍāwī on xxxvi, 69.
[4] *Agh.* xi, 76, 23.
[5] *Talbīs Iblīs*, 240.

language would be likely to be obscure, as is always the case with oracles; and since the earliest Delphic oracle which we possess commences :—

> "I know the number of the sand and the measures of the sea"

the accuracy of these persons' statements might be sufficiently questionable to justify the description of them given in the Qur'an.

Now the view of the early poetry taken by the poet and antiquarian Abū Tammām at the beginning of the third century of Islam is very different. In words which are somewhat obscure, yet not unlike some used by Horace, he asserts that with the primitive Arabs no glories were retained save such as were securely fettered by odes; that they were the guardians of battles and other scenes of importance, and were even called "limited monarchy", a phrase which perhaps means that within certain limits the tribe which had the best poet dominated the others.[1] The poets according to this are not unintelligible oracle-mongers, but the recorders of events, which their talent enables them to immortalize. And this view is maintained by Abū Tammām's contemporary, the polygraph Jāḥiẓ of Basrah.[2] It is not quite easy to reconcile this theory with the statements, and indeed the general attitude, of the Qur'an. It applies very well to Abū Tammām's own Dīwān, which immortalizes the exploits of his patrons, such as the storming of Amorium by Mu'taṣim; and fairly well to the fragments collected by him in his Ḥamāsah, since many of these are historical or autobiographical in character. So far from poets saying what they do not do, they are here supposed to be recording what they have actually done or seen done; and indeed if any Arab from the time of Ishmael onwards does anything he appears to perpetuate the memory of it in an ode. But a body of odes wherein history is perpetuated constitutes a literature such as by no means

[1] Dīwān, Beyrut, 1889, p. 83.
[2] *Bayān*, ii, 184.

merits the contemptuous language used by the Qur'an, and whose existence, as we shall see, other passages of the Qur'an seem absolutely to exclude.

The Moslem archæologists, however, who commence towards the end of the Umayyad period, not only maintain that there was a body of classical literature of this sort in pagan Arabia, but claim to produce large portions of it. There is reason for thinking that those who first produced it had to encounter some scepticism; when Khalil (ob. 170) produced his metrical system, learned, he averred, from the Arab tribes, one of his contemporaries wrote a book to prove the whole system a fiction.[1] When the Arab versification is supposed to have commenced is far from clear; one of our authorities can trace it to Adam;[2] another can produce Arabic odes of the time of Ishmael.[3] Though the South Arabian monarchs compose their inscriptions in their own languages and dialects, the verses in which, according to the Moslem archæologists, they frequently indulged were in the Arabic of the Qur'an.[4] The general view seems, however, to be that Arabic poetry at any rate in the forms which were afterwards stereotyped commenced at most a few generations before the rise of Islam. Père Cheikho[5] accepts the view of the *Aghani*[6] that Muhalhil, brother of Kulaib, whose *floruit* was A.D. 531, and who is mentioned as one of the glories of the Bakr b. Wā'il,[7] was the first to compose long poems and introduce love into them. What is meant by a *long* poem is not clear; it would seem to be something over twenty lines, since a poet, al-Barrāq, whom Cheikho dates A.D. 470, is credited with an ode of that length.[8] We get something more precise in the case of al-Aghlab, who is said to have been the

[1] *Irshad*, ii, 366. 5.
[2] *Murūj al-Dhahab*, i, 65.
[3] *Agh.* xiii, 104.
[4] Tabari, i, 906; *Agh.* xiii, 118; xx, 9.
[5] *Poètes Arabes Chrétiens*, p. 160.
[6] iv, 148, 11.
[7] *Agh.* xx, 15, 27.
[8] *PAC.* 142.

first to compose long poems in *rejez*; by long it is explained that more than a couple of verses is meant.[1] This person is said to have died at the battle of Nihawand in 23 A.H. As he was aged ninety at the time, his birth would synchronize with the *floruit* of Muhalhil. Nevertheless a high authority asserted that the first composer of more than a couple of verses in *rejez* was al-'Ajjāj, who lived in Umayyad times.[2] Muhalhil's claim is also by no means uncontested; on the one hand poems with erotic prologues are cited from far earlier times;[3] on the other there is high authority for the assertion that the first poet was Imru'ul-Qais, who is somewhat later than Muhalhil.[4] Similarly A'shā of Qais, whose death-rate according to Cheikho was A.D. 629, is said to have been the first poet who devoted his muse to mendicity;[5] but 'Abīd b. al-Abraṣ, who is far earlier, is quite a master of this form of art,[6] and 'Antarah of 'Abs, who is somewhat earlier, is by no means averse from or unacquainted with the practice.

It is probable that Muhalhil's claim is based on his name, which means "maker of fine textiles", interpreted as "poetical fabrics", while the interpretation of the name as "fabricator" led to the remarkable view that he was the first poet who departed from the strict truth.[7]

If we regard the story which ascribes to him the invention of the *qaṣīdah* as historical, it must be admitted that he found numerous imitators. For we possess an imposing row of volumes containing the collected works of a very large number of poets who belong to the period which separates his invention from the hijrah. The reputed authors of the ten *Mu'allaqāt* are all authors of *dīwāns* or "collected Odes" most of which have been published and run into a considerable number of pages. There are, besides, several poets equally

[1] Cf. *Agh.* xviii, 164.
[2] *Muzhir*, ii, 243.
[3] *Agh.* xi, 154 (Khuzaimah b. Nahd).
[4] Jāḥiẓ, *Bayān*, ii, 184 (after Abū 'Amr b. al-'Alā).
[5] *Agh.* viii, 75.
[6] Ed. Lyall, 57, 9.
[7] *Agh.* iv, 148.

prolific, who are not included among the ten Immortals. Further the odes emanating from the poets of particular tribes were collected into *Corpora*, and one such Corpus has been printed. Since these odes from their nature imply acquaintance with the alphabet, and frequently allude to writing, the pre-Islamic Arabs who used the dialect of the Qur'an must have been a highly literary community; ancient Greece can scarcely exhibit so many votaries of the Muses.

Our first question must be: Supposing this literature to be genuine, how was it preserved? It must have been preserved either orally or in writing. The former seems to be the view favoured by the indigenous authorities, though, as will be seen, not universally held. The second Caliph is quoted for the assertion that though the pagan poetry was neglected during the early days of Islam and the years which were crowded with conquests, when more peaceful times came the Moslems returned to the study; they had, however, no written books or collections to which they could refer, and as most of the Arabs—i.e., those who had been converted from paganism—were either killed or had died a natural death, most of the poetry had perished, and only a little survived.[1]

It is clearly an anachronism to ascribe this statement to the second Caliph; the quiet time did not come till the reign of the first Umayyad, some thirty years after his death. It is also absurd to say that only a little survived, if what is meant be a whole row of volumes. If, however, numerous odes of considerable length were orally preserved, this can only have been because there were persons whose business it was to commit them to memory and hand them on to others. We have no reason for thinking that such a profession existed or that it could have survived the early decades of Islam.[2]

[1] *Muzhir*. i, 121.

[2] Tha'ālibī, *Histoire des Rois des Perses*, 536, mentions Sawwār b. Zaid as the *rāwiyah* of the people of Hirah. He recited Arabic verses by a Persian king. The *Rāwī* of the people of Kufah (Mubarrad, *Kāmil*, i, 358) is Islamic.

"Islam cancelled all that was before it"; the Qur'an states that those who follow the poets are misguided, and its language about them is harsh and contemptuous. There was then a strong reason for forgetting the pre-Islamic poetry, if any existed, and yet another that was likely to work powerfully. The deeds which the ballads are supposed ordinarily to have commemorated were inter-tribal victories; Islam, which aimed at uniting the Arabs and greatly succeeded in achieving this, discouraged all such recollections; ballads of this kind could only stir up bad blood. And indeed such ballads, unless they are committed to writing, have a tendency to be forgotten. Further the Bedouins were regarded as untrustworthy and indeed reckless in their assertions about verses;[1] whence an oral tradition maintained by them could claim little credibility.

There remains the other possibility, that the odes were preserved in writing. If, as one of them asserts, such verses shone over the world, and when they were recited people asked who could have composed them,[2] the probability that they would be committed to writing would be considerable; for it would have been a profitable business to multiply copies. Now allusions to writing are very common in this literature,[3] and some poets even speak of it in connexion with their own verses. A pre-Islamic versifier in the Hudhail collection desires that "a message wherewith new scrolls gleam, wherein there is writing for him that will read",[4] be conveyed for him; doubtless referring to his own ode. The commentators suppose him to mean Ḥimyari writing on palm-leaves. And indeed it is actually recorded that certain Arabic verses were written by one Qaisabah in the Ḥimyari script on the back of his saddle;[5] while two others were written by a courtier

[1] *Agh.* xi, 100, 3.
[2] *Agh.* xii, 123, 4.
[3] Ḥārith, *Mu'allaqah*, 67, speaks of treaties written on *mahāriq*, parchments?
[4] Kosegarten, 13, 6.
[5] *Agh.* xi, 125, 21.

of a Ḥimyari prince, Dhu'l-Ru'ain, in a sealed document, though the nature of the script is not stated.[1] The Ḥimyari King Dhū Jadan, whose skeleton of enormous dimensions was discovered at Ṣan'ā, had above his head a tablet where there was an inscription in rhymed prose, in classical Arabic, only in the Ḥimyari character.[2] Most likely then his verses were also committed by him to writing.[3] The pre-Islamic poet Laqīṭ composed a poem with the title "Writing on a scroll from Laqīṭ to the Iyādites in the Jezirah", to warn them against a punitive expedition by some Persian king.[4] A pre-Islamic poet even quotes a maxim which is read off a parchment by one who dictates.[5] Perhaps then there would be nothing inconsistent with the statements of these odes if we imagined them to be regularly circulated in writing.

Yet the existence of a pre-Islamic classical literature in the dialect of the Qur'an in the Ḥimyari, or indeed in any other script, seems too flagrantly at variance with the statements and assumptions of the Qur'an to be entertained. "Have ye a book wherein ye study?" it asks the Meccans (lxviii, 37); "Have they the mystery and do they write?" it asks of its opponents (ibid. 47). Those to whom it is addressed were a people whose fathers had received no warning (xxxvi, 5); "to whom no previous admonisher had come" (xxxii, 2: xxviii, 46); only two communities, the Jews and Christians, had revealed books (vi, 157); the pagans had nothing of the kind. This is a matter on which it is difficult to suppose that the Qur'an could be mistaken; a missionary to the Hindus might condemn their books as valueless and pernicious; he could not well deny their existence. And if the pre-Islamic poetry was written, the pagans had plenty of books (and, indeed, "inspired" books) which perhaps were unedifying—though, as we shall see, they were by no means exclusively so—yet

[1] *Agh.* xx, 8, 13.
[2] *Agh.* iv, 37.
[3] *Agh.* xii, 112, Shamardal *writes* a poem.
[4] *Agh.* xx, 24.
[5] *Diwan of Hudhail*, ed. Kosegarten, 115, 2.

sufficient to give the affirmative answer to the questions which have been cited, but which the Qur'an certainly assumes will be answered in the negative.

Further the process of literary development is normally, perhaps invariably, from the irregular to the regular. Latin literature begins with what Horace calls *horridus ille numerus Saturnius*; presently Greek metres are adopted, but the adaptation is at first very rough; after a century and a half Virgil and Horace set an example of regularity which others have to follow. The Arabic literary styles, rhymed prose and verse, both bear some resemblance to the style of the Qur'an; there are parts of the Qur'an which only the extremely orthodox deny to be in "rhymed prose", and of many a metre the Qur'an offers an occasional illustration.[1] The process from the Qur'anic style to the regular styles would then seem to be in accordance with analogy; and if the Qur'an were the first work in the language which displayed literary art, its claim to miraculous eloquence would be something which people could easily understand; it would not be very different from that which is claimed for or by others who have for the first time introduced versification into a language. But if the audience had already been accustomed to rhymed prose and verse of the finish and elaboration which is displayed in the ostensibly pre-Islamic performances in these styles, the claim would at the least have been harder to substantiate.

Still it may be said that this last argument is *a priori*, and that where the Moslems themselves impugn the veracity of the Qur'an others are not justified in believing it. Thus the author of the *Aghani*, who is a Moslem, quotes as a genuine ode by the precursor of Mohammed, Waraqah b. Nufail, one wherein he declares that he is an admonisher, bidding them worship none but their Creator.[2] This flatly contradicts the Qur'an, which, as has been seen, asserts that the Meccans had had no such admonisher before Mohammed. Qudam b.

[1] See Wright's *Grammar*, ii, 359.
[2] iii, 15.

Qādim (A.D. 400–80) in the poem which bears his name anticipates the warnings of the Qur'an in many details, and claims to have given religious guidance to his people in the Moslem sense.[1] Hence when the Qur'an declares that the pagans had no books, even a Moslem apparently is not bound to believe it; what, however, we propose to show is that those who maintained the existence of such written literature were considerably less worthy of credence than the Prophet, even if we reject the Moslem view of his character.

Before we believe in the stories about Arabic verses written in the Ḥimyari character it would be desirable to see some specimens. One would like to see how the caligrapher in this script dealt with the Mu'allaqah of Ḥārith, in which numerous words are divided between the two hemistichs. It is a principle of the S. Arabian scripts to mark the end of a word by a perpendicular line; this would not look elegant in verse, where cæsura is common; further the ordinary Arabic script seems well suited to Arabic verse on the ground that the caligrapher can easily extend or contract his words so that the whole composition is "justified", but this process would scarcely be possible in the South Arabian writing. Still a specimen, if such could be discovered, might silence this objection.

In the history of Islam we come across notices of written volumes of poetry before prose works are mentioned; according to Ṭabari some one in the year 83 found in a castle in the desert of Kirman a volume of poems by Abū Jildah al-Yashkurī; a Kufan fellow-citizen had written the book.[2] He also quotes at length a poem by A'shā of Hamdān referring to the events of the year 65, which was concealed at the time; it is scarcely possible to conceal anything but a material object. The jurist Abū Yūsuf, who compiled a code for the use of Hārūn al-Rashīd (180–93 = 788–809), mentions among articles in which there is no property, i.e. the theft of which is

[1] See Griffini, *Il Poemetto di Qudam ben Qādim*, Rome, 1918.
[2] ii, 1102, 6.

not punishable by the ordinary process, the Qur'an and the leaves whereon are verses;[1] the most natural interpretation of this rule is that the only books in familiar use at the time besides the Qur'an were volumes of verse; and the rule is given as having been formulated by Abū Ḥanīfah, whose death-date is 150. Ṭabari records that a little after this date a collection of Arabic (probably pre-Islamic) poetry was made by order of the Caliph Mahdī (158–69).[2] The Ḥamāsah of Abū Tammām, which is about a generation later, was made from written materials.[3] Perhaps it was this early association of poetry with writing which led some who produced pre-Islamic poetry in great quantities to favour the supposition that their sources were written documents. Ḥammād al-Rāwiyah (A.H. 95–155), who was one of these benefactors of the community, is supposed to have asserted that the Lakhmid Nu'mān (A.D. 580–602)[4] ordered that the poems of the Arabs should be copied on boards,[5] and buried in his White Palace in Ḥīrah. When the adventurer Mukhtār b. Abi 'Ubaid came to Kufah in A.H. 65 he was informed that there was a treasure buried in this Palace; he dug it up and this collection of poetry was brought to light. Supposing this story really goes back to Ḥammād, its purpose was doubtless to account for the fact that he knew quantities of pre-Islamic poems and verses which were known to no one else. In the *Aghani* he is charged with shameless forgery;[6] and his contemporary Mufaḍḍal Al-Ḍabbī declared that he had corrupted poetry beyond the hope of recovery.[7] In one of the anecdotes he and Mufaḍḍal are summoned by the Caliph Mahdī—the occasion must have been before his Caliphate, since that began 158, whereas Ḥammād died 155—and asked to explain a verse of Zuhair,

[1] *Kitāb al-Kharāj*, 105.
[2] ii, 841, 21.
[3] Tabrīzī's Preface.
[4] See Rothstein, *Die Dynastie der Lakhmiden*, 1899.
[5] Ibn Jinni, *Khaṣā'iṣ*, Cairo, 1914, i, 393; he wrongly renders *ṭunūj* by "quires".
[6] v, 172, ed. 1; 163, ed. 2.
[7] *Agh.* v, 172.

which begins an ode with the words *quit this*. Mufaddal explained the difficulty as well as he could; Ḥammād declared that the ode did not begin with that line, but with three others which preceded it. Presently under oath he confessed that these lines had been fabricated by himself. They figure, however, in our editions.[1] The antiquarians of Kufah maintained the genuineness of verses known to have been composed by this Ḥammād for the entertainment of the governor Khālid al-Qasrī, and assigned to earlier poets.[2] It is asserted by Yāqūt, on the authority of al-Naḥḥās (ob. A.H. 331), that the seven Mu'allaqāt were collected by this Ḥammād; one could wish their discovery had been made by some one more respectable. The other authority in Kufah for the early poetry, Jannād,[3] was one who, like Ḥammād, recited much, but had little knowledge.

Like Ḥammād, the early collectors of poetry were for the most part persons whose scruples in the matter of forgery were slight. One Barzakh, a contemporary of Ḥammād and Jannād, when asked on whose authority he recited certain verses ascribed to Imru'ul-Qais, replied on his own, which he regarded as sufficient.[4]

Somewhat later than Ḥammād was Khalaf al-Aḥmar, whose death-date was about 180, and who was the instructor of the most eminent antiquarians. He too has a bad reputation, and in a story which Ibn Khallikan gives on the authority of Abū Zaid confesses that he circulated forgeries of his own in Kufah as ancient poems; alarmed by an illness, he acknowledged his guilt to the Kufans, but like many another man found it easier to "bamboozle" than to "de-bamboozle". A contemporary of his, Abū 'Amr b. al-'Alā, ob. 154, who has a great name as an antiquary, confessed that he had inserted

[1] *PAC.* 540; Ahlwardt, p. 81, etc.
[2] *Agh.* xiii, 4, end.
[3] *Irshād*, ii, 426, 3.
[4] *Irshād*, ii, 366, 18.

a line of his own in a poem of al-A'shā;[1] one wonders whether he had not inserted more than one. A disciple of Khalaf, al-Aṣma'i, who made one of the best known collections of early poetry, asserted that he had stayed in Medinah, and failed to see there a single sound poem; those which were not corrupt were spurious.[2] Yet he does not seem to have been over-critical. It was recorded of one Kaisān that he used to go to the Bedouins and hear their recitations. He would take them down on his tablets and transfer them in altered form to his notebooks; he would alter them again before he committed them to memory, and yet again before he communicated them to others. Clearly not much of the original would by this time have been left. Yet al-Aṣma'ī regarded him as a good authority.[3]

The great collector Abū 'Amr Shaibanī (ob. 205) was found to possess a case containing only a few pounds' weight of books; when some one wondered at their paucity, he replied that for a genuine collection they were numerous.[4] Yet even this small collection was not free from spurious matter; the author of the *Aghani* quotes from a work of his a lengthy ode ostensibly by a pre-Islamic poet, and declares it to be clearly an Islamic fabrication.[5]

It may be added that the opinion which these eminent antiquarians had of each other was often by no means high. Ibn al-A'rābī thought neither al-Aṣma'ī nor Abū 'Ubaidah was any good at all;[6] they probably returned the compliment, and certainly took the same view of each other.

The standard of the third century seems to have been no better than that of the second. We have two stories of Mubarrad, an antiquary of this period, on whom the warmest encomia are lavished. He visits a man of eminence, who asks

[1] *Agh.* iii, 23.
[2] *Irshād*, vi, 110.
[3] *Irshād*, vi, 215.
[4] *Irshād*, ii, 236, 5.
[5] *Agh.* xiii, 4.
[6] *Irshād*, vii, 5. 13.

him the meaning of a word in the Tradition; not knowing it, Mubarrad makes a guess, for which the great man solicits an authority. Mubarrad without hesitation produces "the verse of the poet" as a proof passage. Then another learned visitor arrives, who is asked the same question. He happens to know the right answer, and gives the word its true meaning; when Mubarrad's verse is brought out by the great man, Mubarrad confesses that he had composed it for the occasion.[1] Another time some people who suspected Mubarrad's proof-passages fabricate a word and send to ask Mubarrad the meaning; he replies without hesitation that the word means *cotton*, and proceeds at once to cite a verse to prove it. The performance wins the admiration of the questioners, equally whether the answers be true or not.[2]

It is in accordance with these facts that we occasionally get highly disconcerting information about quite important collections of verse. It has been seen that we are in possession of the Corpus of the works of the poets of the tribe Hudhail, and this tribe was thought to be the most poetical of all the tribes;[3] the grammarian Aḥmad b. Fāris of the fourth Islamic century visited the tribe in its home, and could not find that any member of the tribe knew the name of one of these poets; at best those among the tribesmen who possessed any poetical taste could recite some commonplace lines which had no connexion with their tribe.[4] Sukkarī, the collector of the Corpus, lived a century before; one would have thought that the compilation would have led to increased study of the odes among the tribe whence they emanated, but apparently it had the opposite effect. At an earlier period, though the names of the poets were known, there was great uncertainty as to the attribution of the odes.[5] There was a considerable amount of poetry attributed to a poet known as the Majnūn

[1] *Irshād*, i, 126.
[2] *Irshād*, vii, 138.
[3] *Muzhir*, ii, 242.
[4] *Irshād*, ii, 8, 5.
[5] *Agh.* xx, 19, 5 a.f.

of the Banū 'Āmir. An antiquary took the trouble to consult every family of this tribe, but found no one who had ever heard of him.[1] For all that, it was possible somehow to find out his name or names and even to trace his ancestry to the tenth generation, and to discover a whole quantity of biographical detail, including quite lengthy conversations. The names of two of the romancers are in this case recorded.[2]

In some other cases we are told not only the names of forgers, but those of the works which they forged. Yazīd b. Mufarrigh was the fabricator of the story of the Ḥimyari king Tubba' and of the poems attributed to him.[3] The verses incorporated in the Life of the Prophet by Ibn Isḥāq, probably the earliest prose work in classical Arabic, were made to order;[4] in several cases the editor Ibn Hishām notices their spuriousness, but there is little, if any, reason for supposing any of them to be genuine. The poet Nuṣaib began his poetical career by composing verses which he attributed to celebrated members of the tribes Ḍamrah b. Bakr b. 'Abd Manāt and Khuzā'ah. When these verses had won the admiration of leading men in these tribes, Nuṣaib felt confident of his poetic gift.[5] Doubtless the experiment indicated a scientific mind, but if the admiration of the tribal leaders was genuine, it is likely that the verses would be cherished as the work of the ancient bards; it would scarcely have been in Nuṣaib's power to undeceive them. Similarly the poet Ja'far b. al-Zubair, brother of the anti-Caliph 'Abdallah, is said to have attributed his own verses to Omar b. Abī Rabī'ah, and these verses were in consequence, we are told, introduced into the diwan of the latter.[6]

It must be added that good encouragement was given by Caliphs and others to forgers. When Mufaḍḍal and Ḥammād

[1] *Agh.* i, 161, 10.
[2] Ibid., i, 170.
[3] *Agh.* xvii, 52.
[4] *Irshād*, vi, 40, 1.
[5] *Agh.* i, 126.
[6] *Agh.* xiii, 102, 16.

acted to Mahdi in the way described above, the former got the higher reward, but Ḥammād, who had forged and lied, was well paid also. Hārūn al-Rashīd offered 10,000 dirhems to any one who could recite an ode by al-Aswad b. Ya'fur; it is most surprising to read that though all the Arab chieftains from Syria, Arabia, and Mesopotamia were present, no one responded.[1] On some other occasions readiness to recite an ode that a Caliph wanted led to an immediate rise of stipend.[2]

Muwaffaq, brother of the Caliph Mu'tamid, and even more powerful than he, desired his vizier to furnish him with poems by Jews; Mubarrad, to whom the vizier applied, declared that he knew of none. But a rival scholar, Tha'lab, to whom appeal was then made, was in the fortunate position of having been collecting Jewish poetry for the last fifty years. He produced his Corpus, and his fortune was secured.

Owing to the bad faith of those who gave publicity to the odes, they were very variable quantities. The author of the *Aghani* produces an ode of Dhu'l-Aṣba' in six lines; presently it is increased to twelve; next we learn that in the opinion of a most notable antiquary only three of the lines were genuine; and we wind up with seventeen.[3]

That in spite of temptations some of the antiquaries may have been scrupulous, and even critical, can be admitted; they did not themselves fabricate, and admitted into their collections what they believed to be genuine monuments of antiquity. But this brings us back to the question of their sources. The mission of Mohammed was a tremendous event in Arabia; it involved a breach with the past to which history furnishes few analogies. From all parts of the peninsula men left their homes to establish themselves in regions whereof few of them had even heard; and within the peninsula the rise of Islam was accompanied and followed by civil wars.

[1] *Agh.* xi, 129 med.
[2] *Agh.* iii, 4.
[3] *Agh.* iii, 2, 4, 10.

The attitude of Islam towards the old paganism was not one even of contemptuous toleration, but one of the fiercest hostility; it offered no compromise of any sort with it. If the poets were the spokesmen of paganism, who were the persons who preserved in their memories and transmitted to others those compositions which belonged to a dispensation which Islam terminated? We can trace the consciousness of this difficulty in the solution which Ḥammād is said to have offered; the poems had been buried during the years when Islamic fervour was at its height, and were casually unearthed after it had somewhat cooled. The other explanation with which we shall now deal was that the poets were not spokesmen of paganism. They were Moslems in all but in name.

If we turn our attention to internal evidence, there are some features about these poems which at least occasion surprise. The poets of most nations leave no doubt at all about their religion, and the Arabs of the inscriptions are equally candid on this subject; most of the inscriptions mention one or more deities and matters connected with their worship. Marzubānī devoted a work of over 5,000 pages to an account of the pre-Islamic poets, their religions, and their sects; [1] one would fancy that the materials for these subjects were very scanty, as allusions to religion in the odes which we possess are far from common. One poet, indeed, asserts that his religion agrees with some other people's; [2] only he does not tell us what it was. The polytheistic atmosphere of the inscriptions is simply absent. This is perhaps what suggested to Père Cheikho his theory that they were all Christians; but it does not seem that this theory will work. Some of these supposed Christians express themselves in a manner which shows clearly that they belonged to a different community; thus A'shā of Qais, who is on Cheikho's list, speaks of petitioners making the circuit of some patron's gates even as

[1] *Fihrist.*
[2] 'Amr b. Qami'ah, ii, 9.

Christians make their circuit round the house of their idol; [1] and one of the few cases wherein we find an oath by a pagan deity is in a verse ascribed to him.[2]

Christians wherever they are have their sacred books, and their language and thought are greatly affected by the phraseology of the Gospels, Epistles and Psalms. Their poetry most frequently takes the form of hymns. But in the supposed pre-Islamic poetry there is a dearth of allusions to the Scriptures and institutions of Christendom even among those poets who are supposed to have flourished at Christian courts. The expert author of the *Aghani* argues that a certain poet who flourished towards the end of the first Islamic century must have been a Christian because he swears by the Gospel, the Monks and the Faith, which he rightly says are Christian oaths.[3] Though the pre-Islamic poets very frequently swear, it is almost invariably by Allah; this oath indeed pervades their diwans. The pre-Islamic 'Abīd b. al-Abraṣ even says in Qur'anic language, "I swear by Allah, verily Allah is bountiful to whom He will, and is forgiving and gracious".[4] And their view of the operations of Allah is such as no monotheist could disapprove; it anticipates the statements of the Qur'an in almost every detail. Allah "opens and closes the world"; [5] He is invoked to reward benefactors,[6] and to gather those who are dispersed; [7] He it is whose orders are carried out; [8] His pity is implored by women in bereavement; [9] His blessing is invoked on wells.[10] Imprecations are made in His name.[11] He who asks of Allah is not

[1] Sukkari, *Comm. on Ḥuṭay'ah*, p. 38.
[2] *Agh.* xx, 139, 4 a.f.
[3] A Moslem swears by the Torah and the Qur'an, ibid., xii, 72, 9.
[4] Diwan, 67, 1.
[5] Dhu'l-Aṣba', *Agh.* iii, 9.
[6] *Agh.* xiii, 5.
[7] Ibid., 4.
[8] Ḥārith, *Mu'allaqah*, 44.
[9] *Agh.* iv, 151, 6.
[10] 'Abīd b. Abraṣ, 19, 8.
[11] Ibid., 66, 12.

disappointed like one who asks of men.[1] Guilt in Allah's eyes is what they feared.[2] Allah is the witness to whom they appeal.[3] He knows what is hidden from others.[4] He is called the Lord of mankind.[5] A pagan poet says: "By Allah does the traveller know, when the earth conceals him, what Allah is about to do?"[6] Sometimes the name Raḥmān is substituted for Allah, as is the case in the Qur'an.[7]

Indeed, the only religion with which these pre-Islamic poets can be credited is the Mohammedan. They are not only, as has been seen, strict monotheists—for they very rarely mention any deity save Allah, and such mention is at times not respectful[8]—but they show themselves quite familiar with matters which the Qur'an asserts were unknown to the Arabs prior to its revelation. Thus in Surah xi, 51 it is stated that neither Mohammed nor his people had previously heard the story of Noah; and this statement is in accordance with what we should infer from the inscriptions, which make no allusion to the Biblical genealogies of the Arabs, which involve it. However, Nābighah of Dhubyān, whose *floruit* is given by Cheikho as A.D. 604, a year which is also given as his death-date, is not only familiar with the story of Noah, but even knows something about the patriarch for which the Qur'an appears to be the sole authority. He says *I found fidelity which thou didst not betray, even thus was Nūḥ, he did not betray*.[9] There is here an evident reference to the epithet *faithful*, which in the Qur'an is applied to Nūḥ (xxvi, 107). The poet 'Antarah of 'Abs, whose diwan occupies 284 pages, evidently knew the revelations of the Qur'an and

[1] Ibid., 8, 23.
[2] Ibn Qutaibah, 44, 10.
[3] *Agh.* iv, 144, 15.
[4] 'Abīd b. Abraṣ, 50, 17. Ḥārith, *Mu'allaqah*, 55.
[5] *Agh.* xi, 132, 6 a.f.
[6] *Agh.* xiii, 7.
[7] Ibid., near end.
[8] 'Abīd b. Abraṣ, 13, 14.
[9] *PAC.* 730, 4 a.f.

the technicalities of Islam before the appearance of Mohammed; in an address to the Persian king Anushirwan, who died about A.D. 580, this poet calls the king the *Qiblah* of Suppliants,[1] using a technicality of Islam for the direction of prayer, which perhaps ought not to surprise us since according to the *Aghani* the pre-Islamic Medinese had a *masjid* with a *qiblah*,[2] which are ordinarily regarded as Islamic innovations. This same poet is familiar with the Islamic postures of prayer, inclination, and prostration,[3] and with the Stone of Standing, i.e. that whereon Abraham stood, whose connexion with the Meccan sanctuary is quite certainly an Islamic innovation.[4] He also knows the Qur'anic names for Hell, *jaḥīm* and *jahannum*,[5] and those which that work employs for the Day of Judgment.[6] He uses with favour Qur'anic expressions.[7] Hence there is no reason for doubting that he was a good Moslem, except that his life was passed before Islam had appeared.[8]

This pre-Islamic bard perhaps parades his Mohammedanism somewhat excessively; but many others give glimpses of theirs. We should have gathered from the Qur'an that the distinction between the present and the future life had been introduced to the Arabs by Mohammed; for his opponents are represented as treating the notion of a future life with contempt. Hence we should assume that the usage of the phrase *the nearer* in the sense of "the world" must have been introduced by the Qur'an, where sometimes it is used alone, but more frequently with the substantive "life". The person who thinks of the world as "the nearer life" must have in mind a more distant life, the doctrine which

[1] Cairo ed., 234.
[2] xiii, 116, 12.
[3] Cairo ed., 101, 134.
[4] Ibid., 232.
[5] Ibid., 237, 204.
[6] *Qiyāmah*, 83, 247; *maḥshar*, 127.
[7] So *jabbār ʿanīd*, 191, 206, 231.
[8] *Agh.* iv, 128, 4 a.f.

Mohammed's audience at first regarded with scornful bewilderment. But the pre-Islamic poets are thoroughly familiar with the expression. ʻAbīd b. al-Abraṣ, who lived many decades before the preaching of the Qur'an, speaks in Qur'anic language of "the goods of the nearer",[1] meaning the goods of this world, and Dhu'l-Aṣbaʻ, who is also pre-Islamic, quotes from the Qur'an the phrase *wishing for the goods of the nearer.*[2] The former, in addressing a remonstrance to the father of Imru'ul-Qais, refers to the Resurrection-day,[3] and has an expression which implies acquaintance with the Mohammedan Law of Inheritance;[4] while the latter knows the distinction between the *sunnah* and the *prescription*, i.e. the text of the Qur'an. The phrase *al-dunyā* for "the world" is also found in the Muʻallaqah of ʻAmr b. Kulthūm, who is supposed to have died in the year A.D. 600, more than twenty years before the Flight. When these poets wish to illustrate the relentlessness of the divine power, they regularly take the Qur'anic cases of Iram, ʻĀd and Thamūd;[5] and several of them confuse the two latter,[6] for which there can scarcely be any reason except their juxtaposition in the Qur'an, whence indeed the story of the three was in all probability obtained. Even the supposed founder of the *Qaṣīdah*, Muhalhil, who, as has been seen, flourished a whole century before the Prophet, is sufficiently in advance of his time to quote the Qur'an. *They told us Kulaib was dead, and I said: has the earth swayed with us or have its anchors swayed?*[7] This is evidently to be explained from Surah xvi, 15, where we read: *And he flung upon the earth anchors lest it should sway.* Another Surah (lxxix, 32) makes it clear that mountains are meant. Similarly

[1] 80, 28.
[2] *Agh.* iii, 9, 8. Surah viii, 68.
[3] Ibn Qutaibah. 37, 15.
[4] *Dhū suhmah*, for "a relation", Lyall.
[5] *Agh.* xi, 61, 11; ʻAmr b. Qamiʼah. 64, 4.
[6] Zuhair, *Muʻallaqah*, 32; *Hudhail*, Kosegarten, 80.
[7] *PAC.* 166, 6 a.f.

Ta'abbaṭa Sharran in his dirge on Shanfara quotes the Qur'an.[1] A prehistoric Persian king, according to Tha'ālibi, does the like.[2]

Sometimes the obvious use of the Qur'an in these odes is too much for the Moslem critics; thus we are told that doubts were held about the genuineness of a poem ascribed to Labīd, wherein the story of the Elephant is told, and the defeat of the foreigner attributed to Allah precisely as the Qur'an tells the story.[3] The author of the *Aghani* argues that Ḥaṣīn b. al-Humām was Islamic on a similar ground.[4] Others were less critical; Muṭahhar b. Ṭāhir, who is of the fourth century of Islam, notices that the pre-Islamic Zaid b. 'Amr b. Nufail preached monotheism in a set of verses which are a mere cento of Qur'anic texts about Mūsā and Hārūn in their relations with Fir'aun and went so far as to declare himself a Moslem in the phrase *aslamtu wajhī*.[5] Umayyah b. Abi'l-Ṣalt, who speaks of the Christians as though he were not one of them, uses for the Day of Judgment a phrase which we should have supposed to have been introduced by the Qur'an,[6] even if we could accept the view that the pagan Arabs were thoroughly familiar with the notion of such a Day. The poetess Khansā is familiar with the *Zabāniyah*, which would seem to be a Qur'anic technicality.[7] Ḥātim Ṭā'ī, who is a Christian, is acquainted with the Islamic exclamation *Allāhu akbar*.[8]

It is quite conceivable that Mohammed may have had "forerunners" in the sense that some persons before his time in Central Arabia may have revolted against the pagan worships. Christianity, moreover, seems clearly to have obtained a hold over parts of the Peninsula. If the pre-Islamic poets had composed like Christians, assuming the

[1] Surah xl, 18; *Agh.* xxi, 89.
[2] *Histoire des Rois des Perses*, 47, 2.
[3] Labīd, ed. Brockelmann, xxxiv.
[4] xii, 123.
[5] *Livre de la Création*, i, 75.
[6] Ibid., ii, 145, *Yaum al-taghābun*, Surah lxix, 9.
[7] *Agh.* iv, 136, 7.
[8] Ed. Schulthess, 51, 15.

doctrines of Christianity and showing familiarity with its institutions, we might be confronted with some difficulties in their odes and the question of their transmission, only their religion would not be one of them. But when we find them talk like Mohammedans, being as rigid monotheists as the followers of the Prophet afterwards were, and so far as they echo any sacred book, echo the Qur'an, it seems most difficult to believe in their genuineness. Why should the Arabs of the inscriptions have their various local deities in their thoughts, and the poets of the same regions know of no God save the Deity whose unity Mohammed proclaimed? Even if we suppose the inscriptions to have emanated from communities other than those of the poets, what becomes of Mohammed's mission if those whom he "warned" were believers in One God and expecting a Day of Judgment? If we are guided by the inscriptions, it must be admitted that the polemic of the Qur'an is rightly directed; the cults of the Meccans and their neighbours may not have been identical with those of the regions to which the inscriptions belong, but they had a family likeness to them. But the views of the pre-Islamic poets on religious subjects seem to be similar to or even identical with those taught in the Qur'an.

A second line of internal evidence is that of the language. All these poems are in the dialect of the Qur'an, though here and there a word or form may be employed which is said to belong to some particular tribe or region. If we suppose the imposition of Islam on the tribes of Arabia to have unified their language, because it provided them with a classic of indisputable correctness in the Qur'an, analogies occur; the Roman conquest did the same for Italy, Gaul and Spain. But it is difficult to imagine that before Islam provided this unifying element there was a common language, different from those of the inscriptions, spread over the whole peninsula. The individual tribes, or at least the groups of tribes, would have had easily recognizable differences of grammar and vocabulary. Père Cheikho's collection commences with the

poets of South Arabia ; they compose in the dialect of the Qur'an. Within South Arabia itself the inscriptions are in a variety of dialects, and some of these come near the Prophet's time; they can only be interpreted with difficulty, because the help which the classical Arabic gives is scanty. Yet when the Moslem archæologists produce verses by a king of Hadramaut, and written by him, they say, in the Himyari character, they are in the dialect of the Qur'an, which he expected his people to understand.[1] The authority for this story is Ibn al-Kalbi, one of the foremost of the antiquaries. A Himyarite, who belongs to a period before the Abyssinian invasion, writes and seals a couple of verses, not in the language of the contemporary or somewhat later inscriptions, but in Qur'anic Arabic.[2] In these cases few will even doubt that the verses are fabrications and the events wherewith they are connected at best legendary. Yet we have to remember that the authorities for these pre-Islamic poems are either the same as or not less trustworthy than those for Cheikho's poets of Yemen; and the author of the *Aghani*, who occasionally practises criticism, produces them without suspicion. He very likely does so in good faith, like those Moslem controversialists who assert that the Christian doctrine of the Divinity of Christ was occasioned by the misreading of two points on a word in the second Psalm; it should have been read *nabiyyun*, but was misread *bunayya*. They are not aware that this doctrine was held many centuries before the Arabic alphabet was invented, an invention at least a century earlier than that of the diacritic points. And the ascription of verses in the classical Arabic to pre-Islamic bards of Yemen appears to be an error of the same sort. There is no evidence that South Arabia had any poets; if, however, there were any, they must have sung in one of the South Arabian dialects.

And having this decided evidence of bad faith in a group of cases, we do not know what we can accept in other cases.

[1] *Agh.* xi, 125, 4 a.f. [2] *Agh.* xx, 8, 13.

In North Arabia one or two inscriptions have indeed been discovered in the Qur'anic dialect, but others exhibit a wealth of dialects similar to that found in the South; and here again verse is non-existent in the present state of our knowledge. Since Islam originated in the Ḥijāz, the Moslems might be expected to know more about the history of that part of Arabia than about the South; in fact, they know somewhat more about the South, because events of greater importance for the peninsula had happened there than elsewhere. Yet their knowledge of South Arabia was so vague that they ascribe verses to South Arabian potentates in a language which we know on epigraphic evidence was not theirs. When the antiquaries made their compilations, the language of the Qur'an had, owing to Islam, become the classical language in South Arabia; but there was the same reason for its predominance in other parts of the peninsula; we have as yet no ground for supposing that it counted as a literary language anywhere until the Qur'an was produced.

Now, if we were dealing with prose documents, we might acquiesce in the hypothesis that they had been either translated, or at least gradually shifted, from one stage of the language to another; somewhat as changes in orthography get gradually introduced into printed works, in accordance with later usage, without any violation of good faith. But in Arabic poetry, of which the artifice is more complicated than any other known style, such a proceeding would be simply impossible. The works would have to be recast. And it may be observed that just as the converts to Islam turned their backs on their old religion, so that the Qur'an knows more about it than any of the later Moslems, similarly in Arabia they turned their backs on their old languages and dialects, so that help for the understanding of the inscriptions can now be obtained from two authors only, whom the late Professor Hartmann justly termed eccentric. And just as the occurrence of Islamic ideas in ostensibly pagan works is a clear proof of spuriousness, so the employment of the

dialect which the Qur'an rendered classical furnishes ground for grave suspicion.

That the language of the Ḥijāz was the court language of Ḥirah is not impossible, but the evidence for this apart from the "early poems" seems wanting; vast deserts separate these regions. The Moslems who produce poems from all parts of the peninsula in the same dialect seem to be acting consistently with their practice of making many or most of these poets worshippers of Allah and of no other god; they project into past times the phenomena with which they are themselves familiar. Something like this seems to be the case with the geography of these poems; 'Amr b. Kulthūm, the author of a Mu'allaqah, states that he has drunk wine in Baalbek, Damascus, and Qāṣirīn; that which he solicits is of Andarin. The last two places are said to be in the neighbourhood of Aleppo. Doubtless in the 150 years which this person is supposed to have lived he had time for extensive travels; but acquaintance with these places as well as with the provinces and tribes of Arabia such as this ode displays reminds the reader of the time when the Moslem empire included Syria and Arabia rather than of the time when the Arabs were in the condition depicted in the Chronicle of Joshua the Stylite, about A.D. 500.

A third line of evidence is to be found in the *content* of the odes. If they regularly commence with erotic passages because the Qur'an says poets philander in every valley; if they proceed to describe their wanderings and their mounts because the Qur'an says poets are followed by those who go astray, which certainly implies that they go astray themselves; and if they proceed to dilate on their achievements, often immoral in character, because the Qur'an says they say what they do not do; we can at least trace to the source this monotony, which led some critics to declare that all that mattered in poems was the language, since they all repeat the same ideas.[1] But if this stereotyped form is earlier than

[1] Ibn Rashiq, *'Umdah.*

the Qur'an it must go back to certain acknowledged models; and the search after these leads us, as has been seen, back to Adam. It is true that the odes show remarkable acquaintance with the anatomy of the horse and camel, and perhaps with the habits of other animals; but these, as we know, were studied by grammarians as well as by poets. That some Bedouin poet may have started an ode with a lament over the ruined dwelling of his beloved, or with an account of her wraith, and may have proceeded to describe his live stock, is quite possible, but we can name with precision no classic whose work formed the basis of education and whose example had to be followed by all aspirants to the poetic art. If there had been such a classic or classics, the polemic of the Qur'an must have taken account of such, because they would have been the authoritative source of current ideas. Their guidance might be stigmatized as bad; but it could not well be denied that the people had books which they studied.

In the main odes which are ascribed to the early poets are what are called occasional, and are records of experiences which would have interested themselves only or at best some of their tribesmen. The possibility cannot indeed be denied that an Arab who divorced a wife or raided camels or slaughtered an enemy might compose an ode on the subject; and where several persons were involved in such transactions each of them might record his experience in this way. But Horace is quite accurate when he says *neque Si chartæ sileant quod bene feceris mercedem tuleris*; the record must be on paper or its equivalent, or such compositions have no chance of being preserved. When what the antiquaries communicate is something that takes the form of a dialogue, i.e. a series wherein poet replies to poet, the probability that the whole is romance becomes especially great; for we cannot well credit the rival poets with taking steps to preserve each other's performances, so that the intervention of a third party is required; whereas if we suppose the whole to have emanated from one mind, we at

least have something before us that is simple and easily paralleled.

The hypothesis of romance further accounts for cases wherein the anecdotes associated with the verses contradict experience; so the author of the *Aghani*, who introduces a number of verses improvised in a poetical competition wherein the poets Nābighah Ja'dī, al-'Ajjāj, and al-Akhṭal took part,[1] calculates that this Nābighah must have been 220 years old at the time, and declares himself satisfied with this conclusion. Others had made him reach the age of 180, but as he had quite certainly celebrated his 180th birthday in the time of the Prophet this was a serious understatement. Now when we read the poetical competition between Homer and Hesiod, chronology does not trouble us, because we know that the whole story is imaginary. Only if the same person who told it in good faith were also our chief authority for the history of the poets, we could not be too sceptical.

This is one example; but there are many others. We can perhaps trust the statements of the *Aghani* so far as it is clear that they are based on written materials; whence, if we had the collection of poems made by order of the Caliph Mahdi, we could be confident that those poems were in existence as early as the year 158 A.H. And if the collector seemed a reasonably veracious and critical person, we might trust him if he informed us that he got his material from much earlier documents. But if in lieu of sobriety and veracity we had tall stories about men who lived for a couple of hundred years, and collections of poems buried under palaces, and gigantic skeletons with inscribed tablets on their heads, we should be justified in dismissing everything as a fabrication. And if in lieu of written materials we found our author relying on oral transmission through a period when anything which had been remembered would, if possible, have been forgotten, we could feel doubly sure that his statements were not to be trusted on any subject.

[1] *Agh.* iv, 129, 131.

If then the ostensibly pre-Islamic poetry is suspect on both external and internal grounds, we are brought back to the question of the commencement of Arabic versification; is it of high antiquity, though the monuments which we possess are for the most part post-Islamic? Or is it altogether post-Islamic, being a development of the styles found in the Qur'an? This question appears to be of great difficulty.

On the one hand we seem to have continuity; the Umayyad poets come after those of the time of the Prophet and his Companions, whereas these follow on the pagan poets. Some of the earlier diwans, e.g. that of Ḥassān b. Thābit, the Prophet's encomiast, inspire little confidence; but it would be difficult to shake the genuineness of those of the Umayyad poets. Further, a few of the technicalities of verse seem to lie behind phrases of the same sort which occur in the Old Testament, whence the hypothesis that the Arabs composed odes, only we cannot be sure whether we actually possess any lines that are earlier than Islam, is attractive.

On the other hand besides the absence of verse in the inscriptions we notice that the Qur'an has no allusion to music.[1] In Dr. Stanton's most useful Index to the Qur'an we look in vain for the items *Music* and *Singing*. The word *rattil* in that book cannot really mean "to chant", since it is used of the Divine Being (xxv, 34); it must mean something like "set in order". The "Psalms", which from their Syriac and Greek names clearly mean words accompanied by wind or stringed instruments, in the Qur'an have become *Zubūr* "texts", "books". Indeed the dates for the introduction of music into Moslem communities are given in the *Aghani*, and these take us into Umayyad times. About the year 65, we are told, one Ibn Misjaḥ introduced *barbiṭiyyah* and *istuchusiyyah* from the Greeks, having started his musical studies by hearing Persian builders humming tunes when the Ka'bah was rebuilt after its destruction in that year.[2] One

[1] Three texts are supposed to refer to music (xvii, 66, xxxi, 5, liii, 61), *Talbis Iblis*, p. 246. The reference is obscure.

[2] *Agh.* iii, 84.

songstress, Rā'iqah, introduced singing into Medinah about the same time.[1] There are, however, other claimants. The first of the two words mentioned clearly means "harp-playing"; the second is obscure. Mr. Farmer, a high authority on these matters, thinks it means the system of Aristoxenus.

These statements of the *Aghani* seem to correspond well with the phenomenon which has been noticed—the absence of allusion to music in the Qur'an, though with most communities it is an important adjunct of public worship, and with a military community like that of the Moslems we should have expected that its importance for the operations of war would have been recognized. But if music was an introduction of Umayyad times, can we imagine that metre existed among the Arabs before in the regularity and copiousness which their versification displays? The more usual order of origin would seem to be dance, music, verse; and the emancipation of verse from music is ordinarily a lengthy process. Some of the Arab metres seem to suggest either the dance or music or both.

The existence of the Qur'an, containing the rudiments of rhymed prose and of metre, would account for the development of both when the theory and practice of music had been introduced; and the projection of the art into pre-Islamic antiquity would not be unthinkable. The dialect of the Qur'an had become a court-language, and with the establishment of a court the profession of court-poet arose. The encomia of the second 'Abbasid by Ru'bah are in *rejez* metre, a halfway house between poetry and prose; and, as has been seen, a leading antiquary asserted that this poet's father was the first to compose more than a couple of lines in this, the least artistic of the metres. It seems remarkable that long poems should have been composed in the more difficult rhythms at an earlier period.

An inquiry into the genuineness of the diwans of the period of the Pious Caliphs and of the Umayyads would exceed the

[1] Ibid., xvi, 13.

limits of this paper. The evidence that is before us on the main question seems sufficient to render all ostensibly pre-Islamic verse suspect, and perhaps all pre-Umayyad verse. The pre-Islamic kingdoms which are known to us from the inscriptions were highly civilized, but do not appear to have had poetry; can we believe that the uncivilized Bedouin had it, in anything like the elaborate form wherewith the Moslem archæologists credit them? On the whole the probability would seem to lie on the side of the supposition that both poetry and rhymed prose are in the main derived from the Qur'an, and that such literary efforts as preceded that work were less, not more artistic.

The tribal bard may perhaps be compared to the Pastoral poet and bear a similar relation to reality. The author of Ecclesiasticus is unnecessarily plain-spoken when he says (xxxviii, 25):—

How can he get wisdom (the Greek σοφισθήσεται might well be rendered *become a poet*) *that holdeth the plough,*
And that glorieth in the goad,
That driveth oxen and is occupied in their labours,
And whose talk is of bullocks?

Yet his opinion seems to be sound. No one thinks of Virgil or Theokritus as real shepherds or goatherds; they are clearly men of learning and culture who "simulate" shepherds and goatherds. And this is evidently the case *mutatis mutandis* with the authors of the Mu'allaqāt. Ṭarafah, e.g., is clearly a learned man; he knows about Byzantine bridges, and navigation on the Tigris, as well as that in the Persian Gulf, or more probably the Red Sea. Although he died some seventy years before the Hijrah, he takes a phrase from the Qur'an, which he misunderstands. In Surah xxvii, 44, the Queen of Sheba, fancying that she is stepping into a pool, lifts her skirt; but Solomon explains that it is *ṣarḥ mumarrad* out of glass. Some Moslems naturally suppose this to mean "a tower erected (or raised high) out of pieces of glass"; but it seems clear that the true sense is *polished smooth*, an epithet which

would apply to Solomon's supposed crystal palace, but not to any ordinary palace. When, therefore, Ṭarafah compares the thighs of his camel to the two gates of a منيف ممرّد (line 19), it is difficult to avoid the conclusion that he is thinking of the verse in the Qur'an, where the word *mumarrad* belongs to the special palace which Solomon constructed; his education, therefore, includes the study of the Qur'an. This work, however, was revealed some sixty years after the supposed Ṭarafah's death. It is like the *dunyā* of 'Amr b. Kulthum, whose death-date is given as A.D. 600, but who by the use of this word displays acquaintance with the doctrine of the Qur'an, first promulgated some twelve years after his demise.

If on the question whether Arabic versification goes back to immemorial antiquity or is later than the Qur'an it seems wisest to suspend judgment, the reason lies in the bewildering character of the evidence that is before us. We are on safe ground when we are dealing with inscriptions; and the Qur'an can be trusted for the condition of the Arabs to whom it was communicated in the Prophet's time. But for the history of Arabic verse we have to go to other authorities, who for the most part treat of times and conditions of which they themselves had no experience, and whose training had caused them to assume much that necessarily misled them. In judging their statements we can carry scepticism too far, but we also may be too credulous.

April, 1925.

الفهرست